الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -

كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ والآثار

شعبة تاريخ المغرب الإسلامي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي

الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى ودورها في الإزدهار الحضاري ما بين القرن 7 و9هـ / 13و 15م

إعداد الطالبة :

مريم بوعامر

إشراف

د. مبخوت بودواية



أعضاء لجنة المناقشة

- أ.د. عبد الحميد حاجيات	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
- د.مبخوت بودواية	أستاذ محاضر — أ—	جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا
- د. مجاود محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة بلعباس	عضوا مناقشا
- د. عبدلي لخضر	أستاذ محاضر — أ—	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
- د. بلقاسم الطاهر	أستاذ محاضر — ب—	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا



السنة الجامعية : 1430-1431هـ/2009-2010م.

الملخص

يتضمن هذا البحث دراسة مفصلة للهجرة الأندلسية من القرن السابع إلى القرن التاسع هجري الموافق للقرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر ميلادي، و يبرز أسبابها و مراحلها فقد كان للظروف السياسية المزرية التي عاشتها الأندلس خلال تلك الفترة دور في سقوط معظم المدن الأندلسية في يد النصارى و آخرها غرناطة، كما أثرت هذه الظروف على الأوضاع الإقتصادية و الإجتماعية مما دفع بالكثير من الأندلسيين للهجرة نحو المغرب الأدنى حيث ساهموا في الإزدهار الحضاري في مختلف المجالات و خاصة المجال الثقافي بفضل هجرة الكثير من العلماء الأندلسيين الذين تخصصوا في مختلف العلوم سواء النقلية والعقلية.

الكلمات المفتاحية: الهجرة الأندلسية- دولة بني الأحمر- غرناطة- المغرب الأدنى- الدولة الحفصية- الإزدهار الحضاري.

Résumé

Dans cette étude, une étude détaillée de la migration de l'Andalousie à partir de la septième à la IXe siècle, correspondant à la XIII e siècle au XVe siècle de notre ère, et mettant en lumière les causes et les étapes qu'elle a été la situation politique de recouvrement des Andalus connu au cours de cette période de jouer un rôle dans la chute de la plupart des villes andalouses dans les mains des chrétiens et des plus tard Grenade, également affecté les conditions sur la situation économique et sociale, ce qui incite beaucoup de l'Andalou de la migration vers le Maroc minimes puisque contribué à l'épanouissement de la civilisation dans divers domaines, notamment dans le domaine culturel Merci à la migration de nombreux scientifiques Andalous qui se spécialisent dans divers domaines de la science, à la fois la leucémie et la santé mentale.

Mots clés: migration andalouse - État de l'Al Ahmar - Grenade - minimum Maroc - hafside - Boom Boom civilisation.

Abstract

In this study a detailed study of the migration of Andalusia from the seventh to the ninth century AH, corresponding to the XIII century to the fifteenth century AD, and highlights the causes and stages it was the political conditions for recovering experienced Andalus during this period play a role in the fall of most cities Andalusian in the hands of Christians and latest Granada, also affected the conditions on the economic conditions and social, prompting many of the Andalusian of migration to Morocco minimal since contributed to the flourishing of civilization in various fields, especially the cultural field thanks to the migration of many scientists Andalusians who specialize in various fields of science, both leukemia, and mental health.

Key words: migration Andalusian - State of the Al Ahmar - Granada - Morocco minimum - Hafsid - Boom Boom civilization.

إهداء



إلى أغلى ما أملك في هذا الوجود أمي الغالية التي لم تبخل علي بدعواتها

إلى أبي الذي دعمني ماديا ومعنويا.

إلى أفراد عائلتي كل باسمه خاصة الصغير" أحمد ياسين".

إلى عائلتي : "بن طلحة" و" الحسني" بتلمسان جزاهما الله خيرا.

إلى من سهر على طباعة فصول هذا العمل "عميرات سليمان".

شكر وعرفان

الحمد لله أولا وأخيرا والشكر له والثناء عليه بكرة وأصيلا على ما أنعم علي بإنجاز هذا العمل.

أتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى الأستاذ الدكتور "**مبخوت بودواية**" الذي تفضل بالإشراف على هذا العمل وتابع كل خطوات إنجازه ولم يبخل علي بتوجيهاته ونصائحه القيمة في سبيل إتمام هذا العمل .

كما أقدم جزيل الشكر إلى العقول النيرة التي أنارت لنا دروب العلم أساتذتي الكرام الذين أطرونا خلال السنة النظرية وأخص بالذكر الدكاترة:

حاجيات عبد الحميد – عبدلي لخضر – معروف بالحاج. والأستاذ **بن داود نصر الدين.**

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى كل من ساهم من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل .

لقد شهد المغرب منذ الفتح الإسلامي أحداثا تاريخية عديدة و مهمة صنعت مساره التاريخي و تنوعت هذه الأحداث من سياسية و اقتصادية و اجتماعية و ثقافية و هذه الدراسة تتناول أحد أهم أحداث تاريخ المغرب و الأندلس وتزيل الغموض عن مرحلة مهمة من مراحله التاريخية، فهي تعالج موضوع: « **الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى و دورها في الازدهار الحضاري ما بين القرن 7ه إلى 9 ه/ 13 إلى 15م** ».

و قد تميزت هذه الفترة المخصصة للدراسة باضطراب الأوضاع السياسية بالأندلس واشتداد حروب الاسترداد النصرانية التي تعود جذورها لوقت مبكر، أما المغرب فقد تميزت أوضاعه السياسية أيضا بالاضطراب و تمثل ذلك في ضعف الدولة الموحدية و تفككها إلى دويلات مستقلة عن بعضها البعض و منها الدولة الحفصية (626- 982 ه/1229- 1547م) و التي استقلت بالمغرب الأدنى و رأت أنها الوريث الشرعي للدولة الموحدية.

و للموضوع أهمية كبيرة لأنه يسلط الضوء على مصير مسلمي الأندلس بعد سقوط معظم المدن الأندلسية في يد النصارى و آخرها غرناطة آخر معقل للمسلمين هناك، كما تبحث هذه الدراسة في أسباب الهجرة و دور المهاجرين الأندلسيين في مختلف المجالات الحضارية للمغرب الأدنى.

و رغم هذه الأهمية إلا أن الدراسات التاريخية لم توله أهمية كبيرة و هذا ما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع و تعميق البحث فيه انطلاقا من الإشكالية التالية: إلى أي مدى ساهمت الهجرة الأندلسية في الازدهار الحضاري للمغرب الأدنى؟ و من ضمن التساؤلات التي تتفرع عن هذه الإشكالية و تتبادر إلى الذهن:

- ما هي الأسباب و الدوافع التي أدت إلى الهجرة الأندلسية؟ و ما مراحلها ؟
- أين استقر المهاجرون الأندلسيون بعد وصولهم إلى المغرب الأدنى؟
- و أين تبرز ملامح التأثير الأندلسي في المغرب الأدنى، و هل أتى المهاجرون الأندلسيون بعلوم ومعارف جديدة؟

و للإجابة عن هذه التساؤلات اتبعت خطة بحث مكونة من مقدمة و فصل تمهيدي فثلاثة فصول فخاتمة.

تناولت في الفصل التمهيدي التسمية و الإطار الجغرافي لكل من الأندلس والمغرب، كما تطرقت فيه إلى الواقع السياسي للأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة الموحدين و ذلك من خلال لمحة تاريخية عامة.

أما الفصل الأول فقد حاولت من خلاله إبراز الدوافع و الأسباب التي كانت وراء هجرة مسلمي الأندلس نحو المغرب الأدنى فتطرقت فيه إلى الواقع السياسي لكل من المغرب الأدنى والأندلس من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجري، كما تناولت فيه أيضا مراحل الهجرة الأندلسية و أهم المناطق التي استقرت بها الجاليات الأندلسية مركزة على المغرب الأدنى باعتباره موضوع الدراسة.

أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه الحياة الثقافية في المغرب الأدنى و الأندلس، و قد خصصت للجانب الثقافي فصلا كاملا باعتباره الجانب الأهم من جوانب التأثير الأندلسي في المغرب الأدنى وذلك من خلال الحديث عن المؤسسات الثقافية و الحركة العلمية و أشهر العلماء في مختلف العلوم النقلية و العقلية في كلا البلدين مع التطرق إلى مناهج التعليم و طرقه.

أما الفصل الثالث فقد تم تخصيصه للحديث عن التأثيرات الأندلسية في مختلف الجوانب الحضارية بداية بالجانب الثقافي بالنظر إلى دور المهاجرين الكبير في تطوير مناهج التعليم و الحركة الأدبية إضافة إلى الجانبين الفني و المعماري، ثم انتقلت إلى المجال السياسي و ما مسه من تأثير من خلال ذكر للمناصب السياسية و الإدارية الهامة التي تولاها المهاجرون الأندلسيون، كما تطرقت فيه كذلك إلى التأثيرات الأندلسية في مختلف الأنشطة الاقتصادية المتمثلة في الزراعة و الصناعة والتجارة بالإضافة إلى التأثير الأندلسي في المجال الاجتماعي.

ثم ختمت البحث بخاتمة و هي عبارة عن خلاصة و استنتاجات لما توصلت إليه من نتائج حول موضوع الدراسة، كما دعمت البحث بمجموعة من الملاحق التي لها علاقة بالموضوع.

و قد اتبعت في هذه الدراسة منهجا وصفيا تحليلا لملائمته لنوع الدراسة و يتمثل هذا المنهج في الوقوف على المصادر التاريخية المتصلة بالموضوع و اقتباس المادة العلمية منها ثم مقارنتها وتحليلها اعتمادا على عدة مراجع منها المتخصصة و العامة.

وما من باحث في التاريخ إلا وتعترضه صعوبات ومن أهم الصعوبات التي واجهتني في هذه الدراسة نقص المصادر المتخصصة بصورة مباشرة في موضوع الهجرة الأندلسية مقارنة بالمصادر

العامة التي تناولت تاريخ المغرب والأندلس والتي تحتوي على إشارات لبعض جوانب الموضوع وخاصة الجوانب الثقافية، ولهذا اضطررت في بعض الأحيان إلى الرجوع لبعض المراجع التي لها صلة بالموضوع.

دراسة المصادر:

و لكي تكون هذه الدراسة موثقة اعتمدت في انجازها على عدة مصادر خاصة بالدولة الحفصية و الأندلس و أخرى عامة عن بلاد المغرب و الأندلس و منها ما يتعلق بالسير و التراجم والجغرافيا، وأهم هذه المصادر هي :

1/المصادر المغربية والحفصية :

- كتاب " **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**" لعبد الواحد بن علي التميمي المراكشي المتوفى سنة 647 هـ/1250م و يعتبر هذا المؤلف من أهم المصادر التاريخية التي أرخت للدولة الموحدية لأن مؤلفه يعد شاهد عيان على أحداث تلك الفترة و قد افتتح مؤلفه بمقدمة موجزة عن التاريخ العام للمغرب و الأندلس ثم انتقل إلى ظهور محمد بن تومرت و قيامه بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و واصل حديثه عن سائر الخلفاء الموحدين ثم ختمه بذكر لأقاليم المغرب و الأندلس.
- كتاب " **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**" لأبي العباس أحمد بن عذارى المراكشي و قد عاش هذا المؤرخ في النصف الثاني من القرن السابع و أوائل القرن الثامن الهجري و يتناول في كتابه هذا تاريخ المغرب و الأندلس من الفتح الإسلامي إلى غاية مطلع القرن الثامن الهجري. و قد استفدت منه بالكثير من المعلومات حول أحداث الأندلس و المغرب خلال الفترة المدروسة.
- كتاب " **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**" لمؤلفه: أبي العباس أحمد بن علي الشهير بابن قنفذ القسنطيني (740- 809 هـ/1339- 1406م) و هذا الكتاب يتضمن تاريخ الدولة الحفصية بداية من تأسيسها و ينتهي إلى عهد أبي فارس عبد العزيز (767- 839 هـ/1364- 1435م) و قد استعرض فيه بإيجاز سير الحكام الحفصيين مع التركيز على أهم الأحداث التاريخية. و قد قام بتحقيق هذا الكتاب و نشره الأستاذان محمد الشاذلي النفير و عبد المجيد التركي.
- كتاب " **تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية**" لمؤلفه أبي عبد الله محمد الزركشي المتوفى سنة 894 هـ/1498م و هو يحتوي على معلومات قيمة و دقيقة عن دولتي الموحدين و الحفصيين، وقد قسمه صاحبه إلى قسمين الأول ضمنه الحديث عن تأسيس دولة الموحدين على يد عبد المؤمن بن

علي و ينتهي عند اضطرابها، أما القسم الثاني فهو خاص بالدولة الحفصية منذ تأسيسها ليعرج على تطورها السياسي و علاقاتها مع الدول المجاورة لها كالزيانيين و المرينيين، ثم خلص إلى سنة 839هـ و هي السنة التي تولى فيها السلطان أبو عمر عثمان الحكم في الدولة الحفصية.

• كتاب **" العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"** لعبد الرحمن بن خلدون (732 هـ-808 هـ/ 1332-1406م) و يعتبر من أهم المصادر في دراسة تاريخ المغرب لأنه استنباط من تجارب المؤلف الخاصة أثناء عمله و تجواله في خدمة الملوك و السلاطين و هو في سبعة أجزاء، و قد اعتمدت خاصته على الجزء الأول المعروف بالمقدمة، كما اعتمدت على الجزئين السادس و السابع لما تضمناه من معلومات وافية و مادة تاريخية غزيرة عن المغرب الأدنى و الأندلس خلال الفترة المدروسة.

• كتاب **" المؤنس في أخبار إفريقية و تونس"** لأبي عبد الله محمد بن أبي القاسم الرغيي المعروف بابن أبي دينار القيرواني عاش في النصف الثاني من القرن11هـ، و يتضمن هذا المؤلف الأحداث التي عرفتها افريقية منذ الفتح الإسلامي إلى غاية دخول العثمانيين إلى تونس كما تضمن الباب الأول منه التعريف بافريقية و إقليمها.

2/المصادر الأندلسية:

تعد مؤلفات لسان الدين ابن الخطيب (ت 776 هـ/ 1374م) من أهم المصادر لدراسة تاريخ المغرب و الأندلس و من أشهر هذه المؤلفات و التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة:

• كتاب **"أعلام الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام و ما يجري على ذلك من شجون الكلام"** و يتألف هذا الكتاب من ثلاثة أقسام أهمها القسم الثاني الذي خصصه لتاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى عصره أي من القرن الأول إلى القرن الثامن الهجري إضافة إلى القسم الثالث الخاص ببلاد المغرب الإسلامي من الفتح حتى عهد الموحدين.

• كتاب **" الإحاطة في أخبار غرناطة"** و يتألف من أربعة أجزاء ترجم فيها سير ملوك و أمراء وعلماء غرناطة و جميع الذين وفدوا عليها من المشرق و المغرب و رتبهم على حسب حروف المعجم.

• كتاب **" كناسة الدكان بعد انتقال السكان"** و هو عبارة عن مجموعة من الرسائل السلطانية من إملاء ابن الخطيب على لسان سلطان غرناطة موجهة إلى سلطان فاس و قد حققه محمد كمال شبانة و ضمنه فصلا تطرق فيه إلى الأوضاع السياسية التي عرفتها غرناطة في ظل بني الأحمر.

إضافة إلى مؤلفات ابن الخطيب اعتمدت على مؤلفات أخرى أهمها: كتاب **" نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر"** لمؤلف مجهول و قد استفدت منه كثيرا في التعرف على أوضاع غرناطة خاصة في فترة الحصار الذي فرض عليها من قبل النصارى و أدى إلى استسلام أهلها.

" أخبار مجموعة في فتح الأندلس و ذكر أمرائها" لمؤلف مجهول و يتناول هذا الكتاب تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى وفاة الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر سنة 350هـ/982م.

3/ كتب التراجم والطبقات:

• كتاب **" عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"** لمؤلفه أبو العباس أحمد الغبريني المتوفى سنة 704 هـ/ 1304م) و هو عبارة عن تراجم لمشاهير و أعلام بجاية من شيوخ العلم و رجال الدين و التصوف و الآداب الذين اشتهرت بهم بجاية في القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي، و قد اعتمدت عليه كثيرا في ترجمة العديد من الشخصيات الأندلسية التي حلت بمدينة بجاية أو التي مرت بها.

• كتاب **" نيل الابتهاج بتطريز الديباج"** لأبي العباس أحمد بن أحمد المعروف بابا التنبكتي (ت 1032هـ/ 1624م) و قد قدم فيه ترجمة لعلماء و فقهاء المالكية في المغرب و الأندلس و المشرق، و تم طبع هذا الكتاب على هامش " الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب" لبرهان الدين بن علي ابن فرحون المتوفى سنة 799 هـ/1397م و هذا الكتاب يضم تراجم علماء المالكية، و قد اعتمدت عليه في التعريف ببعض الفقهاء و العلماء الأندلسيون الذين ساهموا في إثراء الحياة الثقافية بالأندلس.

• كتاب **" نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب "** لأبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041 هـ/1631م) و هو عبارة عن موسوعة تراجم لأدباء و فقهاء المغرب و الأندلس. وتكمن أهمية هذا المصدر في تعرضه لعدد كبير من علماء الأندلس الذين ارتحلوا من الأندلس باتجاه المغرب والمشرق وساهموا في تمتين الروابط الثقافية بين هذه الأقاليم.

إضافة إلى هذه المؤلفات الخاصة بالتراجم اعتمدت على غيرها ومن أهمها :"**شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**" لمحمد بن محمد مخلوف المالكي .و"**سير أعلام النبلاء**" لشمس الدين الذهبي (ت 748 هـ/ 1347م)

4/كتب الجغرافيا والرحلات:

- كتاب "**المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب**" و هو جزء من أجزاء الكتاب المعروف بالمسالك والممالك لأبي عبيد الله بن عبد العزيز البكري المتوفى سنة487 هـ/ 1094م و يعد من المصادر التاريخية المهمة، فقد وصف فيه صاحبه أهم الطرق و المدن المغربية بدقة.
- كتاب "**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**" لصاحبه أبي عبد الله محمد الشريف المعروف بالإدريسي المتوفى حوالي سنة 548 هـ/1153م و هذا الكتاب واحد من المصادر الجغرافية المهمة لما يحتويه من معلومات وافية عن الطرق البرية و البحرية و المراسي و المدن بالمغرب و الأندلس ومختلف الأنشطة الاقتصادية بها.
- كتاب "**وصف إفريقيا**" لصاحبه محمد بن الحسن الوزان (ولد في الربع الأخير من القرن التاسع الهجري بغرناطة) و في هذا الكتاب رصد لبعض المعالم الثقافية التي تناولها المؤرخ أثناء مروره ببعض الحواضر الحفصية.
- كتاب " **رحلة العبدري** "لمؤلفه محمد بن محمد بن علي بن احمد بن مسعود العبدري البلنسي الذي ارتحل إلى المشرق وقد وصف فيه من خلال تنقلاته الآثار القديمة والأماكن المختلفة في بلاد المغرب كما أشار في رحلته هذه إلى تراجم لكثير من أعيان العلم والأدب .
- كتاب:"**رحلة القلصادي** " المسماة تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب لأبي الحسن علي بن محمد القرشي البسطي المعروف بالقلصادي (ت891 هـ/ 1486م) وتكمن أهمية هذه الرحلة في التراجم التي أوردها القلصادي لشيوخه الذين أخذ عنهم بالمغرب كما تتضمن ذكرا للمدن والمساجد التي مر بها.

ولم تقتصر هذه الدراسة على الاعتماد على المصادر فقط بل استعنت فيها أيضا بمجموعة من المراجع والدراسات الحديثة المنشورة وغير المنشورة، ومن أهم هذه المراجع:

- كتاب :"**دراسات في تاريخ المغرب** " لمحمد رزوق وكتاب" **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى 15 م** " لروبار برنشيفك وقد قام بترجمته: حمادي الساحلي وكتاب:" **مظاهر الحضارة الأندلسية في عصر بني الأحمر** "لأحمد أمين الطوخي .

إضافة إلى هذه المراجع إعتمدت على عدد من المجلات والدوريات وأهمها : مجلة الأصالة العدد 26 والتي تحتوي على مقال بعنوان " **الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين**"لمحمد الطالبي.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذي الدكتور بودواية مبخوت الذي تفضل بالإشراف على هذه المذكرة وتكبد عناء دراستها كما أمدني بالعديد من التوجيهات والنصائح في سبيل إتمام هذا العمل .

فصل تمهيدي

الأوضاع السياسية للأندلس والمغرب الأدنى قبل القرن 7هـ/13م

أولا/ التسمية والإطار الجغرافي للأندلس والمغرب الأدنى

ثانيا/ أوضاع الأندلس قبل القرن 7هـ

ثالثا/ جذور الصلات الحضارية بين المغرب والأندلس

أولا : التسمية والإطار الجغرافي للأندلس والمغرب الأدنى :

1/الأندلس:

يطلق اسم الأندلس على القطر الواقع شمال عدوة المغرب[1] وهي شبه مثلث تحيط بها المياه من جهات ثلاث فمن الجنوب يحدها البحر الرومي (البحر المتوسط) ومن الغرب بحر الظلمات ومن الشمال بحر الأنقليش (بحر الشمال) ولذلك سميت بالجزيرة [2].

ويقول عنها الإدريسي أنها موقع قريب من بلاد المغرب فهي تشكل امتدادا طبيعيا له لذا تؤثر وتتأثر بما يجري فيه، وهي في ذاتها شكل مثلث يحيط به البحر من جهاتها الثلاث ومقسومة في وسطها في الطول بجبل يسمى الشارات [3].

أما عن حدودها فيقول المراكشي أن :"حدها الجنوبي منتهى الخليج الرومي الخارج من بحر مانطس وهو البحر الرومي وحدها الشمالي والمغربي البحر الأعظم وهو بحر أوقيانوس المعروف عندنا ببحر الظلمة وحدها المشرقي الجبل الذي فيه هيكل الزهرة الواصل بين البحرين بحر الروم والبحر الأعظم وهو الحد ما بين بلاد الأندلس وبين بلاد فرنسة وأرض الروم "[4].

أما سبب تسميتها بالأندلس فقد اختلف المؤرخون في ذلك فمنهم من قال أنها سميت على الأندلس بن طوبال بن يافت بن نوح الذي نزلها، كما نزل أخوه سبت العدوة المقابلة واليه تنسب سبتة [5]،و يذكر القلقشذي أنها سميت بالأندلس نسبة إلى قبائل الوندال (الفندال)

---

[1]- بلاد واسعة ووعثاء شاسعة، حدها من مدينة مليانة وهي آخر حدود إفريقية إلى جبال السوس التي وراءها البحر المحيط وتدخل فيه جزيرة الأندلس ينظر: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ، 1957،ص 161

[2]- ابن حوقلي النصبي ، صورة الأرض، ج1، دار صادر بيروت ، 1928، ص 62.

[3]- محمد بن محمد الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1،ج2، عالم الكتب، بيروت، 1989،ص 525.

[4]- عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرح صلاح الدين الهواري،ط1، المكتبة العصرية، بيروت،2006.ص ص 13-14.

[5]- أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق:إحسان عباس ،المجلد الأول، دار صادر، بيروت، 1998، ص 125، مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق: عبد القادر بوباية ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص140.

الذين نزلوا بالسهل الواقع جنوب النهر الكبير فأطلقوا اسمهم عليه (فاند لوسيا) ولما قدم العرب عربوا هذا الاسم إلى الأندلس[1]، ولعل هذا القول هو الأقرب إلى الصحة.

أما تسمية إسبانيا فقد أشار المقي أنها سميت شبانية نسبة إلى اشبان بن طيطش الذي بنى اشبيلية[2] ثم غلب الاسم بعده على كل الأندلس[3] ويقابلها في اليونانية إبرياIBERIE و تعني شعب مجهول الأصل[4]، وقد اسماها الرومان إسبانيةHISPANIA[5]، و تعني بلاد الغرب أو المغرب[6].

وبعد تقلص مناطق النفوذ الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية اقتصد لفظ الأندلس على المناطق التي ساد فيها الإسلام ولما تراجع النفوذ الإسلامي بها اقتصر الاسم على غرناطة[7] النصرية[8].

[1]- القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج5، الطبعة الأميرية، القاهرة، 1915، ص 211 ، أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت ،1972، ص 227.

[2]- تقع غرب غرناطة على النهر الأعظم، كانت دار ملك بني عباد، كثيرة الجنات والبساتين تشتهر بزراعة الزيتون وجل تجارة أهلها الزيت ينظر: أبي عبد الله الحميري، صفة جزيرة الأندلس مقتبس من كتاب :الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: ليفي برفنسال، ط2، دار الجيل، بيروت، 1988، ص 19، إسحاق اليعقوبي، البلدان، تحقيق: محمد أمين الضناوي ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص 180.

[3]- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1 ، ص 134.

[4] -عادل سامعي، تاريخ الأندلس الاقتصادي و الاجتماعي، ط1، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، 2007، ص 11.

[5]- ج.س.كولان: الأندلس، لجنة الترجمة: إبراهيم خورشيد ، عبد الحميد يونس، حسن عثمان، ط1،دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري ، 1980،ص:42.

[6] – عادل سامعي، المرجع السابق، ص 11.

[7]- مدينة من كورة ألبيرة يقال لها إغرناطة أو غرناطة، مدينة محدثة من أيام الثوار بالأندلس بنى قصبتها حبوس الصنهاجي تشتهر بمعادن الذهب والفضة، ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ص- ص 45-46.

[8]- الفتح بن خاقان ، تاريخ الوزراء والكتاب والشعراء بالأندلس ، تحقيق: مديحة الشرقاوي ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد، 2001، ص 06.

2/المغرب الأدنى :

اتخذ لفظ المغرب أبعادا جغرافية مختلفة فكان يدل على الجهة التي تغرب فيها الشمس[1]، ثم أصبح يدل على المنطقة الواقعة غرب دمشق جهة مغرب الشمس[2]، ثم صار هذا اللفظ يشمل البلاد الإسلامية الواقعة من حدود برقة[3] شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا[4] و قد ظهر هذا المصطلح في زمن الفتنة بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه و معاوية بن أبي سفيان، و لم يكن يُقصد به ما يدل عليه الآن و إنما قُصد به الجزء الغربي من الدولة الإسلامية الذي يتضمن مصر و الشام وما اتصل بهما[5]، و لم تكن بلاد المغرب الحالية معروفة بهذا الاسم عند قدوم الفاتحين المسلمين إليها بل أطلقوا عليها اسم إفريقية[6] الذي كان سائدا إذ ذاك لدى البيزنطيين[7].

و بامتداد حركة الفتح الإسلامي إلى ساحل المحيط الأطلسي و منها إلى بلاد الأندلس بدأ لفظ إفريقية يتقلص شيئا فشيئا بينما أخذ لفظ المغرب في الظهور و الشمول[8].

كما ميز الجغرافيون العرب بين أجزاء المغرب القريبة من المشرق و البعيدة عنه بقصد التسهيل فظهرت مصطلحات جديدة و جزئية و هي:

---

[1]- نصر الله سعدون، تاريخ العرب السياسي في المغرب، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1988، ص 19.

[2]- أبو الحسن علي المسعودي، مروج الذهب و معادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 1988، ص 88.

[3]- مدينة كبيرة قديمة بين الإسكندرية و إفريقية و بينها و بين البحر ستة أميال، ينظر: الحميري، الروض، المصدر السابق، ص 224.

[4]- حسين مؤنس، المغرب و الأندلس، مكتبة الأسرة، مصر، 2003، ص 24.

[5]- موسى لقبال، المغرب الإسلامي من بناء المعسكر حتى انتهاء ثورات الخوارج، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص 14، عبد الحميد حاجيات و آخرون، الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 13.

[6]- أوسط بلاد المغرب و عند أهل العلم تعني القيروان، و قيل سميت إفريقية لأنها فرقت بين المشرق و المغرب، أو باسم أهلها الأفارقة من ولد فاروق بن مصرايم، و قبل أن أصلها من أفريقش بن أبرهة بن ذي القرنين لما غزا بلاد المغرب بنى مدينة سميت باسمه ينظر: ابن أبي دينار القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية و تونس، تحقيق: محمد شمام، ط3، المكتبة العتيقة، تونس، ص 19، الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 228.

[7]- ابن عبد الحكم، فتوح مصر و المغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي، 1961، ص 233.

[8]- محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، ط3، القلم للنشر و التوزيع، الكويت، 1987، ص 12.

- المغرب الأقصى: و يمتد من وادي ملوية شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا و كانت تسكنه في الأغلب قبائل المصامدة[1] و برغواطة و صنهاجة[2] و مطغرة و أوربة.

- المغرب الأوسط: يتوسط المغربين الأقصى و الأدنى و يمتد من بجاية[3] شرقا إلى واد ملوية وجبال تازة غربا[4].

[1]- مجموعة كبرى من قبائل عظيمة من البرانس كان لها التقدم على غيرها قبل الفتح الإسلامي وبعده، وتستقر هذه القبيلة منذ القدم بجنوب أم الربيع والأطلس الكبير إلى شواطئ المحيط، لعبت هذه القبائل دورا كبيرا في تاريخ المغرب في عهد الموحدين والحفصيين والمرنيين، ينظر محمد سليمان الطيب، ، موسوعة القبائل العربية، مجلد3، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001، ص 751.

[2]- أعظم قبائل البرانس بالمغرب ويقال أنها تنتمي إلى أصل حميري يماني أسست هده القبائل الصنهاجية إمارات مستقلة مثل بني زيري بتونس، وبني حماد بالجزائر والمرابطين بالمغرب الأقصى والأندلس التي أسسها اللمتونيون وهم إحدى فروع صنهاجة كان موطنهم الأصلي بالصحراء الكبرى بين المغرب والأندلس، ينظر: محمد سليمان الطيب،المرجع نفسه، ص -ص 751_752 .

[3]- قاعدة من قواعد المغرب على جرف حجر مطلة على البحر بناها ملوك صنهاجة و تعرف بقلعة بني حماد و تعرف أيضا بالناصرية بينها و بين سطيف يومان و بين بسكرة مرحلتان، ينظر، الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص-ص 80-81، الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 260.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الفكر العربي للطباعة و النشر، بيروت، 2007، ص 75، عبد الحميد حاجيات و آخرون، المرجع السابق، ص 13، محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 12-13.



- المغرب الأدنى: و كان يسمى إفريقية و يمتد من طرابلس[1] شرقا إلى بجاية غربا[2]، و قد تم فتح أجزائه على يد عقبة بن نافع[3] الذي بنا عاصمته الأولى القيروان[4] سنة 50-55هـ/668-672م. و استكمل الفتح بمجيء زهير بن قيس البلوي و حسان بن النعمان الذي أرسى دعائم الوجود الإسلامي بانتصاره على الكاهنة سنة 84هـ/699م[5]، و بذلك تنتهي مرحلة الفتح الإسلامي لتبدأ مرحلة جديدة اصطلح عليها ب : " عصر الولاة" أصبحت خلالها بلاد المغرب إقليميا من أقاليم الدولة الإسلامية.

---

[1]- مدينة من مدن إفريقية تقع في أقصى شرقها على ساحل البحر و منها تبدأ إفريقية، و طرابلس معناها باليونانية المدن الثلاث و هي أياس (موضع مدينة طرابلس الحالية) و لدة في شرقها و صبرة أو تسبراتة الحالية في غربها ، ينظر: الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص 389-390، مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، أثر العرب في تاريخ المغرب خلال عصري الموحدين و بني مرين 524-876هـ/1130-1474م، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1982، ص 230.

[2]- ابن الأثير الجرزي، الكامل في التاريخ، ج3، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت، دت، ص 230، عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص 13.

[3]- هو عقبة بن نافع بن عبد قيس الفهري، ولد على عهد الرسول_ صلى الله عليه وسلم_ ولاه عمر بن العاص على إفريقية فافتتح غدامس وفزان ومعظم مناطق المغرب بنى القيروان سنة 50 هـ استشهد سنة 63هـ.ينظر ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: خليل مؤمن شيخا، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1997، ص 263. عبد الله المالكي: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، تحقيق، بشير البكوش. محمد عروسي المطوي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص ص97 _98..

[4]- لفظ فارسي معرب أصله كروان أو كربان معناه القافلة أو مراح القوافل، وهي قاعدة إفريقية وأهم مدنها، وكانت أعظم مدن المغرب وأكثرها بشرا، بينها وبين البحر مسيرة يوم ينظر: أبو عبد الله البكري، المغرب في بلاد إفريقية والمغرب، نشر دي سولان، باريس، 1965، ص 26، الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص 426..

[5]- رابح بونار، المغرب العربي تاريخه و ثقافته، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1968، ص 17، عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص 54.

و نتيجة للسياسة القاسية لبعض الولاة عرف المغرب الإسلامي قيام عدة ثورات بربرية أهمها ثورة ميسرة المطغري و خالد بن حميد الزناتي سنة 122هـ/739م و ثورة ورفجومة[1] بأرض الزاب[2] سنة 138هـ/756م و غيرها[3]، و كان من نتائج هذه الثورات انفصال المغرب الإسلامي عن الخلافة العباسية بالمشرق الإسلامي و تجسد ذلك الانفصال في قيام ما يعرف بـ: " الدولة المستقلة"، و أولها الدولة الرستمية سنة 144هـ/761م التي قامت بزعامة عبد الرحمن بن رستم الإباضي الذي اتخذ من مدينة تيهرت[4] عاصمة له[5] و بعدها الدولة الإدريسية بالمغرب الأقصى سنة 172هـ/789م[6].

أما المغرب الأدنى فقد قامت به الدولة الأغلبية على يد إبراهيم بن الأغلب سنة 184هـ/800م[7]، و قد ارتبط تأسيسها بمحاربة العباسيين للثورات التي ظهرت في المغرب الإسلامي، كما حاول هارون الرشيد جعلها إمارة شبه مستقلة عن الدولة العباسية تضمن استقرار المنطقة و تكون حاجزا أمام أطماع الإمارات المستقلة التي تأسست على خلفية شرعية آل البيت في الخلافة[8].

1- وهي من قبائل نفزاوة البترية استقرت في نواحي الأوراس، ينظر: عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص 66.

2- يطلق هذا الإقليم على بسكرة و أعمالها، يبتدئ شرقا من إقليم الجريد بتونس و يمتد غربا إلى تخوم المسيلة، و يحده شمالا جبال مملكة بجاية و يمتد جنوبا إلى الطريق المؤدية إلى تقرت و ورقلة، ينظر: الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 138.

3- عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 333، عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص 64-65.

4- تقع على سفح جبل يقال له جزول ولها قصبة تشرف على السوق تسمى المعصومة، ولها ثلاثة أبواب: باب الصبا، باب المنازل، باب الأندلس، وهي شديدة البرد كثيرة الغيوم، ينظر: أبو عبد الله البكري، المصدر السابق، ص ص 67_66..

5- عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص 67، محمد بن عميرة، دور زناته في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 118-119.

6- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج3، منشأة المعارف، الإسكندرية، (دت)، ص 430.

7- نفسه، ص 29.

8- محمد عليلي، الاشعاع الفكري في عهد الأغالبة و الرستميين خلال القرنين 2-3هـ/8-9م، ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2007-2008، ص 31.

و قد استمرت هذه الدولة إلى عهد زيادة الله الثالث سنة 296هـ/909م سقطت على يد الفاطميين بقيادة الداعية أبي عبد الله الشيعي بعد الهزيمة التي ألحقها بالأغالبة في معركة الأربس[1] بتاريخ 24 جمادى الثانية من سنة 296هـ/18 مارس 909م[2].

كما قامت بهذا الجزء من المغرب الإسلامي الدولة الزيرية[3] التي انفصلت عن الدولة الفاطمية نهائيا في عهد المعز بن باديس الذي قطع الخطبة و الدعاء للفاطميين و أعلن الدعوة للعباسيين و تم ذلك سنة 440هـ/1048م[4].

و عن الدولة الزيرية انبثقت الدولة الحمادية سنة 408هـ/1018م، بإعلان حماد بن بلكين استقلاله عن أبناء عمومته الزيريين، و قد اتخذت هذه الدولة في عهد الناصر بن علناس[5] من مدينة بجاية أو الناصرية عاصمة لها بعد أن اختطها سنة 460هـ/1169م[6]، و قد سقطت هذه الدولة بدخول عبد المؤمن بن علي[7] إلى بجاية سنة 547هـ/1152م، كما دخل أيضا

1- مدينة تبعد عن القيروان بمرحلتين من الغرب و هي مدينة كبيرة و عامرة، أما ياقوت فيذكر أنها تبعد عن القيروان بثلاثة أيام، و قد ذكرها البكري باسم لربس، ينظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ص 188، الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 165، البكري، المصدر السابق، ص 46.

2- سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص 579، عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقية من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 19897، ص 319.

3- ينتمي بنو زيري إلى قبيلة تلكاتة إحدى قبائل صنهاجة البرنسية، ينظر، محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص 243.

4- عبد الرحمن بن خلدون، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط ومراجعة:خليل شحادة، سهيل زكار، ج6، الطبعة الثانية، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2000، ص211.

5- أصله على الناس أو أعلاء الناس ،تولى حكم الدولة الحمادية سنة 454هـ/1062م وهو من اختط مدينة بجاية وسماها الناصرية نسبة إليه توفي بها سنة 481هـ/1089م، ينظر: ابن خلدون،المصدر نفسه، ص- ص 229 -237

6- نفسه ، ص 232، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ج8، ص 374.

7- أصله من قبيلة زناته، ولد بقرية تاجرا يتراوح مولده ما بين487_500هـ، لازم المساجد طالبا للعلم ،كان لقائه مع ابن تومرت بقرية ملالة قرب بجاية، بويع بعد وفاة المهدي سنة 526هـ، استطاع القضاء على دولة لمتونة، توفي سنة 585 وقيل سنة 663هـ وقيل سنة 664هـ، ينظر: ابن أبي دينار، المصدر السابق ، ص- ص 114_117.

إفريقية واستعاد المهدية[1] من النورماندين سنة 555 هـ/1160م[2]، و بذلك دخل المغرب الأدنى تحت سلطة الدولة الموحدية التي وحدت المغرب كله من طرابلس شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا.

1- مدينة محدثة بناها عبد الله المهدي القائم بالمغرب، وهي بإفريقية ومقصد للسفن من بلاد المشرق والمغرب والأندلس وبلاد الروم، كما كانت مرسى القيروان، ينظر: الإدريسي المصدر السابق، ج1، ص 281.

2- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 215-223.

ثانيا: أوضاع الأندلس قبل القرن7هـ.

1/الفتح الإسلامي للأندلس:

انتهج العرب في فتوحاتهم نهجا حضاريا ذو رسالة دينية وإنسانية فدخلت بذلك بلاد المغرب في حوزة الإسلام بعد سلسلة من الفتوحات دامت حوالي 70 سنة بدأت باستطلاع عقبة بن نافع وانتهت بحملة موسى بن نصير[1].

وبعدما تحقق الفتح الإسلامي لبلاد المغرب تطلع موسى بن نصير لفتح الأندلس فاستأذن في ذلك الخليفة الوليد بن عبد الملك فأمره أولا بإرسال حملة استطلاعية بقيادة طريف بن مالك المعافري في رمضان سنة 91هـ/710م[2] وقد تمت هذه الحملة بنجاح وعاد طريف بمغانم كثيرة[3].

شجع نجاح هذه الحملة موسى بن نصير على فتح الأندلس فعهد لمولاه طارق بن زياد[4] وقد تمكن من عبور المضيق وفتح مدنا عديدة في شهر رمضان سنة 92هـ/711م[5].

1- هو أبو عبد الرحمان موسى بن نصير اللخمي بالولاء ولد سنة 19هـ، تولى إفريقية سنة 89هـ وهو من استعمل على طنجة مولاه طارق بن زياد وكتب إليه بفتح الأندلس، عاد إلى الشام وحج مع الخليفة سليمان سنة 97أو99هـ ومات في طريق العودة بوادي القرى، ينظر: أبي العباس شمس الدين ابن خلكان، وفيات الأعيان وأبناء أنباء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ج5، دار صادر، بيروت، ص 318.

2- مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري،ط2، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، 1989، ص- ص 16_17.

3- حسين مؤنس، فجر الأندلس، ط2، الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1985، ص 68.

4- طارق بن زياد ليثي بالولاء (50_105هـ) أصله بربري ولاه موسى بن نصير طنجة سنة 89 هـ، فتح الأندلس ونزل بجبل طارق، ينظر: أبي بكر بن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، 1989، ص33.

5- من بين المدن التي فتحها طارق بن زياد قرطبة، مالقة، *غرناطة*، مرسية، طليطلة، قرمونية،إشبيلية،ينظر:ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج2، تحقيق :ج.س كولان. ليفي برفنسال، دار الثقافة، بيروت، ص- ص 9_13.

ولما أمر الخليفة موسى بن نصير وطارق بن زياد بالرجوع إلى دمشق تسلم عبد العزيز بن موسى بن نصير لواء الفتوحات الإسلامية واستكمل فتح جنوب شرقي الأندلس بعد أن أتم فتح غربها[1].

تلت مرحلة الفتح الإسلامي سواء في المغرب والأندلس مرحلة "عصر الولاة" وأصبحت الأندلس خلالها ولاية تابعة للخلافة الأموية في دمشق وجزء لا يتجزأ من المغرب.

2/الدولة الأموية:

بعد سقوط الخلافة الأموية بالمشرق الإسلامي[2] استطاع عبد الرحمان بن معاوية الملقب بالداخل أحياء الدولة الأموية بالأندلس بمساعدة موالي بني أمية[3] وقد خلف عبد الرحمان سبعة أمراء اتصفوا بالحزم والعدل ثم تولى الحكم عبد الرحمان المعروف بالناصر ووصلت الدولة أوج حضارتها في عهده خاصة بعد إعلانه الخلافة سنة 316هـ/928م و تلقبه ب :"الناصر لدين الله"[4].

ويعتبر المؤرخون الفترة من 929م إلى 1009م العصر الذهبي للأندلس نظرا لما شهدته الدولة الأموية من استقرار سياسي في شبه الجزيرة الإيبيرية ولما شهدته من منجزات عمرانية وحضارية ضخمة[5].

وقد انتهى هذا العصر بوفاة المنصور بن أبي عامر إذ تدهورت الأوضاع السياسية نتيجة للصراع حول السلطة والحروب الأهلية الدامية توالى خلالها على عرش الخلافة عدد من

---

[1] – حسين مؤنس، فجر الأندلس، المرجع السابق، ص 111.

[2] – سقطت الدولة الأموية في المشرق على يد العباسيين في معركة الزاب قرب الموصل بتاريخ 11جمادى الثانية 132هـ ينظر: سعدون نصر الله، المرجع السابق، ص 53.

[3] – ابن القوطية ، المصدر السابق، ص 47.

[4] – حسين مؤنس، رحلة الأندلس، ط1، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1963، ص 25، مونتو غمري وات، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمة: محمد رضا المصري، ط2، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 1998، ص 59.

[5] – حسين مؤنس، المرجع نفسه ، ص 25.

الحكام الضعاف لم يتجاوز حكم أي منهم السنة أو السنتين فقرر مجلس الأعيان إلغاء الخلافة الأموية سنة 422هـ/1031م[1].

عقب إلغاء الخلافة الأموية استقلت كل إمارة بمدينة فحكمت نحو عشرين أسرة ويسمى هؤلاء "بملوك الطوائف" ومن أشهر هذه الأسر: بنو عباد بإشبيلية، وبنو حمود بمالقة وبنوزيري بغرناطة وبنو هود بسرقسطة[2] ، وبنو ذي النون بطليطلة[3] والعامريون في بلنسية[4]. ظلت هذه الأسر في صراع فيما بينها مما ساعد على تفاقم الخطر النصراني من الشمال نتج عنه سقوط طليطلة سنة 478هـ/1086م،[5] مما دفع بالمعتمد بن عباد إلى الاستنجاد بالدولة المرابطية.

1– ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص 155، المقري، المصدر السابق، ج1، ص 438، ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي برفنسال، دار المكشوف، بيروت، 1956، ص 139.

2– مدينة عظيمة قديمة البناء من بنيان قسطنطين تسمى بالمدينة البيضاء كثيرة الزروع والفواكه ينظر: محمد بن أبي بكر الزهري، كتاب الجغرافيا، تحقيق: محمد الحاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،(د.ت)، ص 81.

3– مدينة تقع على نهر تاجة من بنيان الخزر، كثيرة القمح والزرع والضرع، ينظر: الزهري، المصدر نفسه ، ص 83، علي بن سالم الورداني، الرحلة الأندلسية، تحقيق: عبد الجبار الشريف، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ص 53.

4– قاعدة من قواعد الأندلس تقع شرق قرطبة تعرف بمدينة التراث وهي في غاية الخصب واعتدال الهواء كثيرة الفواكه والثمار راخية الأسعار ينظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ص 195، أحمد بن عمرو العذري الدلائي: نصوص عن الأندلس مقتبس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبنيان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق، عبد العزيز الأهوازي ،ص-ص 17_18، الحميري، صفة جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص 47.

5– مونتو غمري وات، المرجع السابق، ص 105.

3/ المرابطون :

تنتسب الدولة المرابطية إلى قبيلة صنهاجة اللمتونية ويعود قيامها إلى سنة 434هـ/1042م بزعامة الفقيه عبد الله بن ياسين[1]، الذي انطلق من رباطه في نهر السنغال وقاد حركة الجهاد والدعوة في فروع صنهاجة لما كانت عليه من خروج عن تعاليم الإسلام[2].

ويعود الفضل في توطيد أركان هذه الدولة إلى يوسف بن تاشفين[3] الذي عمل على توسيع سلطانه وبسط نفوذه على المغرب بأكمله، ولما تم له ذلك أسس العاصمة مراكش[4] تأكيدا لسلطانه سنة 454هـ/1062[5].

وتلبية لنداء المعتمد بن عباد جاز يوسف بن تاشفين بقواته إلى الأندلس سنة 479هـ/1086م[6] وانضم إلى قوات المعتمد في سهل الزلاقة أين واجهت جيوش المسلمين

---

[1]- هو عبد الله بن ياسن بن ياسر ولد بقرية تيماماونت الواقعة على طريق صحراء مدينة غانة، تتلمذ على يد أئمة الفقهاء بالمغرب تحول دوره التعليمي إلى جهاد بالسيف، توفي سنة 451هـ/1059م عندما كان يغزو ضد أهل تامسنا، ينظر: أشباخ يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ترجمة: محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996 ، ص- ص 103 -104.

[2]- أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ص- ص 7_8، ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص: 24.

[3]- كان مولده سنة 400 هـ/1009م، هو من اختط مدينة مراكش سنة 454هـ/1062م ونزل بالخيام وأدار صورها وهو أول من تسمى بأمير المسلمين، عرف بجهاده ضد النصارى توفي يوم الإثنين 3 محرم 500هـ، ينظر: ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج3، ط2، دار المسيرة، بيروت، 1979، ص 412، شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: محب الدين عمر بن خزعة العمروي، ج14، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر ،بيروت، 1997، ص- ص 175_176.

[4]- تقع شمال أغمات على اثني عشر ميلا بداخل المغرب ليس من حولها جبال إلا جبل صغير يسمى إيجليز ينظر : محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص 540.

[5]- الناصري السلاوي ، المصدر السابق، ص 22.

[6]- مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء ، 1979، ص 38.

جيوش أذفوش المسيحية وحقق انتصارا باهرا وعرفت هذه المعركة بموقعه الزلاقة بتاريخ 12 رجب 479هـ/ 2نوفمبر 1086م[1].

كان من نتائج هذه المعركة إدراك يوسف بن تاشفين أن ترف وثراء ملوك الطوائف وعدم تضامنهم خطر على الإسلام بالأندلس مما دفعه بالجواز إلى الأندلس وضمها لمملكته سنة 483هـ/1090م[2]. واستطاع بذلك توحيد المغرب والأندلس.

وعلى نفس النهج صار ابنه علي بن يوسف وواصل حركة الجهاد ضد هجمات المسيحيين المتكررة، وفي هذه الأثناء ظهر على مسرح الأحداث الداعية ابن تومرت[3] وأخذ يدعو للثورة ضد المرابطين.

4/الموحدون:

قامت الدولة الموحدية على أكتاف قبيلة مصمودة البربرية التي بايعت ابن تومرت مهديا في رمضان سنة 515هـ/1121م[4]، فأطلق على أتباعه اسم الموحدين[5]، ولما توفي ابن تومرت بعد أن وضع لبنة الدولة الموحدية سنة 524هـ/1129م خلفه عبد المؤمن بن علي الذي شد

[1]- ج.س كولان، المرجع السابق، ص 133، ويختلف المؤرخون في تاريخ هذه المعركة فيشر ابن خلدون أنها كانت سنة 481هـ/1088م، أما ابن أبي زرع فيذكر أنها كانت سنة 479هـ/1086م ويتفق معه صاحب الحلل الموشية أما المراكشي فيذكر أنها كانت سنة 480هـ/1087م ولعل الأرجح أنها كانت سنة 479هـ ينظر: عبد الرحمان بن خلدون، العبر، المصدر السابق،ج6، ص 248، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 149، مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 59، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 100.

[2]- مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 71، حسين مؤنس، الثغر الأندلسي في عهد المرابطين، مكتبة الثقافة الدينية، 1992، ص 08.

[3]- هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله، ومن المرجح أنه ولد يوم عاشوراء من سنة 485هـ، بقرية إيجلي أن وارغن، ارتحل إلى المشرق سنة 500هـ/1106م وأقام عشر سنوات وأخذ العلم على أيدي أئمة الأشعرية ، ثم عاد إلى المغرب آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص 53،أبو بكر الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 29.

[4]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 469.

[5]- يسمون الموحدين لأنهم أول من تحدث في التوحيد وعلم الكلام بالمغرب، وكان ذلك محرما على المغاربة في عهد المرابطين، وهناك رأي آخر يقول أن هذه التسمية أطلقها ابن تومرت أثناء حملته العنيفة التي شنها على المرابطين ورماهم بالكفر وأن أتباعه هم الموحدون، ينظر:عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 139.

بنيان الدولة بالمغرب والأندلس ويشير المقري إلى ذلك بقوله:"... وهبت ريح الموحدين أعني عبد المؤمن بن علي وبنية فحاربوا لمتونة واستولوا على ملكهم بالمغرب بعد حروب كثيرة، ثم أجازوا البحر إلى الأندلس وملكوا أكثر بلاد الأندلس..."[1].

كان للموحدين الدور الفعال في الحفاظ على الأندلس من الضياع لفترة قصيرة إذ تمكن الخليفة يعقوب المنصور من الانتصار على النصارى في معركة الأرك عام 591هـ/1194م[2].

لكن مع مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي بدأت الدولة تدخل مرحلة الضعف والانحطاط لعدة عوامل خاصة الهزيمة التي مني بها الموحدون في معركة حصن العقاب في صفر 609هـ/1212م[3] إضافة إلى حركة بني غاية[4] التي استنزفت قوة الجيوش الموحدية.

لقد نتج عن هذا الضعف تفكك المغرب الإسلامي إلى أربع دويلات أولها الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى وبعدها الدولة الزيانية [5] بالمغرب الأوسط سنة 633هـ/1235م، ثم تلتها الدولة المرينية [6] بالمغرب الأقصى سنة 668هـ/1269م وقد كانت السبب المباشر في

1– المقري ، المصدر السابق، ج1، ص 442.

2– ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 226، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 206.

3– ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 240، المراكشي ، المصدرالسابق ، ص 236،
Arie Rachel, L'Espagne musilmane au temps nasride (1232-1492), Ed, E,de boucard, Paris, 1973, P49.

4– هما الأخوان يحي ومحمد بن علي من قبيلة مسوفة يعرفان ببني غانية نسبة إلى أمهما أما يحي فقد ولاه علي بن يوسف مدينة بلنسية ثم ولاه قرطبة حتى مات، أما أخوه محمد فقد تولى بعض أعمال قرطبة من قبل أخيه، ولما اضطرب أمر الأندلس بعد انتشار دعوة الموحدين لجأ فارا إلى جزيرة ميورقة ودعا للخليفة العباسي، ينظر: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص– ص: 195-196 .

5– تنتسب الدولة الزيانية إلى قبيلة زناته الكبرى، وقد أجمع المؤرخون أن هذا القبيل من ولد زانة أو جانا، وقد تفرعت عنها العديد من القبائل وهي: مغراوة وبني يفرن وبراغواطة وبني عبد الواد ينظر: ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص ص 14_15.

6– هم فخذ من الطبقة الثانية من قبيلة زناتة، وهم ينتسبون إلى مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن خديج بن فاتن بن يادر بن يخفت بن عبد الله بن ورتانيص بن المعز بن إبراهيم بن ساحيك بن وايسن، وهم إخوة يلومي ومديونة، ينظر: اسماعيل بن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، مطبوعات القصر الملكي الرباط، 1962، ص– ص 8_10، وكذلك ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ص 196.

سقوط الدولة الموحدية. أما في الأندلس فقد آل الحكم إلى أسرة بني الأحمر التي انحصر ملكها في غرناطة.

ثالثا: جذور الصلات الحضارية بين المغرب والأندلس:

ارتبطت الأندلس وبلاد المغرب بصلات تاريخية وحضارية وثيقة منذ القدم بسبب القرب الجغرافي والرحلات المتبادلة بين القطرين[1]، ويرجع ذلك الارتباط إلى التوسع الفينيقي في سواحل شمال إفريقيا والسواحل الجنوبية والجنوبية الشرقية لشبه الجزيرة الإيبيرية[2]، وتم ذلك الارتباط عن طريق السفن التجارية والتجار الذين أسهموا في الاتصال الثقافي والحضاري بين العدوتين.

أما في العصر الإسلامي فقد ازدياد التواصل الحضاري بين الأندلس والمغرب بحكم وحدة الدين واللغة، فمنذ القرن الأول الهجري شهدت مدن المغرب القريبة من السواحل مثل: طنجة وزويلة تدفق العديد من المهاجرين الأندلسيين سنة 136هـ/753م بسبب القحط والجفاف الذي تعرضت له الأندلس سنة 134هـ/751م واستمر لسنوات[3]، كما استقبلت الأندلس كثيرا من العرب الذين تمازجوا مع المسلمين الجدد من سكان شبه الجزيرة الابيرية وتوثق ذلك الامتزاج بفضل الزواج الذي أحدث "تمازجا عرقيا" نتج عنه تمازج حضاري ظهر جليا مع مطلع القرن الثالث الهجري[4]. وحتى في العهدين الأموي والفاطمي ورغم العداء السياسي والاختلاف المذهبي بينهما إلا أن ذلك لم يحل دون الاتصال الثقافي بينهما و من بين مظاهر هذا الاتصال هجرة الكثير من العلماء وتنقلهم بين البلدين للاستزادة من العلوم ومن هؤلاء العلماء الذين هاجروا إلى الأندلس في تلك الفترة نذكر:

---

[1]- سامية مصطفى السيد، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، 2000، ص 175.

[2] - كمال السيد أبو مصطفى، محاضرات في تاريخ الغرب الإسلامي وحضارته، مركز الإسكندرية للكتاب،2007 ، ص 35، العبادي، المرجع السابق، ص 233.

[3]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص 38.

[4] ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، ص 17.

محمد بن هشام بن الليث اليحصبي[1] ومحمد بن الحارث الخشني[2] وغيرهم كثير لا يتسع المجال لذكرهم[3] أما عن العلماء الأندلسيين الذين هاجروا نحو المغرب فمن أشهرهم: محمد بن يوسف الوراق[4].

ومن العوامل المهمة التي شجعت على هذا الامتزاج الثقافي انتشار الحواضر الثقافية بين البلدين واتصالها اتصالا وثيقا في عصر الخلافة ومن أشهرها القيروان، وتاهرت، قرطبة[5]، اشبيلية وغيرها[6].

---

[1]- يكنى بأبي عبد الله، روى عنه كثيرا من مشايخ القيروان مثل: يحيى بن عمر، رحل إلى الأندلس واستقر بقرطبة واشتغل بالأوقاف وكان أديبا، توفي سنة 343هـ، ينظر: ابن الفرضي، تاريخ الرواة والعلماء بالأندلس، تحقيق: السيد عزت العطار الحسني، ج2، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988، ص 113.

[2]- ولد ونشأ بالقيروان سمع عن علماء إفريقية ارتحل إلى الأندلس سنة 312هـ واستقر بقرطبة، كان حافظا للفقه عالما بالفتيا، ألف للخليفة المستنصر كتبا عديدة، وله كتاب قضاة قرطبة، توفي سنة361 هـ، ينظر: ابن الفرضي، المصدر نفسه، ص- ص 111_115.

[3]- لمزيد من الإطلاع والتفصيل حول العلماء المهاجرين نحو الأندلس في عصر الخلافة، ينظر: سامية مصطفى السيد، المرجع السابق، ص- ص 177_180.

[4]- أصله من الأندلس من مدينة وادي الحجارة انتقلت أسرته إلى القيروان أين نشأ وتعلم بها، ثم عاد إلى الأندلس ودخل في خدمة الخليفة الحكم المستنصر وألف له كتابا حول مسالك إفريقية وممالكها، ينظر: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي، بغية الملتمس في رحال أهل الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري ، 1989، ص- ص 182_183.

[5]- قاعدة الأندلس، وأم مدائنها، ودار الخلافة الأموية، بها المسجد الجامعي، سقطت في يد النصارى سنة 633هـ/1253م، الحميري، صفة جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص 153.

[6]- سامية مصطفى السيد، الرجع السابق، ص 188.

ومن مظاهر هذا الاتصال انتشار مذهب مالك[1] في الأندلس والمغرب وامتداد المذهب الشيعي[2] إلى الأندلس، كما ساهم التواصل الثقافي بينهما في ازدهار الدراسات اللغوية والأدبية والعلوم العقلية من طب وصيدلة ورياضيات وفلك...الخ[3].

وقد قوى الاتصال الحضاري بين العدوتين في العهد المرابطي والموحدي بحكم أن الأندلس أصبحت تابعة للمغرب، فقد استخدم البلاط المرابطي منذ عهد يوسف بن تاشفين العديد من العلماء والأدباء الأندلسيين في مناصب الوزارة والكتابة[4]، ومن هؤلاء الكتاب محمد بن سليمان الكلاعي الإشبيلي المعروف بابن قصيرة[5].

أما في العهد الموحدي فيلاحظ انتقال الكثير من مظاهر الفن الأندلسي إلى المغرب وفي هذا السياق يقول ابن خلدون:"... وأما المغرب فقد انتقل إليه منذ دولة الموحدين من الأندلس

1- نسبة إلى إمام الأئمة و فقيه الأمة أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمر بن الحارث بن غيمان بن خثيل الأصحبي المدني، ولد شمال المدينة المنورة سنة 93 هـ، اهتم بالحديث الشريف و دون كتابه " الموطأ" جمعه في نحو أربعين سنة و معناه " الممهد و المنقح" توفي رحمه الله سنة 179 هـ و دفن بالبقيع، انتقل مذهبه إلى إفريقية في عهد الولاة الأغالبة علي يد سحنون، و لا يزال هو السائد في الشمال الإفريقي و في كل أنحاء افريقية الوسطى و الغربية، ينظر: أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، موطأ الإمام مالك، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط2، المكتبة العلمية، بيروت، ص 09، ألفرد بيل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 127.

2- أقدم المذاهب السياسية والإسلامية ظهر أواخر عهد عثمان رضي الله عنه ونمى في عهد علي رضي الله عنه، ويتفق الشيعة على أن علي هو الخليفة المختار من النبي صلى الله عليه وسلم وأنه أفضل الصحابة رضوان الله عنهم، وقوام هذا المذهب أن الإمام ليس من صالح العامة بل يجب تعيينه من آل البيت ويكون معصوما من الكبائر، ينظر: محمد عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، ج1، مطبعة مصطفى باي الحلبي وأولاده، مصر، 1967، ص- ص 146_147، محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد، ج1، دار الفكر العربي، مطبعة السعادة، ص 25.

3- سامية مصطفى السيد، المرجع السابق، ص- ص 207-208.

4- عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين، القسم الأول، مكتبة الخانجي، 1990، ص 439.

5- يكنى بأبي بكر نشا بالأندلس كان من وزراء بني عباد ثم دخل في خدمة يوسف بن تاشفين وأصبح كاتبا له، نظم الكثير من الأشعار منها قصيدة في هجو ابن ذي النون، توفي سنة 508، ينظر: لسان الدين في الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، المجلد الثاني، مكتبة الخانجي، 1984، ص- ص 515_521.

حظ كبير من الحضارة واستحكمت به عوائدها بما كان لدولتهم من الاستلاء على بلاد الأندلس وانتقال العديد من أهلها إليهم طوعا أو كرها.. فأبقوا بها وبأمصارها من الحضارة أثرا..."[1].

إلا أن هذا القول لا ينفي انتقال العديد من مظاهر الفن والزخرفة الأندلسيين، فقد شكل المغرب والأندلس في العهد المرابطي وحدة فنية تجلت من خلال تأثر الحكام المرابطين رغم طبيعتهم الصحراوية بالحضارة الأندلسية ومظاهر الأبهة فتأنقوا في الملبس والمأكل واتخذوا مجالس للشعراء والمغنيين خاصة في عهد علي بن يوسف[2]، كما تأثروا أيضا بالفنون الزخرفية الأندلسية فأدخلوها للعمارة المرابطية وخير دليل على ذلك جامع تلمسان الشبيهة زخارفه بزخارف قصر الجعفرية بسرقوسطة[3].

[1]- عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 375.

[2]- حميدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، 1997، ص 326.

[3]- نفسه، ص- ص 345_346، أيضا:

Rachid Bourouiba, L'art religieux Musulman en Algérie, S.N.E.D, Alger, p :120 .

الفصل الأول

الواقع السياسي للمغرب الأدنى و الأندلس من ق 7 هـ إلى 9 هـ و دوافع الهجرة الأندلسية

أولا/ الواقع السياسي للمغرب الأدنى

ثانيا/ الواقع السياسي للأندلس

ثالثا/ مراحل الهجرة الأندلسية

أولا: الواقع السياسي للمغرب الأدنى

1/ أصل بني أبي حفص وبداية ظهورهم:

ينتسب بنو أبي حفص إلى الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي[1] زعيم قبيلة هنتاتة[2]، وقد قام بدور متميز في قيام الدولة الموحدية بحيث مهد لخلافة عبد المؤمن بن علي وتوفي أبو حفص سنة 571هـ/1175م[3] وترك العديد من الأولاد الذين تمكنوا من تولي مناصب مهمة في الدولة ومنهم: إبراهيم وإسماعيل ومحمد ويحيى وعيسى وموسى وعبد الواحد الذي حظي بمكانة متميزة فأصبح كبير أشياخ الموحدين وذا نفوذ في قصورهم[4].

وقد ساهمت الظروف التي كانت تعيشها إفريقية في الربع الأخير من القرن السادس الهجري بدور كبير في ظهور الحفصيين، إذ كانت القبائل العربية التي انتقلت إلى بلاد المغرب في القرن الخامس الهجري تتحكم في معظم البلاد، إضافة إلى انتقال الصراع الذي كان قائما بين بقايا المرابطين والموحدين من الأندلس إلى إفريقية وتعد ثورة بني غانية مظهرا من مظاهر هذا الصراع[5].

اغتنم بنو غانية اشتغال الموحدين بحركة الاسترداد المسيحية في الأندلس فسيطروا على بجاية في اليوم السادس من شعبان سنة 580هـ/1184م[6]، وأقاموا الخطبة للخليفة العباسي

---

[1]- من أصحاب المهدي بن تومرت العشرة الذين يسمون بالجماعة، واسمه الحقيقي هو "فاصحكة بن وامزال" والمهدي هو الذي سماه بابي حفص عمر، ينظر: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 243.

[2]- موطنها جبال درن، وهو جبل متاخم لمراكش، وهي قبيلة ضخمة في بعضها رياسة وشرف ينظر: ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 360.

[3]- ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 372.

[4]- محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، 1964، ص381.

[5]- بلحسن إبراهيم، العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن 7هـ إلى القرن 9هـ/13إلى15م، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان ، 2004-2005، ص 20 .

[6]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 195.

أحمد الناصر، فأصبحت بجاية منطلقا لنشاطهم في إفريقية، وللقضاء عليهم جهز الخليفة الموحدي المنصور حملة عسكرية استرد خلالها بجاية في سنة 581هـ/ 1185م فاضطر بنو غانية إلى الفرار شرقا[1].

تجددت هذه الثروة في عهد الخليفة الناصر لدين الله وتمكنت من الاستلاء على تونس[2] والمهدية و بلاد الجريد[3]، ودعا بنو غانية للخليفة العباسي فرأى الناصر أن استقرار نفوذ الموحدين في إفريقية لا يتم إلاّ إذا استولى على جزر البليار ـالجزائر الشرقيةـ قاعدة بني غانية فوجه حملة بحرية كبرى أسند قيادتها إلى عمه أبي العلاء إدريس، وأسند قيادة الجيش إلى أبي سعيد عثمان بن حفص فخرج إليهم عبد الله بن غانية فقُتل وبذلك تمكن الموحدون من الاستيلاء على جزر البليار وهي: ميورقة ومنورقة ويابسة في شهر ذي الحجة من سنة 599هـ/1202م، ثم أقام الخليفة ابن طاع الله واليا عليها[4].

بعد القضاء على بني غانية في جزر البليار تحرك الناصر سنة 601هـ/1204م قاصدا إفريقية لاستئصال شئفتهم هناك فاسترجع المهدية، ولما علم يحيى بن غانية بقدومه فر إلى قفصه[5] إلاّ أن جيوش الناصر لحقت به بقيادة أبي محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص عمر فالتقيا

1– لي تورنوروحي، حركة الموحدين في المغرب خلال القرنيين الثاني والثالث عشر ميلادي، ترجمة: أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982، ص 84.

2– مدينة محدثة بإفريقية، بنيت عام 80هـ/699م، وهي حاضرة ملك الحفصيين بينها وبين القيروان مسيرة ثلاث أيام، وبينها وبين البحر أربعة أيام، ينظر: الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص 143.

3– بلاد الجريد و هي بلاد قسطيلية التي تشمل على: توزر و ضواحيها و نفطة و ضواحيها، قنطرار، الحامة، سدادة وتيقوس، ينظر: البكري، المصدر السابق، ص:38-39-74-75.

4– عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق،ص: 231-232، عز الدين عمر موسى، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ط1، دار الشروق، بيروت، 1983، ص 103.

5– مدينة من بلاد الجريد متوسطة بين القيروان وقابس بها عيون كثيرة، ينظر: الحميري، الروض، المصدر السابق، ص477.

عند تاجرا[1] بضواحي قفصه ودارت بينهما معركة انتهت بانتصار أبي حفص وفرار يحيى بن غانية إلى الصحراء[2].

هذا الانتصار كان له صدى لدى الخليفة الموحدي الناصر حيث ازدادت قيمة عبد الواحد بن أبي حفص عند الناصر الموحدي لهذا عندما أراد أن يختار واليا جديدا على إفريقية قبل عودته إلى مراكش لم ير من هو أنسب لذلك غير عبد الواحد بالرغم من أن هذا الأخير لم يكن راغبا في تلك الولاية إلا أن الخليفة استطاع إقناعه قائلا: "... إما أن تتوجه أنت إلى المغرب وأجلس أنا بإفريقية، وإما أن تجلس أنت وأنصرف أنا..."[3] فاضطر عبد الواحد إلى قبول الولاية بشروط ومن بينها: أن يختار بنفسه من يبقى معه من الرجال الموحدين وأن يتلقى كل المساعدات التي يحتاجها لأداء مهمته وأن تكون له حرية الاختيار فمن يعزله أو يوليه. فوافق الخليفة على هذه الشروط وأعلنت ولاية عبد الواحد على إفريقية ورجع الخليفة إلى مراكش[4].

عمل الشيخ أبو محمد عبد الواحد بعد توليه إفريقية على توطيد أمور البلاد وتنظيمها وإصلاح ما نتج عن الفوضى التي أحدثها بنو غانية وتحولت تونس فعلا إلى عاصمة لإفريقية وجعل يوم السبت للنظر في أمور البلاد ومسائل العباد[5].

ولما توفي الخليفة الناصر تولى الخلافة ابنه المستنصر في شعبان سنة 610هـ/1213م واستمر الشيخ أبو محمد في ولايته لإفريقية حتى توفي في محرم سنة 618هـ / 1221م[6].

---

[1]- موضع من أحواز قابس يقال له لاقية، ينظر: الحميري، الروض، المصدر السابق، ص 125.

[2]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 373، ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق: محمد الشاذلي النفير، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس 1986، ص 104،محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص ص 85_86.

[3]- أبي عبد الله الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، دت، ص18.

[4]- أبو عبد الله الشماع ، الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، 1984، ص-ص 49_50، ابن قنفذ، المصدر السابق، ص- ص 103_104، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 234.

[5]- ابن الشماع ، المصدر نفسه، ص 51.

[6]- الزركشي، المصدر السابق، ص 19.

2/استقلال الحفصيين بإفريقية:

خلف عبد الواحد على إفريقية ابنه أبو زيد الذي لم تدم ولايته إلا ثلاثة شهور حيث أدرك الخليفة المستنصر أنّ اختيار أبي زيد للولاية دليل على رغبة الحفصيين في الاستقلال بإفريقية فسارع إلى تعيين السيد أبي العلاء بن أبي يعقوب بن عبد المؤمن واليا على إفريقية على أن ينوب عنه الشيخ أبو إسحاق بن إسماعيل بن الشيخ أبي حفص لحين وصوله وفي نفس الوقت أرسل إلى أولاد الشيخ أبي حفص يأمرهم بالعودة إلى مراكش[1].

ولما تولى أبو العلاء إمارة تونس تجددت حركة بني غانية فتحرك إليهم واليها سنة 620هـ/1223م. وطاردهم حتى أجلاهم إلى الصحراء .ولما تولى الخلافة العادل سنة 621هـ/1224م رأى أن استتباب الأمن بإفريقية تم بفضل الحفصيين فعين بصفة مؤقتة أبو عمران موسى بن إسماعيل في انتظار قدوم أبي محمد عبد الله بن الشيخ أبي محمد عبد الواحد[2].

بدأ نفوذ الحفصيين يتسع في إفريقية بعد وصول أبي محمد عبد الله الحفصي إلى تونس في 1 ذي القعدة سنة 623هـ/1225م رفقة إخوته[3] فأول عمل قام به هو تعيين إخوته في المناصب المهمة إذ ولى أخاه أبا زكرياء يحيى قابس[4] والحامة[5] وأبا إبراهيم بلاد قسطيلية[6] ثم سعى إلى قهر ثورة بني غانية التي كانت تتجدد من حين لآخر خاصة في أواخر سنة 623هـ

---

[1]- عاشور بوشامة، علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس 626_981هـ/1228_1573م، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1991م، ص: 48.

[2]- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني محمد بن تاويت، محمد زبير عبد القادر زمامة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985، ص- ص :291_292.

[3]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 379، الزركشي، المصدر السابق، ص: 21.

[4]- مدينة عامرة بإفريقية تحيط بها الغابات وتشتهر بزراعة الزيتون، بينها وبين القيروان أربع مراحل و بينها وبين طرابلس ثمانية أيام، ينظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 279، الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص 450.

[5]- جزء من بلاد الجريد، تقع جنوب شرق إفريقية على مقربة من قابس، وتقع غربها، ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 48.

[6]- بلاد واسعة بإفريقية تقع في بلاد الجريد بها مدن عديدة منها: توزر الحامة، نفطة، تيقوس، ينظر: الحميري، الروض، المصدر السابق، ص 480، الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 348.

وتمكنت من اقتحام بجاية ثم تدلس[1] ومتيجة ومليانة و مدينة الجزائر[2] وكان بنو غانية يعيشون فسادا أينما وجدوا[3] وفي منتصف سنة 624هـ/1126م وكرد فعل على هذه الحركة انطلق الشيخ أبو محمد عبد الله في ملاحقة بني غانية وتحرير ما استولوا عليه ووضع حدا لنشاطهم الدموي، فهاجم القبائل التي وقفت إلى جانبهم ولاحقهم إلى نواحي سجلماسة[4]. ثم عاد إلى تونس في شهر رمضان من نفس السنة وكان ذلك نهاية لنشاطهم[5].

و بقضاء أبي محمد عبد الله على نشاط بني غانية يعتبر واضع الأسس الأولى للكيان السياسي الحفصي إلاّ أن الأحداث التي وقعت في مراكش كان لها أثر واضح على التطورات السياسية في إفريقية، فلما قتل الخليفة الموحدي العادل بمراكش سنة 624هـ/1226م خلفه يحيى المعتصم إلاّ أن أبا العلاء الموحدي والي إشبيلية تحرك نحو مراكش وتمكن من الاستحواذ على الخلافة وتسمى بالمأمون، ثم بعث مباشرة إلى أبي محمد الحفصي يطلب منه الولاء له وأخذ البيعة له من شيوخ الموحدين، إلاّ أن أبا محمد رفض طلب الخليفة فاتصل هذا الأخير بأبي زكريا الحفصي طالبا منه الطلب نفسه فوافق أبو زكريا وأخذ له البيعة من قابس والحامة التي كانت تحت ولايته[6].

---

[1]– مدينة ساحلية تقع بين بجاية ومدينة الجزائر، بينها وبين بجاية حوالي تسعون ميلا وبينها وبين الجزائر حوالي ستة وستون ميلا، ينظر: الحميري، الروض، المصدر السابق، ص 132.

[2]– مدينة جليلة قديمة البناء على ضفة البحر بينها وبين بجاية أربعة أيام وبينها وبين شرشال سبعون ميلا ويتصل بها سهل متيجة، ينظر: الحميري، المصدر نفسه، ص 163، الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 258، الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 132.

[3]– ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص379.

[4]– مدينة في جنوب المغرب الأقصى، تقع على طرف بلاد السودان، وتبعد عن فاس بعشرة أيام وهي مدينة كبيرة عامرة مقصد للوارد والصادر كثيرة الخضر والجنات، ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 192، الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 258.

[5]– ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 388.

[6] نفسه، ص 380.

وكمكافأة له على ذلك عينه المأمون واليا على إفريقية بدل أخيه أبي محمد فأعلن ولايته على إفريقية في القيروان يوم 18رجب 625هـ/1228[1] بعد أن كسب تأييد ابن المكي[2] كبير أعيان قابس، وعندما علم أخوه أبو محمد بهذه التطورات خرج من تونس نحو القيروان لمواجهته، فلما بلغها تخلى عنه شيوخ الموحدين مدعين عدم موافقتهم على محاربته لأخيه، فقبضوا عليه وأجبروه على التخلي عن الولاية وبايعوا أخاه أبا زكريا[3]. كانت هذه المبايعة بمثابة الخطوة الأولى للدور الذي سيلعبه أبو زكريا الحفصي في الانفصال عن الدولة الموحدية وتأسيس الدولة الحفصية.

[1]- ابن الشماع ،المصدر السابق، ص 54، الزركشي، المصدر السابق، ص 23.

[2]- من قبيلة لواتة البترية، انتشرت هذه الأسرة في قابس وسفاقص وأقامت إمارة مستقلة عن الحفصيين في قابس استمرت من قيام الدولة الحفصية إلى سنة 796هـ، ينظر: ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص -ص 606_607.

[3]- ابن عذارى، البيان المغرب قسم الموحدين، المصدر السابق، ص 292، الزركشي، المصدر السابق، ص 23.

3/ دور أبي زكريا في تأسيس الدولة الحفصية:

ما لبث أبو زكريا أن انتقل إلى تونس في نفس السنة وجددت له البيعة يوم 24 رجب 625هـ[1]، وقد استغل أبو زكريا إلغاء المأمون للدعوة الموحدية رسميا فأعلن عدم الولاء له سنة 626هـ/1228م و دعا لمنافسه على الخلافة يحيى المعتصم لكنه سرعان ما عدل عن ولائه ليحيى المعتصم وأعلن انفصاله التام عن الدولة الموحدية سنة 627هـ/1229م وتلقب بالأمير[2].

وبعد إعلان أبي زكريا يحيى الانفصال عن الدولة الموحدية شرع في رسم حدود دولته وتثبيت سلطانه على مختلف مناطق إفريقية، فاستولى على قسنطينة دون مقاومة في شعبان 628هـ/1228م. وأخرج منها حاكمها الموحدي ابن أبي عبد الله بن يعقوب المنصور ثم خلع أخاه أبا عمران عن بجاية وولى على المدينتين حكاما من قبله[3].

واستكمالا لسلطانه التام على تونس بويع البيعة الثانية سنة 634هـ/1237م وأمر بذكر اسمه في الخطبة ولكنه لم يسم نفسه "أمير المؤمنين"[4] واقتصر كما أشرنا على الأمير ومما يؤكد هذا السلطان مبايعة معظم أهل الأندلس له حيث بايعه أهل بلنسية سنة 636هـ/1239 وأهل مرسية[5] سنة 637هـ/1240م[6] وبذلك أصبح أبو زكريا الشخصية الأقوى في المغرب والدعامة الحقيقية للقوة الإسلامية في الأندلس في ظل ضعف الدولة الموحدية .

1- ابن الشماع، المصدر السابق، ص 54.

2- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 381.

3- ابن عذارى، المصدر السابق، ص 293، ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 382، الزركشي، المصدر السابق، ص 25.

4- الزركشي، المصدر السابق، ص 27، ابن الشماع، المصدر السابق، ص 58.

5- بينها وبين بلنسية خمس مراحل وبينها وبين قرطبة عشر مراحل، بناها عبد الرحمان بن الحكم، ينظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص 181.

6- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص- ص 385_386.

وفي سنة 639 هـ/1242م تحرك أبو زكريا الحفصي نحو مدينة تلمسان[1] في جيوش وعساكر ضخمة حوالي 64 ألف فسيطر عليها ودخلت تحت طاعته[2].

وفي سنة 640 هـ/1243م وصلته بيعة سبتة من قبل رئيسها ابن الخلاص[3] وبيعة ألمرية[4] من قبل رئيسها محمد الرميم[5] وبداية من سنة 641هـ/1244م بايعته بقية أهل الأندلس وقد وصلته وفود من أهل طريف[6] وشريش[7] تبايعه وفي سنة 643هـ/1246م بايعته إشبيلية وغرناطة ومنذ ذلك الحين أخذ أهل الأندلس يخطبون الخطبة باسمه إلى أن توفي في سنة 647هـ/1250م. وكان قبل وفاته قد أخذ البيعة لابنه أبي يحيى زكريا الملقب بالمستنصر سنة 638هـ/1241م[8].

إن هذه الجهود المضنية التي بذلها أبو زكريا في تثبيت دعائم السلطة الحفصية على إفريقية ومختلف مناطق المغرب الإسلامي تجسدت في تلك المبايعات التي وصلته من أهل الأندلس، واعتراف بني مرين بسلطته وبالدولة الحفصية[9] دليل على مدى القوة التي بلغها بنو

---

[1] – قاعدة بلاد المغرب الأوسط، مدينة أزلية لها سور حصين وهي عبارة عن مدينتان بفصل بينها سور، الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 248.

[2] – دخلت الدولة الزيانية في طاعة الحفصيين نتيجة للاتفاق الذي تمّ بين والدة يغمراسن "سوط النساء" وأبي زكريا والذي نص على السماح ليغمراسن بن زيان بالعودة لرآسة قومه بني عبد الواد شريطة البقاء تحت طاعته، ينظر: ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص- ص 391_392.

[3] – هو أبو علي بن الخلاص من أهل بلسية دخل في خدمة الخليفة الموحدي الرشيد فعقد له على سبتة فاستقل بها، ولما توفي الرشيد واستفحل أمر أبي زكريا بإفريقية أعلن بيعته له، ينظر: ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص 394.

[4] – قاعدة من قواعد الأندلس، أسسها عبد الرحمان بن معاوية وأسكنها مواليه، بينها وبين غرناطة ستة أميال، ينظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص 29.

[5] – هو عبد الله محمد بن الرميم كان وزيرا لمحمد بن هود صاحب ألمرية، ولما توفي ابن هود استبد بملك ألمرية وأعلن البيعة لأبي زكريا الحفصي بعد مضايقة ابن الأحمر له، ينظر: ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص 395.

[6] – جزيرة بينها وبين الجزيرة الخضراء 18ميلا، تسمى طريف نسبة إلى طريف قائد سرية الفتح و مولى موسى بن نصير وهومن البربر يكنى بأبي زرعة، وقد نزل بها. ينظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص 127.

[7] – من مدن شذوذة بالأندلس، بينها وبين قلشانة خمس وعشرين ميلا وهي على مقربة من البحر، ينظر: الحميري، المصدر نفسه، ص 127.

[8] الزركشي، المصدر السابق، ص 32.

[9] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص 397.

حفص في عهد أبي زكريا الحفصي، و لم تكن تلك الجهود مقتصرة على الجانب السياسي بل قام كذلك بالعديد من المنجزات الحضارية سيتم التطرق إليها في الفصل الثاني.

4/التطورات التاريخية للدولة الحفصية:

بعد وفاة أبي زكريا الحفصي اعتلى عرش الدولة الحفصية ابنه أبو عبد الله محمد الملقب **بالمستنصر بالله** و يعتبر أول من تلقب " بالخليفة" و تسمى أيضا " بأمير المؤمنين" بعد أن وصلته بيعة شرفاء مكة المكرمة سنة 675هـ/1259م[1]، فأصبح بذلك وريثا للخلافة العباسية التي سقطت بسقوط بغداد على يد التتار[2].

و من أهم الأحداث التي عرفها عهد المستنصر بالله الحملة التي شنها ملك فرنسا لويس التاسع على مدينة تونس سنة 669هـ/1270م[3]، و قد انتهت بعقد معاهدة بين الطرفين نصت على جلاء القوات النصرانية عن مدينة تونس مقابل أن يدفع الخليفة المستنصر تكاليف الحملة ويضمن عدم التعرض للتجار و رجال الدين المسيحيين المتواجدين فوق الأراضي الحفصية[4].

و قد استغل الزيانيون ظروف هذه الحملة على تونس و حاولوا التخلص من ولائهم النهائي للحفصيين و توسيع نفوذهم في المغرب الأوسط[5] إلا أن فشل هذه الحملة زاد من هيبة الدولة الحفصية فكاتب المستنصر حكام بلاد المغرب يخبرهم بما آلت إليه الحملة[6]، فكان ممن أرسلهم الفقيه أبو القاسم بن أبي بكر بن زيتون الذي أُرسل إلى يغمراسن بن زيان بتلمسان[7].

1- محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، الجزء الأول، القسم الرابع، الدار التونسية للنشر، تونس، 1970، ص 1028.

2- التتار قبائل تنسب إلى المغول بآسيا الصغرى، ينظر: أحمد مختار العبادي، في التاريخ الأيوبي و المملوكي، موسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، دت، ص 137.

3- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 429، ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 136.

4- عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص 92.

5- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص 120.

6- نفسه، ص 429.

7- ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 132.

توفي الخليفة المستنصر سنة 675هـ/1277م فخلفه ابنه المولى أبو زكريا يحي و تلقب **بالواثق**، و قد خرج عليه عمه أبو إسحاق إبراهيم الذي كان قد فر إلى الأندلس أيام المستنصر فعاد إلى تونس و بويع بالخلافة سنة 678هـ/1279م[1]، إلا أن حكمه لم يدم طويلا حيث خلفه ابن أبي عمارة المسيلي[2] الذي استولى على الحكم سنة 681هـ/1282م و قتل أبا إسحاق بينما فر أبو زكريا يحيى بن أبي إسحاق نحو تلمسان و التجأ إلى يغمراسن بن زيان وبقي بها يتحين الفرص لاستعادة الملك[3].

و في سنة 683هـ/1284م تمكن أبو حفص عمر بن أبي زكريا الواثق من القضاء على ابن أبي عمارة المسيلي[4] و استعاد ملك أبيه الواثق، و في هذه الأثناء استولى أبو زكريا الحفصي على مدينة بجاية و أعلن نفسه أميرا عليها[5]، فانقسمت بذلك الدولة الحفصية إلى شطرين: القسم الشرقي و عاصمته تونس و القسم الغربي و عاصمته بجاية.

و في ظل هذه الظروف حاصر الزيانيون مدينة بجاية سنة 686هـ/1287م و جددوا بيعتهم لأبي حفص عمر بتونس[6].

و لما تولى أبو عبد الله محمد الثاني الحفصي الملقب **بأبي عصيدة**[7] الحكم عزم على إخضاع القسم الغربي و توحيد الدولة الحفصية، كما أيد الحصار الذي ضربه المرينيون على

1- الوزير السراج، المصدر السابق، ص-ص: 1035-1036.

2- هو احمد بن مرزوق المشهور بالدعي، ولد بالمسيلة و تربى ببجاية، كان جامعا لحرفة الخياطة و الصناعة، و قد خالط السحرة الذين نجموا له أنه سيكون له شأن عظيم و قد لقب بالدعي لأنه ادعى أنه الفضل بن الواثق بن المستنصر، ينظر:= =ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 139، ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 441، الزركشي، المصدر السابق، ص 46-47، ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 141.

3- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 445، ابن الشماع، المصدر السابق، ص-ص 78-79.

4- الوزير السراج، المصدر السابق، ص 1038ن الزركشي، المصدر السابق، ص 50.

5- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 449.

6- نفسه، ص 450.

7- هو ابن المولى أبي زكريا يحي بن المستنصر بالله، بويع له بالخلافة سنة 694هـ/1295م دامت خلافته أربع عشر سنة و ثلاثة أشهر، توفي بمرض الاستسقاء سنة 709هـ/1309م، ينظر: ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 141.

تلمسان سنة 698هـ/1298م[1] فاضطر الزيانيون إلى الاستنجاد بصهرهم حاكم بجاية أبو زكريا الحفصي الذي لبى طلبهم، كما أنهم أعلنوا عن إنهاء ولائهم التام للحفصيين[2].

بعد إعلان الزيانيين عن إنهاء ولائهم التام للحفصيين بدأت تحرشاتهم بالدولة الحفصية وخاصة القسم الغربي منها، فحاولوا عدة مرات السيطرة على بجاية و قسنطينة و الجزائر مستغلين الظروف الداخلية للدولة الحفصية فتمكنوا في عهد أبي تاشفين الزياني (718-737هـ/1318-1337م) من فرض الحصار على مدينة بجاية سنة 729هـ/1328م ودخول العاصمة تونس لأول مرة في شهر صفر سنة 730هـ/1329م و سلمت مقاليد الحكم لابن أبي عمران[3]، لكن سرعان ما استعاد السلطان الحفصي أبو يحيى أبو بكر (718-747هـ/1318-1346م) عاصمته في شهر رجب من نفس السنة[4].

و لوضع حد لمثل هذه الحملات المتكررة استنجد السلطان الحفصي أبو يحيى أبو بكر بالسلطان المريني أبي سعيد فعقد الطرفان اتفاقية لمواجهة الزيانيين[5].

اغتنم الحفصيون هذه الاتفاقية لتثبيت أركان دولتهم و تقويتها لكن سرعان ما انقسمت الدولة ثانية فانحصر نفوذ الدولة في القسم الشرقي من البلاد بينما سيطر المرينيون[6] على القسم الغربي خلال الفترة الممتدة بين سنتي 754-758هـ/1353-1356م، ثم

---

[1]- استمر الحصار المريني لتلمسان ثماني سنوات، حيث انتهى بوفاة أبي يوسف يعقوب المريني سنة 706هـ/1306م، وقد عانت تلمسان خلال سنوات هذا الحصار ظروف صعبة جدا، ينظر: الناصري السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص 79-80، ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص 292.

[2]- ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 122.

[3]- هو محمد بن أبي بكر صهر أبي يحيى زكريا اللحياني الحفصي، اشتهر بابن أبي عمران و كان يعيش في البلاط الزياني، ينظر: ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 487.

[4]- ابن خلدون، المصدر نفسه، ص-ص 496-497، يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، الجزائر، 1980، ص 218.

[5]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص-ص 497-498.

[6]- يرجع التواجد المريني لأول مرة بالمغرب الأدنى إلى دخول أبي الحسن المريني العاصمة تونس سنة 748هـ/1347م بعد تحريض من الحاجب ابن تافرجين، ينظر: ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 183.

اقتصرت السيطرة المرينية على قسنطينة في سنة 761هـ/1360م و على بجاية حتى سنة 765هـ/1363م[1].

و بحلول سنة 772هـ/1370م تولى حكم الدولة الحفصية الأمير **أبو العباس أحمد بن المستنصر** (772-796هـ/1370-1394م) ويعتبر تاريخ توليه السلطة منعطفا حاسما وجديدا في تاريخ الدولة الحفصية إذ استطاع بفضل خبرته و حنكته السياسية و جهوده الجبارة إعادة توحيد الدولة الحفصية[2]، و في عهده و بالتحديد في الخامس من شعبان سنة 792هـ/1390م وجه الأراجونيون حملة ضد مدينة المهدية و نزولها و أقاموا فيها نحو شهرين فبعث إليهم أبو العباس جيشا أوكل قيادته لأخيه المولى أبي يحيى فحدثت بين الطرفين وقائع عدة اضطر خلالها النصارى إلى الارتحال عن المدينة خائبين[3].

و بعد وفاة أبو العباس خلفه ابنه أبو **فارس عبد العزيز** (796-837هـ/1394-1433م) و يعتبر من ألمع سلاطين بني حفص و قد وصفه ابن قنفذ فقال: " رتب الأحوال وأعطى الأموال و أخذ بالحزم في إمارته و جعل في خطته من يصلح لها... "[4].

و قد حاول أبو فارس إحياء السياسة التوسعية لأجداده أبي زكريا و ابنه المستنصر فتمكن من دخول تلمسان سنة 827هـ/1424م بعد أن استنجد به أبو عبد الله محمد حفيد أبي تاشفين فعينه أميرا عليها شرط أن يدين له بالولاء[5].

و في فترة حكمه نزل النصارى جزيرة جربة بتاريخ 17 ذي الحجة 835هـ/1432م وكان السلطان إذ ذاك ببلاد الجريد فرجع و واجههم إلى أن رحلوا عنها خائبين[6]، و مما أشاد

---

[1]- ابن الشماع، المصدر السابق، ص-ص 94-95، الوزير السراج، المصدر السابق، ص 1054، الناصري السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص 184.

[2]- عبد الناصر جبار، بنو حفص و القوى الصليبية في غرب البحر المتوسط في القرنين الثامن و التاسع الهجري 14-15م، رسالة ماجستير، القاهرة، 1990، ص 35.

[3]- ابن الشماع، المصدر السابق، ص 111، الزركشي، المصدر السابق، ص 112، ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج 6 ، ص 579.

[4]- ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 189.

[5]- الزركشي، المصدر السابق، ص 125-126.

[6]- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 155، ابن الشماع، المصدر السابق، ص-ص 116-117.

به معظم المؤرخين من أعمال السلطان أبو فارس إرساله مساعدات مالية لمسلمي الأندلس وإنشائه أساطيل كثيرة شحنها بالخيل و الرجال و أغار بها على أرض العدو[1].

و من أبرز و أطول فترات الحكم الحفصي الفترة التي حكم فيها حفيد أبو فارس و هو الأمير أبو عمرو عثمان حيث امتدت من سنة 839هـ/1453م إلى سنة 893هـ/1488م، و قد كان له دور كبير في إخضاع القبائل العربية بإفريقية[2].

و بوفاته سنة 893هـ/1488م تولى بعده ابن عمه أبو زكريا يحيى الحفصي (893-899هـ/1488-1493م)[3] و منذ عهده بدأت الدولة الحفصية تدخل مرحلة الضعف والانحطاط نتيجة للفتن الداخلية و بداية التحرشات الإسبانية و البرتغالية بسواحل بلاد المغرب بما فيها سواحل المغرب الأدنى.

---

[1]- نفسه، ص 153، الزركشي، المصدر السابق، ص 116، الوزير السراج، المصدر السابق، ص-ص 1077-1078، ابن الشماع، المصدر السابق، ص 117.

[2]- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص-ص 157-158.

[3]- نفسه، ص 159، الوزير السراج، المصدر السابق، ص 1089-1090.

ثانيا: الواقع السياسي للأندلس:

إن الأوضاع السياسية التي مر بها المغرب مع مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي والمتمثلة في ضعف الدولة الموحدية وتفككها، إضافة إلى انتشار ثورة بني غانية في إفريقية كان لها انعكاس سلبي واضح على الأوضاع السياسية في الأندلس فقد تسارعت وتيرة الهجمات المسيحية من الشمال (قشتالة وأرغون) والغرب (البرتغال) في إطار ما يعرف **بحروب الاسترداد**.

1/حروب الاسترداد:

يرجع تاريخ حروب الاسترداد إلى السنوات الأولى من الفتح الإسلامي للأندلس، إذ أن الجيوش الإسبانية التي انهزمت أمام المسلمين كانت تتقهقر نحو الشمال تاركة الجنوب للجيوش الإسلامية الفاتحة، مع العلم أنها كانت مجرد جماعة صغيرة ولا تمثل جهاز دولة إلا أنها لم تقبل الخضوع لحكم المسلمين والتزمت الصمت والسكون وبدأ تنظيمها السري بعيدا عن رقابة النظام وأصحابه ثم انضمت لها أعداد أخرى[1]، وقد ظهر خطرها أيام ضعف المسلمين وخلافاتهم وازداد تطورها حتى تشكلت منها الإمارات المسيحية القوية في الشمال، ومن أبرز زعمائها: بلاي أو بلاجيوش[2] وشارل مارتل وغيرهما ومما زاد من قوتها ظهور الحركات القومية المتعصبة منذ القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي[3]، والتي كان يغذيها رجال الدين وقد رفعت شعار استرداد الأراضي الإسبانية المغتصبة من أيدي المسلمين في وقت ضعف فيه

[1]- حسن علي الشطشاط، نهاية الوجود العربي في الأندلس، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص 86.

[2]- تسميه الروايات الإسلامية **"ملك جليقة"** كان هذا الشخص ممن لجئوا إلى الشمال ونصب نفسه ملكا على مجموعة من الرجال والنساء ، وقاد العصيان ضد المسلمين، وتمكن من إيقاع الهزيمة بالجند الذين أرسلهم حاكم حجيون لتأديبه، فالتجأ إلى صخرة تعرف باسم صخرة كابدونغا واتخذها منطلقا لهجماته على المسلمين، وقد توفي سنة 119هـ وخلفه ابنه فافيلا، ينظر: عادل سعيد بشتاوي، الأندلسيون المواركة، ط1، القاهرة، 1983، ص 40.

[3]- حسن علي الشطشاط، المرجع السابق، ص 87.

المسلمون وانهارت دولتهم القوية بانهيار الدولة الأموية وظهور ملوك الطوائف[1] وقد بلغت الأندلس أيام الطوائف من التفرقة والضعف مبلغا عظيما حتى لاح لإسبانية النصرانية أن عهد الدولة الإسلامية أوشك على الزوال وأن الفرصة قد سنحت لتضرب ضربتها الحاسمة، وكانت مملكة قشتالة تتزعم إسبانيا النصرانية وتقود حروب الاسترداد والصراع ضد المسلمين وكان ملكها أيام ملوك الطوائف ألفونسو السادس يعمل بذكاء لاستغلال منافسة ملوك الطوائف وتفرق كلمتها[2].

وقد تمكن هذا الملك عام 478هـ/1085م من الاستلاء على أكبر ممالك الطوائف وهي طليطلة التي كانت تحت سلطة بني ذي النون[3]. ومنذ ذلك التاريخ لم يعد الأندلس يشمل إلا على ثلث شبه الجزيرة فقط[4]، ومع بداية القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي تسارعت حدة حروب الاسترداد بظهور موجة جديدة من الغزو النصراني اجتاحت شمال شرقي الأندلس حيث سقطت سرقسطة كبرى قواعد الثغر الأعلى سنة 512هـ/1118م في يد النصاري[5] ثم تلتها بقية القواعد: كلاردة وافراغة ومكناسة وطرطوشة بين سنتي (543_544هـ/ 1149_1148م)، وسقطت كذلك في شبه الجزيرة الإبيرية معظم المدن خاصة في البرتغال حيث سقطت أشبونة وشنترة وشنترين سنة 546هـ/1150م وسقطت باجة بعد ذلك سنة 556هـ/1161م، ثم تلتها يابرة سنة 561هـ/1165م. وبهذا أصبح الأندلس لا يشمل إلا على ربع شبه الجزيرة الإبيرية[6].

ومع مطلع القرن السابع الهجري تواصلت حروب الاسترداد وحققت انتصارا كبيرا على الموحدين إذ تحالفت جيوش الممالك الشمالية (القشتالة، أراغون ونافارا) وانطلقت من

1- حسن علي الشطشاط، المرجع السابق ، ص87.

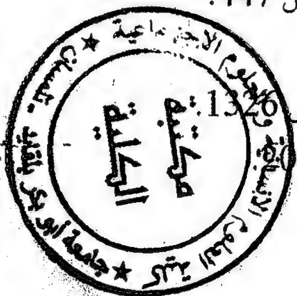
2- محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1966، ص74.

3- لسان الدين بن خطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص 182، المقري، المصدر السابق، ج4، ص 447.

4- عبد الحكيم الذنون، آفاق غرناطة، ط1، دار المعرفة، دمشق، 1988، ص 28.

5- مصطفى شاكر، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، ج2، ط1، دار العلم للملايين، 1993، ص 1326.

6- محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، المرجع السابق،ص 20، عبد الحكيم الذنون، المرجع السابق، ص 30.



طليطلة برفقة جيش فرنسي وتمكنت من إلحاق الهزيمة بالموحدين بقيادة الخليفة الناصر في موقعة حصن العقاب في 15صفر609هـ/16جويلية1212.[1]

وإثر هذه الهزيمة ازداد الوضع السياسي سوءا في الأندلس، وظهرت عدة أسر تقاسمت ما تبقى للمسلمين من أراضي الأندلس ومنها بنو مردنيش[2] في شرق الأندلس وعاصمتهم بلنسية وبنو هود الجذامي[3] في جنوب وغرب الأندلس وجزءا من شرقه وشملت سلطتهم مرسية وغرناطة وقرطبة واشبيلية وماردة واتخذوا من مرسية عاصمة لهم[4].

وقد أعلنت هتين الأسرتين الثورة ضد الموحدين مما صعد من حدة الهجمات المسيحية على المدن الإسلامية فسقطت ماردة سنة 627هـ/1229م وقرطبة سنة 633هـ/1236م وبلنسية سنة 636هـ/1238م بعد حصار طويل استنجد خلاله زيان بن مردنيش بالخليفة الحفصي أبي زكريا وأعلن الولاء له عن طريق كاتبه ابن الآبار[5] الذي أبلغ الرسالة شعرا فقال:

أدرك بخيلـــك خيـــل الله أندلســـا إن السبيل إلى منجاتها درســـا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست فلم يزل منك عز النصر ملتمسا[6]

إلاّ أن إمدادات أبو زكريا الحفصي اقتصرت على المساعدات المالية والطعام والأسلحة وأفرغت في دانية بعد تعذر وصولها إلى أهل بلنسية[7].

---

[1] – عادل سعيد شتاوي، المرجع السابق، ص 65.

[2] – قامت هذه الأسرة بالثورة ضد الموحدين في شرق الأندلس واستقرت الرياسة في أبي الحجاج يوسف بن هود بن سعد وتوفي سنة 582هـ، وبعد هزيمة الموحدين واسترجعوا نفوذهم في شرق الأندلس بزعامة أبي جميل زيان الذي دخل بلنسبة سنة 626هـ/1228م، ودعا للخليفة العباسي ببغداد، ثم عدل عن ذلك وأعلن الولاء لأبي زكريا الحفصي، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص 272.

[3] – مبدأ هذه الأسرة سليمان بن محمد بن هود الجذامي الملقب بالمستعين الذي استولى على لاردة سنة 431هـ، بعد أن قتل قائدها أبا المطرف التجيبي وأقام ملكه بسرقوسطة، ينظر: ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص 170.

[4] – عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص 234.

[5] – سيتم التطرق إلى هذه الشخصية بالتفصيل في الفصل الثالث خلال الحديث عن التأثير السياسي.

[6] – للإطلاع على القصيدة كاملة ينظر: المقري، المصدر السابق، ج4، ص 457، ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 388.

[7] – ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 388، الطاهر أحمد مكي، دراسات أندلسية، ط3 ، دار المعارف،القاهرة،1987، ص 270.

وفي الوقت نفسه اجتاحت موجة مماثلة من الغزو النصراني غرب الأندلس حيث سقطت بطليموس سنة 627هـ/1230م وقادس سنة 628هـ/1231م وتلتها شريش سنة 1233م وهكذا لم يأت منتصف القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي حتى كانت ولايات الأندلس الشرقية والوسطى قد سقطت كلها في يد إسبانيا النصرانية[1].

ونتيجة لهذه الأوضاع والظروف التي كانت تعيشها الأندلس هاجر الكثير من الأندلسيين من تلك المدن هروبا إلى المدن التي لا تزال في أيدي المسلمين خاصة غرناطة آخر معقل للمسلمين بالأندلس[2]، إذ كان لهذه الأوضاع السياسية تأثير على الأوضاع الاجتماعية حيث انتشر الظلم وثقل كاهل السكان بالضرائب وحدث صراع قبلي بين طبقات المجتمع الأندلسي مما دفع بالكثير من المسلمين إلى الهجرة نحو بلاد المغرب الإسلامي[3]، بينما آثر البعض منهم البقاء في وطنه لارتباطهم بظروفهم ومصالحهم في موطنهم الأصلي وعرفوا باسم "المدجنين"[4].

---

[1]- محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، المرجع السابق، ص- ص 20_21.

[2]- شكيب أرسلان، خلاصة تاريخ الأندلس، منشورات دار الحياة، بيروت، 1983، ص 72.

[3]- عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط1، دار الشروق، بيروت، 1983، ص 88.

[4]- لسان الدين بن الخطيب، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق: محمد كمال شبانة، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003، ص 15، مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 132.

2/ قيام الدولة النصرية وتطورها:

إن قيام مملكة غرناطة فرضته الظروف السياسية التي كانت تمر بها الأندلس، فبينما كان معظم ما تبقى من أراضي الأندلس خاصة جنوب وغرب الأندلس في النصف الأول من القرن السابع الهجري (13م) في يد محمد بن يوسف بن هود الجذامي[1] إذ ظهرت على مسرح الأحداث شخصية عريقة في المجد والنسب هي شخصية محمد بن يوسف المعروف ب"**ابن الأحمر**" أو ابن نصر[2] والذي بويع بمسقط رأسه بمدينة أرجونه في رمضان سنة 629هـ/1232م ثم ملك جيان ووادي آش[3] ومالقة وشريش سنة 630هـ/1233م[4].

وبوفاة ابن هود بألمرية سنة 635هـ/1137م زال أكبر منافس لابن الأحمر فدخلت غرناطة في طاعته وبويع أميرا عليها في العشر الأواخر من رمضان سنة 635هـ/1137م[5]، فأصبحت مدينة غرناطة منذ ذلك الحين عاصمة لمملكة بني نصر.

---

[1]- هو أحمد بن داود بن يوسف أبو جعفر الجذامي نسبة إلى جذام قبيلة من اليمن وهو من أهل باغة بالأندلس،أديب وله نظم ومعرفة بالطب، ينظر: خير الدين الزركلي، ترتيب الأعلام على الأعوام، ج1، ط17، دار العلم للملايين، بيروت، 2007، ص 123، مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس، المصدر السابق، ص- ص 264_265.

[2]- هو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن نصر بن قيس الأنصاري الخزرجي، ينتهي نسبه إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج نزل أجداده بالأندلس، ولد ونشأ بأحواز أرجونة بالقرب من حصون قرطبة، وقد تلقب بابن الأحمر لشقرة فيه، ينظر:ابن الخطيب، الإحاطة، المصدرالسابق، ج2، ص- ص 92_93.

[3]- عبارة عن رصيف تجتمع فيه طرق كثيرة مشيدة بين الجبال، أهلها أهل بادية ينظر: الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 295.

[4]- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب- قسم الموحدين، المصدر السابق، ص 296، ابن الخطيب، كناسة الدكان،المصدر السابق، ص 17.

[5]- ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج4، ص 98، ابن عذارى، البيان المغرب، المصدر السابق، ص 342، مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، المصدر السابق، ص- ص 267_268.

انحصرت مملكة بني نصر في الجزء الجنوبي من الأندلس بين الوادي الكبير[1] شمالا والبحر الأبيض المتوسط جنوبا، كما وصلت حدودها الشمالية إلى اشبيلية وقرطبة وجيان، وضمت هذه المملكة ثلاث ولايات كبرى وهي:

ألمرية: أهم مدنها: ألمرية، برجة، برشانة، بيرة.

غرناطة: أهم مدنها: غرناطة، لوشة، ووادي آش.

مالقة: أهم مدنها: مالقة، رندة[2]، الجزيرة الخضراء[3]، جبل طارق[4]، أرشذونة[5].

ومن أهم الأحداث التي شهدتها الأندلس أيام محمد بن يوسف الملقب "**بالغالب بالله**" حصار القشتاليين لمدينة جيان سنة 643هـ/1246م وقد حاول ابن الأحمر فك الحصار لكنه لم يفلح واضطر لعقد الصلح مع القشتاليين حفاظا على مملكته، ومن أهم بنود هذا الصلح:

1) توقف القتال لمدة عشرين سنة شرط أن يتخلى ابن الأحمر عن مدينتي أرجونة وجيان والحصون المجاورة لها.

2) أن يؤدي أمير غرناطة لملك قشتالة جزية سنوية مقدارها 50ألف مثقال من الذهب.

3) تعهد ابن الأحمر بأن يسرع بقواته لمعونة ملك قشتالة كلما طلب منه ذلك سواء لمحاربة المسلمين أو النصارى[6].

---

[1]– نهر كبير بإسبانيا، ولا يزال إلى اليوم يعرف بهذا الاسم –غودا الكبير–، ينظر: الورداني، المصدر السابق، ص 56.

[2]– إحدى معاقل الأندلس الممتنعة وقواعدها السامية المرتفعة، ينظر:ابن سعيد الغرناطي،المغرب في حلي المغرب، تحقيق: خليل منصور، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998،ص 257.

[3]– من أحسن مدن الأندلس وأطيبها وأجمعها لخير البر والبحر، أرضها أرض زرع وذرع ينظر، ابن سعيد الغرناطي، المصدر نفسه، ص 257.

[4]– يسمى كذلك جبل الفتح لأن طارق بن زياد لما جاز إلى الأندلس بمن معه من البربر تحصن بهذا الجبل، ينظر: الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص 263.

[5]– لسان الدين بن الخطيب، كناسة الدكان، المصدر السابق، ص ص 13_14، عبد الله عنان، نهاية الأندلس، المرجع السابق، ص 47.

[6]– أسعد حومد، محنة العرب في الأندلس، ط2، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت،1988، ص 124، يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ط1، دار الجبل، بيروت، 1993،ص 21.

وبناءا على هذا البند الأخير اضطر ابن الأحمر لمساعدة الملك القشتالي فردناندو الثالث أثناء حصار مدينة إشبيلية التي سقطت سنة 646هـ/1248م[1].

ومن أهم الأحداث أيضا سقوط مرسية في يد الأراغونيين بعد أن بايع أهلها ابن الأحمر وخرجوا عن طاعة القشتاليين، فاستنجد ملك قشتالة ألفونسو العاشر بملك أراغون خايمي الأول الذي سيطر على المدينة سنة 664هـ/1266م بعد حصار دام شهرا[2].

عمرت مملكة غرناطة ما يزيد عن قرنين ونصف من الزمن (635_897هـ/1137_1492م) وتوالى على حكمها ما يزيد عن عشرين حاكما[3].

ومن هؤلاء الحكام يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر وفي عهده تمكن المسلمون من الانتصار على جيوش قشتالة قرب ألبيرة واستولوا على بياسة سنة 725هـ/1324م. ولكنه توفي في العام التالي سنة 726هـ/1325م. في إحدى حملاته العسكرية[4].

ومنذ عهد محمد بن يوسف بن إسماعيل الملقب "**بالغني بالله**"(755_794هـ/1354_1392م) بدأت المملكة تشهد خلافات داخلية بين ملوكها وثورات متناسين العدو الخارجي الذي يستهدف وجودهم، ومن أشهر هذه الثورات وأوسعها نطاقا الثورة التي نشبت ضد الغني بالله وقام بها أنصار أخيه إسماعيل المعتقل لديه في رمضان سنة 760هـ/1358م حيث اقتحموا قصر الحمراء ونادوا بإسماعيل ملكا فالتجأ الغني بالله إلى مدينة وادي آش بينما أسر وزيره لسان الدين بن الخطيب، ولما بلغ الخبر مسامع السلطان أبي سالم المريني غضب لخلع السلطان فأرسل يطلب إلى إسماعيل أن يسمح لأخيه المخلوع بالانتقال إلى المغرب وأن يطلق سراح ابن الخطيب ليلتحق به فتم له ما أرادا[5].

ولكن "**الغني بالله**" سرعان ما تمكن من استعادة ملكه سنة 762هـ/1360م بمساعدة ملك قشتالة بطرس الأول[6]، وبعد وفاة الغني بالله تولى بعده الحكم سلاطين ضعاف وقاست

---

[1]- يوسف شكري، المرجع السابق، ص 22.

[2]- نفسه، ص 23.

[3]- للاطلاع على هؤلاء الحكام ينظر الملحق الخاص بسلاطين بني نصر.

[4]- حسن علي الشطشاط، المرجع السابق، ص 54.

[5]- ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج2، ص ص 27_28، ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص- ص 405_406.

[6]- يوسف شكري، المرجع السابق، ص 40.

المملكة الكثير من الدسائس والفتن والمؤامرات حول العرش، وكان النصارى يتدخلون لإذكاء الفتنة بين المسلمين بهدف الإنقضاض على ما تبقى في أيديهم من الأندلس، وخلال فترة حكم سعد بن محمد (858_868هـ/ 1454_1464م) استولى القشتاليون على جبل طارق سنة 867هـ_1462م وبالتالي تمكنوا من قطع الإمدادات المغربية التي كانت تصل غرناطة خاصة من الدولة المرينية[1].

وفي ظل هذه الظروف كثرت الاضطرابات والصراعات التي أدت إلى سقوط غرناطة وآخرها الصراع الرهيب الذي دار بين أبي عبد الله محمد المعروف **بالزغل** وابن أخيه أبي عبد الله محمد بن الحسن الذي كان أسيرا لدى ملك قشتالة فرناندو فأطلق سراحه لينتقل إلى العاصمة غرناطة ويجمع الأنصار حوله فعمت المدينة حرب أهلية انتهت بانتصار **عبد الله الصغير** سنة 892هـ/1487م، بينما انتقل الزغل إلى وادي آش فانقسمت المملكة إلى شطرين[2] وفي خضم هذه الأحداث والانقسامات تم الزواج السياسي بين الملكين الكاثوليكيين فرناندو ملك أراغون وإزبيلا وريثة عرش مملكة قشتالة ووحدوا بذلك جهودهما من أجل القضاء على غرناطة وعلى الإسلام في الأندلس ككل.

---

[1]- سعدون نصر الله، المرجع السابق، ص 380.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج4، ص 519، مؤلف مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، ضبط: الفريد البستاني، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 2002، ص ص 16_17.

3/سقوط غرناطة:

في الوقت الذي كانت فيه مدن الأندلس تسقط واحدة تلو الأخرى بيد النصارى كماردة سنة627هـ/1230م وقرطبة سنة 633هـ/1236م وبلنسية سنة 636هـ/1238م وإشبيلية سنة 646هـ/1248م وتلتها: مرسية وشاطبة وجيان، عظمت غرناطة واحتوت ما تبقى للمسلمين من مدن في الطرف الجنوبي من الجزيرة الأندلسية، كما هاجر إليها سكان تلك المدن كونها عاصمة الدولة[1].

وقد استطاعت غرناطة بفضل حصانة موقعها ودهاء حكامها الصمود ولو لفترة أمام ضربات النصارى[2] الذين دانت لهم جميع القواعد الأندلسية الشرقية والجنوبية، ولم يبق لهم سوى الاستلاء على غرناطة بعد أن استولوا على لوشة سنة 891هـ/1486م، وبلش ومالقة بعد حصار طويل سنة 892هـ/1487م.[3] ثم ألمرية ووادي آش سنة 895هـ/1489م[4] التي كانت تحت سيطرة الزغل[5].

بعد سقوط هذه المدن والقواعد أعتبر الملكان الكاثوليكيان فرناندو وإزبيلا سقوط غرناطة مسألة وقت فقط فأرسلا رسالة إلى أبي عبد الله الصغير يؤمرانه بتسليم غرناطة. إلا أنه رفض مطلبهم ليبدأ بذلك الحصار الطويل لآخر معقل من معاقل المسلمين بالأندلس في 12 جمادى الثانية 826هـ/23أفريل1491م والذي دام بضعة أشهر أحرق خلاله الإسبان الحقول وأتلفوا الزروع وقطعوا كل الإمدادات عن المدينة المحاصرة ورغم ذلك فقد أبدى المسلمون مقاومة وصمودا شديدين وحاولوا مرات عديدة اختراق الحصار لمقاتلة الأعداد.

1- حسن علي الشطشاط، المرجع السابق، ص 60.

2- شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص 72 .

3- مولف مجهول، نبذة العصر، المصدر السابق، ص 24.

4- حول سقوط لوشة ومالقة وألمرية والحصون المجاورة لها راجع، المقري، المصدر السابق، ج4، ص- ص 517_521، مولف مجهول، المصدر نفسه، ص- ص 25_27.

5- بعد تسليم الزغل لألمرية ووادي آش ليفرفاندو غادر الأندلس إلى أرض المغرب ونزل بوهران ثم تلمسان وجاء معه الكثيرون الذين أيقنوا أن نهاية الأندلس أمر محتوم، ينظر: علي حسن الشطشاط، المرجع السابق، ص 66.
Henri Leon Fey, Histoire de Oran avant pendent et après la dominication Espagnol, Edition , Dar Elgharb, Oran ; 2002, P57.

وأمام وطأة الحصار وآثاره من جوع ومرض ويأس أضطر **أبو عبد الله الصغير** وقادته إلى اتخاذ القرار بتسليم المدينة، وعهد أبو عبد الله بذلك إلى وزيره أبي القاسم عبد الملك الذي دخل في مفاوضات مع العدو انتهت بتوقيع المعاهدة التي نصت على التسليم في أكتوبر 1491م[1].

وذهب عبد الملك إلى معسكر فرناندو الذي استقبله بحفاوة وكلف لمفاوضته أمينه فرناندو دي نافر أو القائد جونر الفودي كريا[2]، واستمرت المفاوضات بضعة أسابيع وانتهى الفريقان إلى وضع معاهدة وافق عليها الملكان ووقعت في 21محرم897هـ/ 25 نوفمبر 1491م، وقد تضمنت هذه الوثيقة الشهيرة التي قررت مصير آخر القواعد الإسلامية سبعة وستين[3] شرطا منها: تأمين المسلمين على أنفسهم وأهلهم وأموالهم وإبقاء الناس في أماكنهم ودورهم وعقارهم وإقامة شريعتهم على ما كانت عليه ولا يحكم على أحد منهم إلا بشريعتهم وأن تبقى المساجد والأوقاف كما كانت ولا يقهر أحد على ترك دينه وأن يسير المسلم في بلاد النصارى آمنا على نفسه وماله من غير أن يجعل له علامة كما يجعل اليهود وأن يحكم المسلمين جماعة منهم وان يطلق الإسبان سراح المسلمين، وأن يكون لهم الحق في الخروج إلى إفريقية بأموالهم وأولادهم متى شاءوا[4].

وبالفعل تم تسليم غرناطة ،إلى النصارى في ربيع الأول 897هـ/02يناير1492[5]،غير أن القشاليين نكثوا الشروط التي نصت عليها المعاهدة بعد سنوات من سقوط آخر الحواضر الإسلامية بالأندلس وظهور محاكم التفتيش مصيبة المسلمين الجديدة سنة 1476 م[6] والتي جسدت الصراع ضد البقاء الذي كان يريده لهم الإسبان لا فناء أفراد وإنما فناء العقيدة

---

[1]- محمد عصام شبارو، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، (91_877هـ/710م_1492)، دار النهضة، بيروت، ص- ص 190_191.

[2]- سعدون نصر الله، المرجع السابق، ص 398.

[3]- المقري، المصدر السابق، ج4، ص 525.

[4]- نفسه، ج4، ص- ص 525_526، شكري فرجات، المرجع السابق، ص- ص 53_54.

[5]– بعد تسليم غرناطة انتقل أبو عبد الله النصري إلى منطقة البشرات، ثم رحل إلى المغرب ونزل مدينة مليلية، ثم انتقل إلى فاس فاستقر بها حتى وفاته، ينظر: مؤلف مجهول، نبذة العصر، المصدر السابق، ص43.

[6]– لوي كردياك، المسلمون الأندلسيون والمسيحيون، تعريب: عبد الجليل التميمي،منشورات المجلة التاريخية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 22، شاكر مصطفى، المرجع السابق، ص 1329.

الإسلامية التي دافع عنها أهلها ما يزيد عن قرن من الزمن، وكان من جراء ذلك أن ظهر عدد من المسلمين الذين أظهروا النصرانية وأبطنوا إسلامهم وأطلق عليهم اسم"الموركسيون" losMoriccos أي "المسلمون الصغار "[1].

إن هذه الظروف التي مرت بها الأندلس وانتهت بسقوط غرناطة وظهور محاكم التفتيش التي ارتكبت أبشع الجرائم في حق المسلمين دفعت بمن تبقى منهم إلى الهجرة والتوجه نحو المغرب عامة المغرب الأدنى خاصة أين ساهموا بدور فعال في رد الغارات الإسبانية على سواحل الشمال الإفريقي.

[1]- حسن علي الشطشاط، المرجع السابق، ص 97، شاكر مضطفى، المرجع نفسه، ص 1329.

ثالثا: مراحل الهجرة الأندلسية:

شهدت الدولة الحفصية توافد العديد من الأندلسيين خاصة بعد تدهور الأوضاع السياسية للأندلس ،وتشير الدراسات التاريخية أن الوجود الأندلسي ببلاد المغرب الأدنى يعود إلى زمن مبكر فمنذ العهد الحمادي[1] استقبلت بجاية العديد من المهاجرين الأندلسيين خاصة بعد أن أصبحت عاصمة للدولة الحمادية.

ويشير البكري إلى الوجود الأندلسي بهذه المدينة منذ القرن الرابع الهجري فيقول : "مدينة بجاية أزلية آهلة عامرة بأهل الأندلس "[2].

ويبدو أن توافد الأندلسيين عليها خلال هذه الفترة له علاقة بالجانب التجاري حيث ازدهرت المبادلات التجارية بين موانئ المغرب والأندلس ويشير البكري إلى ذلك بقوله :"إنهم يتوافدون عليها لغرض النشاط التجاري"[3].

كما أنّ بجاية مثلت ملجأ سياسيا مهما بالنسبة للأندلسيين لاسيما في فترة الازدهار الحضاري[4] وممن لجأ إليها نذكر علي بن مجاهد العامري صاحب دانية الذي فر من ابن الحجاج قائد يوسف بن تاشفين و قد نزل عند الناصر بن علناس فأكرمه[5].

كما التجأ إلى هذه المدينة أيضا معز الدولة بن صمادح حاكم ألمرية بعد استلاء يوسف بن تاشفين عليها فاستقبله المنصور بن الناصر بن علناس وأقطعه دلس وضواحيها[6].

---

[1] -امتد العهد الحمادي من سنة 408هـ/547هـ، وقد تأسست الدولة الحمادية على يد حماد بن بلكين الذي انفصل عن المعز بن باديس وحكم المغرب الأوسط، واستمرت إلى سنة 547 بدخول عبد المؤمن بن علي إلى بجاية، ينظر: ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 20

[2] - البكري، المصدر السابق، ص 82

[3] - نفسه، ص 83

[4] - عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991،ص 184.

[5] - ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 248.

[6] - أبي عبد الله محمد بن الآبار، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ج2، دار المعارف، القاهرة، ص 90، محمد عمرو الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983، ص- ص 147-148.

ولكن أهم هجرة عرفتها الأندلس باتجاه المغرب الأدنى كانت مع مطلع القرن السابع الهجري إثر انهيار الثغور والمدن الواقعة بشرق الأندلس وعلى الخصوص مدينة بلنسية التي سقطت سنة 636هـ/1238 و إشبيلية التي سقطت سنة 646هـ/1248م.

ومن خلال تتبع مسار الهجرة الأندلسية تجاه الدولة الحفصية يمكن تقسيمها إلى مرحلتين أساسيتين تميزت كل مرحلة بأحداثها التاريخية كما ارتبطت معظم هذه الهجرات بظروف سياسية واقتصادية واجتماعية حددتها طبيعة الهجرة .

1/المرحلة الأولى :قبل سقوط غرناطة 897هـ/1492م .

وهي الفترة الممتدة من قيام الدولة الحفصية 624هـ إلى غاية سقوط غرناطة، وقد عرفت خلالها توافد واستقرار العديد من المهاجرين الأندلسيين .

وهناك مجموعة من العوامل التي دفعت بالأندلسيين إلى الاستقرار بالمغرب الأدنى دون غيره من المناطق أهمها:

_العلاقات الودية التي جمعت بين الأسرة الحفصية وأهل الأندلس، ذلك أن الأسرة الحفصية التي كان مؤسسها أبو محمد عبد الواحد قد استقرت بالأندلس قبل انتقالها إلى إفريقية فكان الحفصيون يميلون إلى أهل الأندلس ويقدرون مواهبهم لخدمة دولتهم وسياستهم لذلك أحسنوا استقبالهم ومنحوهم مناصب مهمة في الدولة[1].

ومن أهمها أيضا الاستقرار النسبي الذي كانت تتمتع به تونس دون غيرها من المناطق مما جعلها الملاذ الأخير للمهاجرين الذين ضاق بهم الأمر بالمغرب بسبب الفتن التي كانت تهزه، ويشير ابن خلدون إلى ذلك بقوله: "ولما تكالب الطاغية على العدوة والتهم ثغورها واكتسح بسائطها وأشق على قواعدها وأمصارها أجاز الأعلام وأهل البيوت إلى الأرض المغربين وإفريقية، وكان قصدهم إلى تونس لاستفحال الدولة الحفصية بها"[2].

---

[1]- محمد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب، ط1، مطبعة إفريقيا الشرق، 1991، ص 28.

[2]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 438.

ومثال على ذلك ما حصل لأسرة أبي الغنم وهم من جالية شاطبة فقد حاولوا الاستقرار أولا بطنجة لكنهم غادروها سنة 661هـ/1263م ولجئوا إلى تونس بعدما قتل بنو مرين غدرا أميرها يوسف بن محمد بن عبد الله بن أحمد الهمذاني المعروف بابن الأمين[1].

إضافة إلى هذين العاملين هناك عامل آخر وهو الانهيار الديمغرافي الذي عانت منه إفريقية منذ منتصف القرن الرابع عشر ميلاذي مما فتح المجال أمام الوافدين الأندلسيين لاستثمار مواهبهم في قطاعي التجارة والصناعة على الخصوص بالإضافة إلى الميدانين الفكري والسياسي[2]

هذا عن العوامل التي جعلت معظم الأندلسيين المهاجرين يستقرون بتونس، أما عن مراحل الهجرة فقد بدأ نزوح الأندلسيين باتجاه جنوب الأندلس أولا و رأى البعض منهم أن هذا التروح ما هو إلا خطوة لتروح آخر لذلك انتقلوا إلى العدوة المغربية فور نزوحهم الأول، وأكبر عمليات التروح الجماعية وقعت في القرن 7هـ/13م عندما سقطت إشبيلية ويُعتقد أن عدد النازحين وصل إلى مئات الآلاف[3].

وفيما يخص الهجرة الكبرى نحو إفريقية الحفصية تمت بعد سقوط مدن الأندلس الكبرى خاصة بلنسية (636هـ/1238م)واتخاذ قرارات الطرد ضد السكان فهاجرت جاليات مهمة من شرق الأندلس إلى غرناطة أولا ومن هناك إلى المغرب وإفريقية بالخصوص حيث كونوا جاليات متميزة عن غيرها[4].

ومعظم هذه الجاليات كانت من الأسر الأندلسية العريقة التي لعبت دورا بعيد الأثر في تاريخ الأندلس السياسي والثقافي،[5] ومن بين هذه الأسر أسرة ابن الآبار الذي غادر الأندلس سنة 637هـ/1240م مباشرة بعد سقوط بلنسية وفضل الإقامة في ظل الحفصيين، فاتجه أولا إلى بجاية وهناك استقبله أبو يحي بن أبي زكريا وولي عهده[6] ولم يقم ابن الآبار طويلا في بجاية

---

[1]- محمد رزوق، المرجع السابق، ص 31.

[2]- نفسه، ص 28.

[3]- عادل بشتاوي، المرجع السابق، ص 102.

[4]- محمد الطالبي، الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين، الأصالة، العدد 26، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1975، ص 54.

[5]- الطاهر أحمد مكي، المرجع السابق، ص 273.

[6]- أحمد السليماني، تاريخ المدن الجزائرية ، دار القصبة، الجزائر، 2007، ص 110.

فقد كانت تونس هدفه[1] فاتجه إليها وعمل في البلاط الحفصي كاتبا لدى الخليفة الحفصي أبو زكريا، ثم تولى الإنشاء والعلامة في عهد الخليفة المستنصر (647_675هـ)[2].

ثم تأتي بعد المجموعة الأولى مجموعة أكثر أهمية وهي جالية غرب الأندلس التي هاجرت بعد ضياع إشبيلية سنة (646هـ/1249م)، وتتمثل أهميتها في أنها كانت مقربة أكثر من الأولى من أبي زكريا الحفصي وأبنائه من بعده، ويشير ابن خلدون إليها بقوله:"كانت لأهل إشبيلية خصوصا من بين أهل الأندلس وصلة بالأمير أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص وبنيه منذ ويته غرب الأندلس."[3].

ومن بين الأسر التي هاجرت إلى المغرب ضمن المجموعة الثانية أسرة ابن الدباغ التي لقيت حضوة لدى أبي زكريا الحفصي وارتقت إلى مناصب الحجابة، و نجد ذكر لهذه الأسرة عند ابن خلدون إذ يقول "وكان من خبر ابن الدباغ هذا أن إبراهيم أباه وفد على تونس في جالية إشبيلية سنة ستة وأربعين وسبع مئة، فولد هو بتونس ونشأ بها وأفاد صناعة الديوان وحسابته..."[4]

ومن بين أهم الأسر التي هاجرت نحو تونس أيضا أسرة ابن سيد الناس التي بلغت مبلغا عظيما في الدولة الحفصية حيث تقلد أفرادها وظائف مهمة في تسيير شؤون الدولة كالحجابة في عهد الخليفة أبي فارس وابنه أبي زكريا، ويشير ابن خلدون إلى أصل هذه الأسرة في حديثه عن ولاية أبي فارس فيقول:"...ذلك أن أباهما أبا بكر بن سيد الناس كان من بيوت إشبيلية حافظا للحديث رواية له، ظاهريا في فقمه على مذهب داود وأصحابه."[5]

---

[1]- أحمد السليماني، المرجع السابق، ص 111.

[2]- روبار برنشيفك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13م إلى القرن 15م، ترجمة، حمادي الساحلي، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص 427.

[3]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 437.

[4]- نفسه، ص 456.

[5]- نفسه، ص 437.

والجدير بالذكر أن معظم المهاجرين الذين استقروا بالمغرب الأدنى كان جلهم من الفقهاء والعلماء والأدباء وقد تمت هجرتهم عقب الفتوى التي أصدرها الفقيه الونشريسي[1] والتي توجب الهجرة قائلا:" إن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة وكذلك الهجرة من أرض الحرام والباطل بظلم أو فتنة"[2].

ويقول أيضا:"ولا يسقط هذه الهجرة الواجبة على هؤلاء الذين استولوا الطاغية لعنه الله على معاقلهم وبلادهم إلا تصور العجز عنها بكل وجه وحال ولا الوطن ولا المال"[3]، ويستدل على ذلك بقوله تعالى :"إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا"[4].

وقد ارتفع عدد المهاجرين بشكل كبير بعد صدور هذه الفتوى وسقوط غرناطة آخر معقل للإسلام بالأندلس.

1- الونشريسي: هو أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي من أهل تلمسان ولد بها سنة 834هـ/1428م، متخصص في علوم الشريعة الإسلامية وأصول الفقه، توفي سنة 914هـ/1508م، ومن أشهر مؤلفاته "المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى علماء إفريقية و الأندلس والمغرب"، ينظر أبو العباس أحمد بن أحمد التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، هامش على دباج ابن فرحون، مطبعة الفحامين، مصر، 1351هـ، ص- ص 87-88، ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص 53.

2- أبو العباس احمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، أخرجه، محمد حاجي وآخرون، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981،ص 119.

3- نفسه، ص 120.

4- سور النساء ، الآية 98.

2/المرحلة الثانية: بعد سقوط غرناطة 897هـ/1492م:

وهي المرحلة التي أعقبت سقوط غرناطة وهو أفجع ما حصل للمسلمين بالأندلس، وقد عرفت هذه المرحلة اشتداد حركة الهجرة بشكل ملحوظ مقارنة بالمرحلة الأولى إذ تحولت الهجرة المحدودة إلى هجرات جماعية.

ومما أجبر الغالبية على الهجرة والتروح إلى المغرب هو إنشاء محاكم التفتيش التي تهدف إلى تنصير المسلمين بإشراف الكنيسة وتطبيق أشد العذاب على من رفض ذلك[1]،إضافة إلى تشدد فتاوى العلماء في وجوب الهجرة وقد استنكروا البقاء في ديار الكفر وحثوا على ضرورة الهجرة، وقد أفتى الونشريسي بعدم جواز الإقامة في دار الكفر في شأن رجل من الأندلسيين التمس موافقة الفقهاء على البقاء في الأندلس لمعاونة إخوته الضعفاء والتكلم باسمهم عند السلطات ومداخلة الرؤساء[2]، وقال في هذا الصدد: "والاعتلال لإقامة الفاضل المذكور بما عرض من غرض الترجمة بين الطاغية وأهل ذمته من الدجن و العصاة لا يُخلّص من واجب الهجرة ولا يتوهم معارضته ما سطر في السؤال من الأوصاف الطردية لحكمها بالواجب إلا متجاهل أو جاهل معكوس الفطرة، ليس معه من مدارك الشرع خبرة لأن مساكنة من غير أهل الذمة والصغار لا تجوز ولا تباح ساعة من النهار..."[3].

ويؤكد الونشريسي على وجوب الهجرة لارتباطها بالعقيدة الصحيحة فيقول بعد عرض طويل لقواعد الإسلام: "فكيف يتوقف متشرع أو يشك متورع في تحريم هذه الإقامة مع استصحابها لمخالفة جميع هذه القواعد الإسلامية الشريفة الجليلة."[4]

---

[1]- محمد علي الصلابي، إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 2003، ص 210.

[2]- الونشريسي، أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى و لم يهاجر وما ترتب عليه من العقوبات والزواجر، تحقيق: محمد بن عبد الكريم (حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص- ص 97-98.

[3]- نفسه، ص 99.

[4]- نفسه، ص100.

كل هذا كان سببا في هجرة الكثيرين من سكان الأندلس خلال هذه المرحلة ومما يلفت النظر ويؤكد على ارتفاع عدد المهاجرين أن عدد سكان مملكة غرناطة كان يقدر قبل سقوطها في سنة 886هـ/ 1482م بأكثر من مليونين، فان صحت الوثائق التي تقدر من تبقى من المسلمين في مملكة غرناطة بحوالي ثلاثمائة ألف، فمعنى ذلك أن الهجرة في سنة 917هـ/ 1512م بلغت حدا عاليا جدا[1].

وقد كانت وجهة معظم المهاجرين إلى بلاد المغرب الأدنى نتيجة للعوامل التي سبق ذكرها، وقد أشار المقري إلى ذلك فقال:"وخرجت ألوف بفاس وألوف أخر بتلمسان من وهران، وجمهورهم خرج بتونس، فتسلط عليهم الأعراب ومن لا يخشى الله تعالى في الطرقات ونهبوا أموالهم، وهذا ببلاد تلمسان وفاس ونجا القليل منهم من هذه المعرة، وأما الذين خرجوا بتونس فسلم أكثرهم، وهم لهذا العهد عمروا قراها الخالية وبلادها."[2]

وفي هذا القول إشارة إلى أن المهاجرين الأندلسيين قاموا بتعمير البلاد، وقراها، كما ساهموا بشكل كبير في الازدهار الحضاري للمغرب الأدنى بفضل ما حملوه معهم من معارف وخبرات جديدة.

---

[1]- مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 1333.

[2]- المقري، ، المصدر السابق، ج4، ص 528.

الفصل الثاني

الواقع الثقافي للمغرب الأدنى و الأندلس من ق 7 هـ إلى 9 هـ

أولا/ الحياة الثقافية في المغرب الأدنى

ثانيا/ الحياة الثقافية في الأندلس

أولا: الحياة الثقافية في المغرب الأدنى.

1/ أصناف العلوم و الحركة العلمية:

شهدت الفترة الممتدة من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجري انتشار الكثير من العلوم التي كان يتم تعلمها و تدارسها في مختلف نواحي المغرب الإسلامي[1]، بما في ذلك المغرب الأدنى ويصنف ابن خلدون هذه العلوم المتدارسة إلى:

1-1/ العلوم النقلية:

و يعرفها ابن خلدون بأنها " العلوم الوضعية و المستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي، لا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع بالأصول"[2].

و يمكن تقسيمها حسب ابن خلدون إلى قسمين هما:

أ- العلوم الدينية:

و هي العلوم الشرعية التي تتخذ القرآن الكريم و السنة أساسا و منطلقا لها[3]، و هي متفرعة إلى:

- **التفسير:** و هو النظر في كتاب الله و بيان ألفاظه ثم إسناد نقله و روايته إلى النبي صلى الله عليه و سلم[4].

- **علم القراءات:** و يتضمن فن القراءات و فن رسم الحروف الخطي للقرآن في المصحف. كما يتناول مقاصد الآيات و الناسخ و المنسوخ و أسباب النزول.[5]

- **علم الحديث:** و يراد به حفظ ما نقل عن النبي صلى الله عليه و سلم من قول أو فعل و ما نقل عن أصحابه[6]، فالحديث يشير إلى القول، و السنة إلى العمل أو السكوت عن العمل، و هو المصدر

---

[1] –عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المصدر السابق ، ص 438.

[2] – نفسه، ص 443.

[3] – نفسه، ص 443.

[4] – نفسه، ص 443.

[5] –عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، الجزء الثاني، موفم للنشر و التوزيع، الجزائر، 2002، ص 483. عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص 411.

[6] – نفسه، ص 483.

الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم[1] و يتضمن علم الحديث الناسخ و المنسوخ و النظر في الأسانيد أي الرواة و المتون[2].

- **أصول الفقه:** و هو النظر في الأدلة الشرعية من حيث كونها تؤخذ منها الأحكام و التكاليف وأصول الأدلة الشرعية[3].

- **الفرائض:** (المواريث) و هو علم يجمع بين المنقول و المعقول لاحتياجاته لفنون الحساب كالجبر و المقابلة و التصرف في الجذور[4].

- **علم الكلام:** ظهر كنتيجة لظهور الحاقدين على الإسلام، و يعرفه ابن خلدون بقوله: " هو علم يتضمن الحجج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية و الرد على المبتدعة و المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف و أهل السنة."[5].

و يتناول هذا العلم عدة مسائل معقدة و دقيقة كالتوحيد و الآخرة و الصفات الإلهية والخير و الشر و حقيقة النبوة و غيرها و أهم مسألة يتناولها هي مسألة خلق القرآن أو "كلام الله" و لذلك سمي بعلم الكلام[6].

- **علم الفقه:** يسمى هذا العلم بعلم الدراية و هو معرفة النفس مالها و ما عليها[7]، و تعني كلمة الفقه في اللغة العلم بالشيء و الفهم له يقال فقه الشيء أي فهمه [8]. و يقول الله عز و جل في سورة الإسراء: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾[9]، وجاء في تفسير الآية عند الطبري لا تفقهون

---

[1] - عبد القادر بوحسون، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس خلال العهد الزياني (633هـ 962 هـ/ 1235-1554 م)، ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة تلمسان 2007-2008، ص- ص 53-54.

[2] - ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 48.

[3] - نفسه، ص 462.

[4] - عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص 412.

[5] - ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 467.

[6] - بلحسن إبراهيم، المرجع السابق، ص 44.

[7] - محمد عادل عبد العزيز، الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة، د ت، ص 112.

[8] - ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني، تقديم: الشيخ عبد الله العلايلي، إعداد و تصنيف:يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، ص1119.

[9] - سورة الإسراء، الآية 44.

أي لا تفهمون تسبيحهم لأنهم بخلاف ألسنتكم[1]. أما اصطلاحا فيعني: معرفة الأحكام الشرعية عن طريق الاجتهاد[2] و قد عرفه ابن خلدون بقولة: " هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب و الحظر و الندب و الكراهة و الإباحة و هي متلقاة من الكتاب و السنة و ما نصه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه."[3].

و يتناول الفقه جميع المسائل التي تواجه الإنسان في حياته الشخصية و الدينية و الاجتماعية و الاقتصادية و أهم أصوله القرآن و السنة[4] إضافة إلى الإجماع و القياس.[5]

و من أشهر المذاهب الفقهية مذهب الإمام مالك و الذي كان و لا يزال متبعا ببلاد المغرب الإسلامي و ذلك نتيجة لرحلة أغلب العلماء نحو الحجاز دون غيرها من الحواضر الإسلامية فتتلمذوا على يد العلماء المالكيين إضافة إلى أن البداوة التي يتصف بها أهل المغرب و الأندلس أميل لبداوة الحجازيين[6].

و يرجع الفضل في إدخال هذا المذهب إلى المغرب الإسلامي لعدة علماء أجلاء و على رأسهم أسد بن الفرات[7] .

---

[1]– أبي جعفر محمد بن حربر الطبري، مختصر تفسير الطبري المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، الدكتور صالح أحمد رضا، المجلد الأول، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1985، ص 674.

[2]– أحمد بن زكي التلمساني، غاية المرام في شرح مقدمة الإمام، تحقيق: محمد أدير مشنان، المجلد الأول، ط1، دار التراث، الجزائر، 2005، ص ص 281-282.

[3]– ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 453.

[4]– نفسه، ص 454.

[5]– الإجماع هو اتفاق الفقهاء المجتهدين في الحكم، أما القياس فهو إلحاق أمر بآخر في الحكم الشرعي لإتحاد بينهما في العلة ينظر: لخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633 هـ-962 هـ/1236-1554م)، دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، ص- ص 2004-2005.

[6]– ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 457.

[7]– أسد بن الفرات: هو أبو عبد الله مولد بن سليم، أصله من خرسان، ولد سنة 145 هـ/763م سمع الموطأ من الإمام مالك، و اتجه إلى العراق و لقي بها أصحاب أبي حنيفة النعمان، ثم رحل إلى تونس ولاه زيادة الله بن إبراهيم الأغلب على الجيش الذي وجهه إلى صقلية، توفي سنة 214 هـ/830م، ينظر: أبو العرب التميمي، طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ت)، ص- ص 81-83، محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1949، ص 62.

و سحنون صاحب المدونة[1] إضافة إلى علماء آخرين أقبلوا على دراسة وشرح أشهر كتب مالـك وهو " الموطأ".

- **التصوف**: يقصد به العبادة و الزهد و البعد عن الدنيا و التحكم في النفس، و يعرفه ابن خلدون بقوله: " هو العكوف على العبادة و الانقطاع إلى الله تعالى، و الإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها و كان ذلك عاما في الصحابة و السلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني و ما بعـده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية و المتصوفة"[2].

و قد أصبح التصوف علما من العلوم الشرعية بعدما ألفت فيه الكتـب مثـل: رسـالة القشيري[3] و كتاب " إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي[4].

و من أشهر المتصوفة ببلاد المغرب الإسلامي الشيخ القطب سيدي أبي مدين شعيب بـن الحسن الأنصاري الأندلسي[5]. الذي استقر ببجاية في عهد الخليفة الموحدي المنصور وذاع صـيته

---

[1]- هو أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوبي، أصله من الشام، قدم أبوه سعيد مع الجند، كان جامعـا للعلـم، درس الفقه المالكي، ولي القضاء سنة 234 هـ، درس بالمسجد الجامع بالقيروان، توفي سنة 240 هـ/854م، و أشهر مؤلفاته في الفقه المالكي كتاب " المدونة" و الذي لقي إقبالا و شهرة بين علماء الفقه في المغرب، ينظر، أبو عرب، المصدر السـابق، ص 83، محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ص- ص 69-70.

[2]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 490.

[3]- رسالة القشيري: رسالة حيلة في علم التصوف، اشتملت على تراجم لرجال التصوف و أبحاث في علمهم، مؤلفها هـو أبي القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري المتوفى سنة 460 هـ، ينظر: الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائـة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشرو التوزيع، الجزائر 1981، ص 58.

[4]- هو أبو حامد محمد بن محمد أبي أحمد الطوسي الشافعي، ولد بطوس سنة 450 هـ ندب للتدريس بنظاميـة بغـداد سـنة 484 هـ، حج سنة 488 هـ، عاد إلى طوس مقبلا على العبادة، انتقل إلى نظامية نيسبور للتدريس مدة لكنه تركه و عـاد إلى وطنه توفي سنة 505 هـ، من أشهر مؤلفاته، " إحياء علوم الدين"، " الوجيز و الخلاصة"، " تحصيل المآخـذ"، " المنقـذ في الضلال"، ينظر، بن عماد الحنبلي، المصدر السابق، ج4، ص- ص 10-13.

[5]- ولد بأحواز إشبيلية بالأندلس، زاول دراسته بالمغرب الأقصى و تتلمذ على يد عدد مـن الصـوفيين أمثـال: أبي يفـرى الهرمزي، و علي بن حرزهم، رحل إلى المشرق و تلقى علوم الصوفية على يد كبار شيوخ الصوفية أمثال: الجنيد و القشـيري والغزالي، رجع إلى المغرب و أقام ببجاية معتكفا للعبادة و التعليم، توفي سنة 594 هـ 1197م. ينظـر: الغبريـني: المصـدر السابق، ص-ص: 55-61، أبو العباس ابن قنفد القسنطيني، أنس الفقير و عز الحقير، تحقيق: محمد الفاسي، أدولـف فـور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، (د ت)، ص- ص 11-13.

بكل أنحاء المغرب فاستدعاه الخليفة الموحدي إلى مراكش و في طريقه إليه توفي و دفن بالعباد قرب تلمسان[1].

قد لقيت هذه العلوم الشرعية بمختلف فروعها المشار إليها اهتماما و إقبالا كبيرا من علماء المغرب الإسلامي عامة و الدولة الحفصية خاصة بسبب المكانة التي كان يحظى بها العلماء المختصون في هذه العلوم لدى العامة و الخاصة و سبب اهتمام السلاطين الحفصيين بها و دعمهم لها، وفي هذا المجال لابد من ذكر أشهر العلماء الذين نبغوا في هذه العلوم الدينية ومنهم:

– **ابن زيتون**: و هو أبو القاسم بن أبي بكر اليمني المكنى بابن زيتون، ولد سنة 621 هـ/1251م، أدى فريضة الحج مرتين سنة 648 هـ وسنة 656 هـ وتأثر بالعالم الشهير عز الدين بن عبد السلام، استوطن بجاية وعمل على نشر الفقه المالكي واضطلع بالحديث وكذا العلوم العقلية، توفي سنة 691 هـ/1292م[2].

– **ناصرالدين بن أحمد المشدالي**: ولد سنة 632 هـ/ 1235م، ارتحل إلى المشرق ولقي كبار المشايخ والعلماء أمثال: شمس الدين الأصفهاني، جمع بين معرفة الفقه وأصوله والتفسير والحديث وحاز حظا وافرا من العربية والمنطق والجدل[3]، اشتهر بطريقته في التعليم باستعمال أسلوب الحوار والمناقشة والتعمق في البحث والتعليل في أصول الفقه[4].

– **أبو موسى عمران المشدالي البجائي**: كان مولده سنة 670 هـ /1271م ببجاية، برز في الحديث و الفقه و النحو و المنطق و الفرائض ارتحل إلى تلمسان حوالي سنة 728 هـ /1326م فاسند إليه الزيانيون التدريس بالمدرسة التاشفينية بتلمسان فأخذ عنه الكثير من طلبتها[5].

– **أبو عبد الله محمد بن عرفة الورغمي**: ولد في الجنوب الشرقي التونسي سنة 716 هـ/ 1316م زاول دراسته بافريقية و أقبل على دراسة الفقه لمالكي، عين إماما بالجامع الأعظم بتونس سنة

---

[1]– روبار برنشيفك، المرجع السابق، ص– ص 332- 333.

[2]– الغبريني، المصدر السابق، ص– ص 114-115. برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ط1، مطبعة الفحامين، مصر 1951، ص– ص 99-100. محمد العبدري البلنسي، الرحلة المغربية، تحقيق: أحمد بن جدو، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة، (د ت)، ص 131.

[3]– الغبريني، المصدر نفسه، ص ص 200-201. ابن فرحون، المصدر نفسه، ص 345.

[4]– ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 439.

[5]– أبو عبد الله التميمي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدرو العقيان، تحقيق محمد بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 141.

756 هـ/1355م. تقلد خطة الخطابة و خطة الإفتاء أدى مناسك الحج سنة 792 هـ/1390م، وإثر عودته اعتكف للعبادة إلى أن توفي سنة 804 هـ /1401م[1].

ب- العلوم اللسانية و الاجتماعية:

و تشمل هذه العلوم: اللغة العربية و النحو و الأدب و البلاغة و التاريخ و الجغرافيا[2].

– **اللغة العربية:** تعتبر اللغة العربية من أرقى و أغنى اللغات السامية لأنها تتميز بكثـــرة المفـــردات وتتصف بالمرونة و القدرة على صياغة المشتقات من ألفاظها و قد ساهمت الحركة الدينية في تطوير اللغة العربية، فالبلاغة ارتبطت بعلوم القرآن و الحديث لأن الدارس لا يستطيع أن يصل إلى أسرار القرآن و معانيه دون الإلمام بزمام اللغة العربية و البيان[3].

– **الأدب:** و يشمل الشعر و النثر، فالأول قول موزون و الثاني قول غير موزون و مقفى و يعرفه ابن خلدون بقوله: " اعلم أن لسان العرب و كلامهم على فنين في الشعر المنظوم و هو الكـــلام الموزون المقفى و معناه الذي تكون أوزانه كلها على روي واحد وهو القافية، وفي النثـــر وهـــو الكلام غير الموزون و كل واحد من الفنين يشتمل على فنون و مذاهب في الكلام."[4].

و قد عرف الأدب بنوعية ازدهارا و تطورا في الدولة الحفصية فالنثر تطور بفضـــل تـــأثره بالوافدين الأندلسيين من أدباء و مؤرخين و تأثره أيضا بالأدب المشرقي خاصة و أن العديد مـــن أدباء الدولة الحفصية رحلوا إلى المشرق لاستكمال دراستهم[5].

و من أشهر الأدباء الحفصيين الذين برعوا في النثر نذكر:

– القاضي **شرف الدين أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر القيسي القفصي** عرف ببراعتـــه في الأدب و علوم الأوائل توفي في القاهرة سنة 651 هـ/1253م[6].

1– أبو العباس أحمد بن محمد ابن القاضي، ذرة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحمـــدي، ج2، ط2، دار التـــراث، القاهرة، 1981، ص 133، أبو العباس أحمد بن أحمد التنبكتي، المصدر السابق ، ص ص 274-276.

2– عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني، حياته و آثاره، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974، ص 49.

3– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 452.

4– ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 619.

5– بلحسن إبراهيم، المرجع السابق، ص 49.

6– محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ص 170.

- **أبو محمد عبد العزيز بن إبراهيم القريشي التميمي التونسي:** (ت 662 أو 663 هـ): له عدة مؤلفات نثرية منها: " الإسعاد في شرح الإرشاد" و " شرح التلقين" و " شرح الأسماء الحسنى"، " مناهج المعارف إلى روح المعارف".[1]

- **أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي القلعي:** الفقيه و النحوي اللغوي من قلعة بني حماد انتقل إلى بجاية برع في العلوم العربية و فنونها و من مؤلفاته: " الموضح في علم النحو"، " حدائق العيون في تنقيح القانون"، " نشر الخفي من مشكلات أبي علي". توفي سنة 673 هـ/1274م[2].

هذا عن النثر أما فيما يخص الشعر فقد لقي اهتماما أكثر من النثر بالنظر إلى المكانة التي كان يحظى بها الشعراء لدى السلاطين الحفصيين، كما أن السلاطين الحفصيين لم يكتفوا بتشجيع الشعر بل كانوا ينظمون الشعر أيضا و ساعدهم على ذلك الجو الذي أحدثه الأدباء الأندلسيون الملحقون ببلاطهم[3].

و قد كان السلطان أبو زكريا من الشعراء النبلاء و له شعر مدون و كذلك المستنصر (647-675هـ/ 1249-1288م)[4]. ومن أشهر شعراء الدولة الحفصية الشاعر أبو عمرو عثمان بن عتيق القيسي المعروف بابن عربية المتوفى سنة 659 هـ/1260م وقد مدح أبو زكريا قائلا:

ذكرت جنة و الذكرى تهيج لي — و أين حجة مني و المنستير
و ما مناي لياليها التي سلفت — و ما مناي معانيها المعاطير
لكن بها رحم بمحفوة يئست — من أن تقر بني منها المقادير[5]

- التاريخ و الجغرافيا:

عرف المؤرخ ابن خلدون التاريخ بقوله: " فن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال......، و هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام و الدول و السوابق من القرون

1- محمد بن مخلوف، المصدر السابق ، ص 190.
2- الغبريني، المصدر السابق، ص- ص 94-99.
3- روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص 423.
4- ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، المصدر السابق، ص- ص 316-317.
5- محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ص 190.

الأولى... و في باطنه نظر و تحقيق و تعليل للكائنات و مباديها دقيق و علم بكيفيات الوقائع وأسباها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق و جدير بأن يعد من علومها و خليق"[1].

و قد أولى الحكام الحفصيون أهمية كبيرة لعلم التاريخ و شجعوا الكتابات التاريخية بغية تدوين أهم الأحداث الواقعة في عهودهم و الباعثة بالخصوص على الاعتزاز[2]، و من بين البارزين في هذا المجال نذكر: **العلامة عبد الرحمن بن خلدون (732-808 هـ/1332-1407م)**[3] صاحب كتاب " العبر" و الذي يعد من أهم مصادر تاريخ المغرب الإسلامي باعتبار أن مؤلفه كان أقرب إلى بيئة الأحداث.

-أبو العباس أحمد بن الحسن بن قنفذ القسنطيني (740-809 هـ/1340-1408م): و هو مؤلف كتاب " الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية" الذي أهداه إلى السلطان أبي فارس و أطلق عليه اسمه، و يعتبر من المصادر المهمة في دراسة تاريخ الدولة الحفصية[4]

- أبو عبد الله محمد بن أحمد الشماع الهنتاتي: و عاش في عهد السلطان عثمان و ألف كتابه : "الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية". و قد أهداه إلى السلطان عثمان.[5]

- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بالزركشي: صاحب كتاب: " تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية". و الذي قسمه إلى جزئين: الأول خاص بالدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي، و القسم الثاني خصصه للحديث عن الدولة الحفصية و بين فيه الكيفية التي بويع بها الولاة وأهم الأحداث التي ميزت الفترة التي حكم فيها كل وال[6].

إضافة إلى الكتب التاريخية نجد كتب التراجم و السير التي لها علاقة في بعض جوانبها بالتاريخ و من أهمها:

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص ص 16-17.

[2]- روبار برنشيفك، المرجع السابق، ص 413.

[3]- شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، المجلد الرابع، منشورات دار الحياة، بيروت، د ت، ص- ص 145-160.

[4]- روبار برنشيفك، المرجع السابق، ص 414.

[5]- نفسه، ص 415.

[6]- الزركشي، المصدر السابق، ص- ص 169-170.

- "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" لمؤلفه **أبو العباس أحمد الغبريني** (644-704 هـ/1244-1304م) أورد فيه حوالي مئة ترجمة تتعلق بحياة جميع مشاهير مدينة بجاية العابرين أو المستقرين بها خلال القرن السابع الهجري[1].

- " معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان" لمؤلفه **أبو القاسم ابن ناجي** (762-839 هـ/1361-1435م)[2] قدم فيه ترجمة لرجال الدين الذين شرفوا مدينة القيروان و هو يحتوي على أربعة أجزاء و قد أتمه في أوائل القرن التاسع هجري[3].

-إضافة إلى كتاب: " معالم الإيمان و روضات الرضوان في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان" لمؤلفه: عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن الدباغ (605-699 هـ/1208-1300م) ضمنه تراجم لفضلاء القيروان منذ دخلها الإسلام إلى زمانه.[4]

و للتاريخ ارتباط بعلم الجغرافيا و الذي تجسد في تلك الفترة فيما يعرف بالرحلات، و قد كان هدف أصحابها الاستزادة في طلب العلم[5] أو الاستطلاع و اكتشاف المجهول أو القيام بأداء فريضة الحج و زيارة الأماكن المقدسة[6].

و من الرحالة الحفصيين أبو محمد عبد الله بن محمد التيجاني صاحب الرحلة المعروفة ب: "رحلة التيجاني" وقد وصف فيها الطريق التي سلكها بكل عناية و دقة مبديا ملاحظات عديدة حول المواقع و الظروف الطبيعية و حول السكان و القبائل و الحياة الثقافية[7].

---

[1]- الغبريني، المصدر السابق، ص 13. ابن فرحون، المصدر السابق، ص 86.

[2]- التنبكتي، المصدر السابق، ص 223.

[3]- روبار برنشيفك، المرجع السابق، ص ص 402-403.

[4]- العبدري، المصدر السابق، ص- ص 60-61.

[5]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 591.

[6]- أبو الحسن علي بن محمد القلصادي، تمهيد الطالب و منتهى الراغب في أعلى المنازل ، المعروف: برحلة القلصادي، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع تونس، 1978، ص 59.

[7]- روبار برنشيفك، المرجع السابق، ص-ص: 416-417.

1-2/ العلوم العقلية:

و هي حسب ابن خلدون العلوم التي يستوي فيها النظر بين المسلمين و غيرهم، و يمكن للمسلمين أخذها عن بعضهم، و هي علوم طبيعة الإنسان غير مختصة بملة معينة بل بوجه النظر فيها و تسمى أيضا علوم الفلسفة و الحكمة[1]، و تنقسم إلى أربعة أقسام:

علم المنطق- العلوم الطبيعية- علم الإلهيات (الميتافيزيقا)- علم المقادير.[2]

و قد اهتم أهل المغرب بعلم المنطق منذ العهد الموحدي كنتيجة لأفكار ابن تومرت الذي طبق منهج الفرابي في المنطق، و برز في هذا المجال عدد قليل من العلماء مقارنة بالذين برزوا في العلوم الدينية و نذكر منهم: أبو موسى عمران المشدالي البجائي و أبو إسحاق إبراهيم بن حسن بن عبد الرفيع الذي ألف كتابا بعنوان: " اختصار ابن رشد"[3] كما ألف أيضا ابن عرفة عدة تآليف هامة في المنطق[4].

هذا فيما يخص المنطق أما عن العلوم الطبيعية و خاصة منها الطب فقد حظي باهتمام السلاطين الحفصيين و المفكرين البارزين فنجد خلال فترات العصر الحفصي مجموعة من الأطباء المشهورين في كل من بجاية و قسنطينة و تونس و كان معظمهم من أصل أندلسي و نذكر من هؤلاء:

- **أبو القاسم محمد بن أحمد الأموي**: المعروف بابن اندراس أصله من مرسية بالأندلس هاجر إلى بجاية سنة 660 هـ/1262م و اشتغل بتدريس الطب و له إلمام باللغة العربية رحل إلى افريقية لما استدعاه المستنصر و جعله من سلك أطبائه، توفي سنة 674 هـ/1275م[5].

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص: 504.

[2]- للتعريف بهذه العلوم و ما تشتمل عليه ينظر ابن خلدون، المصدر نفسه، ص-ص: 504-506.

[3]- محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ص: 207.

[4]- القلصادي، المصدر السابق، ص: 121.

[5]- الغبريني، المصدر السابق، ص- ص 101-102.

- **أبو الحجاج يوسف**: أصله من قرمونة حظي بتقدير بالغ في بلاط السلطان أبي العباس[1]. و **محمد بن عثمان الصقلي** (عاش في حدود سنة 802هـ/ 1400م) و قد ألف كتابا بعنوان " المختصر الفارسي" و هو تلخيص لكتاب " القانون" لابن سينا[2].

أما في علم الإلهيات و علم المقادير فقد كان التخصص فيها ضئيلا و نشير هنا إلى العالم أحمد بن علي التميمي المعروف باسم ابن الكماد و العالم ابن قنفذ القسنطيني فبالإضافة إلى كونه مؤرخا اهتم كذلك بعلم الفلك و النجوم وله في هذا المجال مؤلفين هما: " تسهيل المطالب في تعديل الكواكب" و " شرح منظومة أبي الحسن علي بن أبي الرجال القيرواني" و هو كتاب في علم النجوم أهداه إلى وزير مريني[3].

و قد تأثرت العلوم النقلية و العقلية تأثرا كبيرا بالعديد من العلماء الأندلسيين الذين هاجوا بعد سقوط مدن الأندلس وسيتم التطرق إليهم في مجال الحديث عن ميادين التأثير الثقافي والعلمي.

1- روبار برنشيفك، المرجع السابق، ص 390.

2- نفسه، ص 391.

3- نفسه، ص 388.

2/ مناهج التعليم:

يعد التعليم من العوامل الأساسية الهامة التي تساهم في دفع عجلة الحركة الفكرية نحو التقدم و ترقية العلوم و الآداب و نشر ثقافة العلم و كان التعليم في مختلف دويلات المغرب الإسلامي يمر بمرحلتين بارزتين هما:

2-1/ التعليم الابتدائي:

يشكل المرحلة الأساسية في حياة المتعلمين ببلاد المغرب عموما ففي هذه المرحلة يعد التلاميذ للمراحل الأخرى، و فيها يتبين مدى قدرة الطالب على التحصيل العلمي و يتعرف على طرق تلقيه للعلم.[1] و لعل السن المفضلة لدخول الطفل إلى الكتاب و بدايته المرحلة الابتدائية هو سن السابعة.[2]

و كان التعليم الابتدائي يعطى في المساجد المنتشرة في القرى و المداشر و المدن أما منهجيته فكانت تقوم على حفظ القرآن الكريم و تعلم القراءة و الكتابة فكان المعلم ملزما بتحفيظ القرآن للتلاميذ و الهجاء و الشكل و الخط الحسن و القراءة الحسنة و الترتيل و إعراب القرآن الكريم، وكان على التلميذ استظهار ما حفظه أمام معلمه في كل عشية يوم الأربعاء و الخميس و لا يمكن الانتقال من سورة إلى أخرى حتى يحفظها و يكتبها و يعربها.[3]

و في هذه المرحلة كان المعلم ملزما أيضا بتعليم التلاميذ الصلاة ابتداءا من سن السابعة ويضربهم عليها في العاشرة اقتداءا بحديث النبي صلى الله عليه و سلم، كما ينبغي عليه تعليمهم الوضوء و أداء الصلاة بما فيها: عدد ركعاتها و سجداتها و القراءة فيها و التكبير و وضعية الإحرام و السلام وكل ما يلزمهم في الصلاة و التشهد و الدعاء[4].

---

[1]– محمد بن سحنون، آداب المعلمين، تحقيق: محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص: 80.

[2]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص: 344.

[3]– محمد بن سحنون، المصدر السابق، ص: 82.

[4]– عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص: 414.

و هناك من المواد من كان التلميذ يتعلمها بناءا على الاتفاق بين ولي أمره و المعلم و من بينها: الحساب و إتقان الخط و النحو و اللغة العربية و الشعر ما لم يكن فيه فحش من كلام العرب و أخبارهم[1].

و مما يلحظ على مناهج التعليم الابتدائي في الدولة الحفصية أنه كانت تقوم على حفظ القرآن الكريم مع تعلم الحديث و أساسيات العلم، إلا أنه ارتكز على حفظ القرآن باختلاف رواياته و قراءاته ثم الخط، فكانت بذلك أقرب إلى الذي كان منها في الأندلس منه إلى منهج آخر في بلاد المغرب[2].

و يشير ابن خلدون إلى منهجية التعليم عند الحفصيين بقوله: " ... و أما أهل إفريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب، و مدارسة قوانين العلوم و تلقين بعض مسائلها، إلا أن عنايتهم بالقرآن و استظهار الولدان إياه و وقوفهم على اختلاف رواياته و قراءاته أكثر مما سواه..."[3]، و يرجع السبب في قرب منهج التعليم لدى الحفصيين إلى منهج التعليم في الأندلس إلى هجرة العديد من مشيخة و علماء الأندلس نحو تونس و استقرارهم بها نتيجة تغلب النصارى على معظم مدن الأندلس[4].

كما كان منهج التعليم عند الحفصيين أيضا أقرب إلى منهج التعليم في المشرق و خصوصا مصر بحكم تنقل العديد من طلبتها و علمائها إلى المشرق[5].

من خلال دراسة مناهج التعليم في الدولة الحفصية نستنتج أن التعليم الابتدائي ارتكز بالدرجة الأولى على حفظ القرآن الكريم مما نتج عنه عدم التحكم في ملكة اللغة و إجادة فنونها وأساليبها عكس أهل الأندلس الذين كانوا أحسن استعدادا للإمساك بزمام اللسان العربي لأنهم استفادوا من التفنن في التعليم الابتدائي برواية الشعر و الترسل في دراسة قواعد اللغة العربية منذ

[1]- عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص 415.

[2]- ابن سحنون، المصدر السابق، ص 82.

[3]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص ص 588-589.

[4]- نفسه، ص 589.

[5]- عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص 417.

الصبا، كما يستخلص أن طريقة التعليم كانت مرنة مقارنة بالتعليم في المغرب الأقصى كما كانت أكثر صرامة و أكثر حرية في الأندلس[1].

بعد الانتهاء من هذه المرحلة يتم الانتقال إلى مرحلة أكثر تطورا و شمولية للعلوم هي مرحلة التعليم العالي أو الثانوي.

2-2/ التعليم العالي:

تتسم هذه المرحلة بحرية الطالب في اختيار المواد التعليمية انطلاقا من استعداداته و طاقته الفكرية، كما كان له مطلق الاختيار للأساتذة الذين سيتتلمذون عليهم في أية مادة من المواد التي يريدونها.[2]

و لا يمكن تحديد بداية التعليم العالي منهجيا في بلاد المغرب و الأندلس لأن المصادر لم تتحدث عنه صراحة، و لكن المؤكد أن الطالب في هذه المرحلة يتعلم ما لم يتعلمه قبلها أو يتعمق فيها مجملا[3]. و لما كانت المواد الشرعية هي المواد المتغلبة في مناهج التعليم العالي فما من شك أن الطلبة يستلهمون تعليمهم من تلك المواد مع مزاولتهم تعلم العلوم المساعدة لها[4].

و قد كانت طريقة التعليم العالي قديما تعتمد على طريقة " النقل" المتمثلة في النقل الشفاهي للنصوص عن طريق السرد من طرف الشيخ أمام تلاميذه[5] أما مع بداية القرن الرابع الهجري العاشر ميلادي اندمجت في افريقية طريقة جديدة مع الطريقة القديمة و هي طريقة "الإلقاء" و تتمثل في إلقاء الشيخ بعض الأسئلة على تلاميذ و مناقشة المواضيع المطروحة في آن واحد من طرف التلاميذ و شيوخهم.[6].

و مع منتصف القرن السابع هجري طرأت تطورات على طرق التعليم العالي خاصة في زمن ابن زيتون و أبي عبد الله شعيب[7]، حيث سادت طريقتهما في التدريس جامع الزيتونة و زاد

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص-ص: 589-590.

[2]- نفسه، ص- ص 583-584.

[3]- عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص: 19.

[4]- نفسه، ص: 19.

[5]- روبار برنشيفك، المرجع السابق، ص: 379.

[6]- نفسه، ص: 379.

[7]- فقيه و متصوف أصله من هسكورة من المغرب، ولي بلدة القيروان، لكنه عزل و بقي عاكفا على العلم و العمل إلى أن توفي، ينظر، الغبريني، المصدر السابق، ص-ص: 173-174.

القاضي ابن عبد السلام[1] في تطويرها و تقوم هذه الطريقة على البحث و التحليل و إعطاء التفكير أهمية كبيرة دون جعل التعليم يقتصر على الحفظ، و قد اقتصرت هذه الطريقة على بعض المدارس الحفصية.[2]

و إلى جانب ذلك اشتهرت طريقة أخرى في التعليم و هي طريقة ناصر الدين المشدالي والتي كانت طريقة علمية ذات فعالية في التدريس و البحث و قد أشاد بها الغبريني فقال: "...دروسه حسنة منقحة، وله عبارة جيدة و هو كثير البحث و محبته في البحث أكثر من محبته في النقل"[3].

و قد انتشرت طريقة المشدالي في بجاية خاصة و ساعد انتشارها على تنشيط الأبحاث الفقهية النظرية و الدراسات العقلية المنطقية، و الذين تأثروا بها أصبحوا يميلون إلى الاجتهاد في الفروع و تخريج المسائل[4]، و ذلك راجع إلى أن هذه الطريقة تميزت باستعمال أسلوب الحوار والمناقشة و التعمق في البحث و التعليل في أصول الفقه و أصول الدين و استغلال الجدل في البحث و المناظرات[5].

و من بين الذين انتقدوا طرق التعليم القديمة العالم الشهير ابن عرفة، فقد كان يطالب الشيوخ و الكتاب على حد سواء بشيء من التجديد، فتقدم الدراسات –حسبه- مرهون بتعميق النظريات التي يتلقاها الدارس، و ذلك من خلال تسليط الضوء على بعض النقاط الغامضة وإثارة بعض الإشكاليات الجديدة[6].

و لعل أفضل طريقة للتعليم حسب ابن خلدون هي التي تستوجب التدرج على مراحل توخيا للعمق و الإتقان فيشرع الأستاذ في إلقاء الخطوط العامة المراد تعلمها فصلا فصلا ثم يشرع

---

[1]- هو أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الهواري التونسي، قاضي الجماعة بها، كان علامة و فقيها متبحرا في العلوم النقلية والعقلية محققا، أخذ عن جماعة من الشيوخ منهم أبي عبد الله بن هارون تولى التدريس و الفتوى بتونس و تولى القضاء سنة 734هـ، توفي سنة 749هـ، ينظر: ابن فرحون، المصدر السابق، ص: 168.

[2]- عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص-ص: 419-420.

[3]- الغبريني، المصدر السابق، ص: 201.

[4]- مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية –مدن الشرق- الجزء الثالث طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر ، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 217.

[5]- نفسه، ص 217.

[6]- روبار برنشيفك، المرجع السابق، ص: 379.

في شرحها مع مراعاة الاستعدادات الفكرية للمتعلم لكي تتكون لديه ملكة مبدئية حــول ذلــك العلم، ثم يعود الأستاذ و يتناوله بعمق فيشرع في التعليق و الشرح و المقارنة بين الاختلافــات في كل الآراء الواردة فيلم الطالب بالمجمل و المفصل و المختلف حوله فتتكون لديــه القــدرة علــى المناقشة و التحليل، ثم يعود الأستاذ ثالثة فيتأكد مما تعلمه طلبته و يتفقــد أي غمــوض و يزيلــه بالتوضيح[1].

[1]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص-ص: 583-584.

3/المؤسسات الثقافية:

لقد تعددت المؤسسات الثقافية في الدولة الحفصية و تنوعت بين كتاتيب و مساجد و زوايا و مدارس.

3-1/الكتاتيب و المساجد و الزوايا:

كانت الكتاتيب في المغرب الأدنى بمثابة المدارس الابتدائية اليوم الخاصة بالتعليم الابتدائي، كما كان يقوم بإنشائها خواص في الغالب نظرا لبساطتها، أو يقوم المعلمون باستئجار بيوت تُتخذ مكانا للتعليم أو تبنى من قبل جماعة من أولياء التلاميذ الميسورين، وإذا استأجر المعلم المحل لتعليم الصبيان فعلى أولياء التلاميذ أداء أجرة كراء المحل[1].

و كانت في مجملها عبارة عن غرفة بسيطة أثاثها الحصير المصنوع من السماد أو الحلفاء، وفي القرن التاسع الهجري أصبحت هذه المؤسسات أكثر تجهيزا حيث ذكر الحسن الوزان ذلك قائلا: "... في كل مدرسة قاعة كبيرة مجهزة بمدرجات تستعمل كمقاعد للأطفال..."[2].

و قد كانت هذه الكتاتيب تنتشر في كافة أنحاء المغرب الأدنى و إلى جانبها وجدت الزوايا و هي عبارة عن مجموعة من الأبنية لتحفيظ القرآن الكريم و التعليم و لإقامة الطلبة و عابري السبيل، كما كانت أماكن لإقامة الصلاة و كان ينشئها أهل الخير و رجال الطرق الصوفية من أموالهم الخاصة أو يشترك جماعة في إنشائها و يوقفون عليها أوقافا لتغطية نفقاتها، وتوكل إدارتها ورعايتها إلى ناظر و جماعة من المساعدين[3].

و كان للسلاطين الحفصيين اهتمام أكثر من غيرهم في بلاد المغرب و الأندلس بإنشاء الزوايا و العناية بها و قد أشار إلى ذلك صاحب المؤنس في حديثه عن خلافة أبي عمرو عثمان (839-893هـ/ 1433-1488م).

---

[1]- مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية و التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ، كلية الآداب، قسم التاريخ، تلمسان، 2005-2006، ص 75.

[2]- الحسن الوزان ، المصدر السابق، ج2، ص 261.

[3]- عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص: 425.

" ...و بنى زاوية بعين الزميت[1] و جعل فيها جامعا للصلاة و درسا لقراءة العلم و رباطا للقاطنين و سماطا قويا على ممر الأيام للمقيمين بها و الوافدين و أوقف عليها وقفا كافيا"[2] إضافة إلى الكتاتيب و الزوايا وجد المسجد الذي أدى مهمة المؤسسات الثقافية، فبالإضافة إلى كونه مكانا للعبادة كان يقوم مقام المدارس و المعاهد العليا و مركز إشعاع فكري يشرف على الدراسات الفكرية و العلمية و تعقد فيه حلقات للبحث، و قد عدت المساجد ملتقى لعامة الناس، ثم صارت مركزا للعلماء و مقصدا لطلبة العلم[3].

و هناك بعض المساجد التي كان يطلق عليها المسجد الجامع و التي تميزت بنظامها التعليمي الخاص فلم يكن يسمح للصغار التعلم فيها بل كانت مخصصتا لتعليم الكبار و مجالسة العلماء[4] ومن أشهر الجوامع في المغرب الأدنى خاصة و المغرب و الأندلس عامة جامع الزيتونة[5] الذي أدى دورا مهما في الازدهار الحضاري للمغرب الأدنى منذ تأسيسه فقد كان مقصدا لطلبة العلم من مختلف مناطق المغرب الإسلامي، كما وجد أيضا بالمغرب الأدنى جامع أعظم بكل من بجاية وقسنطينة و القيروان[6]، و مما تجدر الإشارة إليه هو أن هذه المؤسسات الثقافية خاصة الزوايا والجوامع كانت ملحقة بمكتبات ثرية بالمخطوطات و الكتب و مناقب الصالحين.

و في هذا الصدد أشار العبدري إلى وجود كتب قديمة كانت محفوظة في الجامع الأعظم بالقيروان و من بينها مصحف من الحجم الكبير يرجع تاريخه إلى عهد الخليفة عثمان بن عفان.[7]

و مما زاد من وجود المكتبات هو اهتمام السلاطين بها و تدعيمهم لها بالكتب و كمثال على ذلك ما قام به السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز سنة 822 هـ/1419م حيث بنى

---

[1]– تقع بين مدينة تونس و باجة.

[2]– ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص: 156.

[3]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص: 145.

[4]– ابن سحنون، المصدر السابق، ص 87. الونشريسي، المعيار، ج8، المصدر السابق، ص- ص 36-38.

[5]– أمر ببنائه الوالي عبد الله بن الحبحاب سنة 114هـ/732م و أتم بناءه و طوره أبو العباس محمد بن الأغلب، فكان منذ ذلك العهد منارة للعلم والعلماء، وزاد في بناءه و صومعته السلطان أبو زكريا الأول، ينظر: ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص-ص: 11-12، وعاشور بوشامة، المرجع السابق، ص: 428.

[6]– الغبريني، المصدر السابق، ص-ص: 301-302.

[7]– العبدري، المصدر السابق، ص: 59.

خزانة للكتب بجانب جامع الزيتونة و زودها بجميع ما عنده من كتب و جعلها وقفا على طلبة العلم لكي ينتفعوا بها[1]، كما قام بعده السلطان أبو عمرو عثمان ببناء خزانة أخرى شرقي الجامع[2].

و إلى جانب هذه المؤسسات التي تم ذكرها ظهرت مع منتصف القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي مؤسسات حديثة أكثر تطورا عرفت بالمدارس.

3-2- المدارس:

هي من المنشآت الثقافية المستحدثة في العالم الإسلامي، و أول مدرسة بنيت في العالم الإسلامي هي المدرسة البيهقية بنيسابور أوائل القرن 5 هـ/11م، و بعدها قام الوزير السلجوقي قوام الدين الطوسي ببناء المدرسة النظامية ببغداد سنة 457 هـ/1065م[3].

أما ببلاد المغرب فيعود ظهور المدارس بشكلها النظامي إلى منتصف القرن السابع الهجري، و قد كان الحفصيون هم السباقين إلى إنشاء المدارس و قد تواجد معظمها في العاصمة تونس[4]، ومن أهم هذه المدارس نشير إلى:

- **المدرسة الشماعية:** يعود تاريخ بنائها إلى سنة 633 هـ/1235م و سميت بهذا الاسم لقربها من سوق الشماعين و كانت تعرف بأم المدارس بتونس[5] و قد تزامن إنشاؤها مع بداية ظهور الدولة الحفصية و مع إنشاء أبي زكريا الحفصي جامع القصبة العقائدي[6] و هو ما دفع ببعض المؤرخين إلى القول أن المدرسة الشماعية أنشئت لتكريس المذهب الموحدي و نشره و تغليبه على المذهب المالكي[7].

1- الزركشي، المصدر السابق، ص: 125.

2- نفسه، ص: 144.

3- بوحسون عبد القادر، المرجع السابق، ص: 26.

4- عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص: 428.

5- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص: 134،

Atallah Dhina, Les Etats de l'occident musulman au 13 et 15 siècles, office de publication universitaire, ALGER, (Sa)p.310.

6- الزركشي، المصدر السابق، ص: 26.

7- بوبة مجاني، المدارس الحفصية، نظامها و مواردها، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 12، قسنطينة، 1999، ص: 158.

- **المدرسة التوفيقية:** شرع في بنائها سنة 650 هـ/1252م و مولت بنائها السيدة عطف أرملة أبي زكريا يحي الأول الحفصي و والدة خليفته أبي عبد الله محمد المنتصر الحفصي، ثم تحول اسمها إلى مدرسة الهواء.[1]

- **المدرسة المعرضية:** بنيت في عهد أبي حفص عمر الحفصي (683-694 هـ/1284-1295م)، في مكان فندق كانت له سمعة سيئة بتونس، و لما كمل بناؤها جلس فيها للتدريس أبو العباس أحمد الغرناطي صاحب كتاب: " المشرق في علماء المغرب"[2].

- **المدرسة العنقية:** و تسمى كذلك مدرسة عنق الجمل ابتدأ إنشاؤها في سنة 734 هـ/1333م، وتم افتتاحها في سنة 742 هـ/1341م، و قد أنفقت على بنائها أخت السلطان الحفصي أبي يحي أبي بكر (717-747 هـ/1317-1346م)[3].

- **مدرسة ابن تافرجين:** أنشئت هذه المدرسة قبل سنة 766 هـ/1364م، و سميت بهذا الاسم لأن الشيخ الحاجب أبو محمد عبد الله بن تافرجين عندما توفي في هذا التاريخ دفن بالمدرسة الكائنة بقنطرة بني ساكن داخل باب السوقية[4].

- **المدرسة السجومية:** أمر ببنائها الأمير الحفصي أبو عبد الله محمد ولي عهد السلطان أبي فارس عبد العزيز سنة 1428/832م هـ و أكملها خليفته أبو عمرو عثمان، فافتتحها سنة 841هـ/1437م[5].

و في عهد السلطان أبي عمرو عثمان الحفصي (839-893 هـ/1433-1488م) تم بناء ثلاث مدارس و هي:

---

[1] - عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص: 431. Atallah dhina, op-cit, p: 310.
[2] - الزركشي، المصدر السابق، ص-ص: 51-55. Atallah dhina, ibid, p: 310.
[3] - نفسه، ص-ص: 71-77.
[4] - نفسه، ص: 101.
[5] - نفسه، ص: 132.

مدرسة صولة بنيت سنة 840 هـ/ 1436م و التي كانت تتواجد بجوار دار الشيخ الصالح سيدي محرز بن خلف[1] والساقية بإزائها[2] و المدرسة العثمانية كما مول القائد الحفصي نبيل بناء مدرسة شرع فيها سنة 850 هـ/ 1446م[3].

إضافة إلى هذه المدارس وجدت:

- **المدرسة المستنصرية:** التي أمر ببنائها أبو عبد الله المستنصر الحفصي (647-675 هـ/1249-1288م)، و كذلك أشار القلصدي إلى مدرسة أخرى و هي مدرسة ثابت حيث يذكر في رحلته أنه نزل بها عدة ليال و أيام[4].

---

[1]- محرز بن خلف: هو أبو محفوظ محرز بن خلف بن رزيق من أحفاد أبي بكر الصديق القرشي، كان ورعا دينيا عظيم الخشية من الله، اشتغل بتعليم القرآن الكريم توفي سنة 413هـ، و دفن قرب باب السوقية من مدينة تونس، ينظر: القلصدي، المصدر السابق، ص: 115.

[2]- الزركشي: المصدر السابق، ص: 142، القلصدي، المصدر نفسه ، ص: 112.

[3]- بلحسن إبراهيم، المرجع السابق، ص: 89.

[4]- القلصادي، المصدر السابق، ص: 124.

ثانيا: الحياة الثقافية في الأندلس.

1/ نظام التعليم و طرقه:

كان التعليم في الأندلس يمر بنفس المرحلتين اللتين تم التطرق لهما في مناهج التعليم في المغرب الأدنى، إلا أن الاختلاف الجوهري بينهما يكمن في المنهج المتبعة.

و قد لاحظنا أن التعليم الابتدائي في الدولة الحفصية كان يرتكز على حفظ القرآن و تعلم الحديث، إلا أنه في الأندلس كان أكثر تنظيما و لا يقتصر على تعليم القرآن فحسب و إنما تضاف إليه بعض المواد و خاصة المتعلقة باللغة العربية و علومها، و قد أشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله: "... بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب و الترسل، و أخذهم بقوانين العربية وحفظها و تجويد الخط و الكتاب..."[1].

و كان من الضروري حسن الخط لطلاب العلم و العلماء لذلك صار له منهج تدريس خاص به إذ أُعتبر مادة مستقلة لها مدرسون مختصون بها يعلمون التلاميذ تجويد الخط و يتدربون عليه بكتابة النصوص من نماذج أمامهم خاصة من الأبيات الشعرية[2]، و في هذا الصدد يذكر عبد الرحمن بن خلدون الطريقة المتبعة لتعليم الخط الذي يعتبره من عداد الصنائع الإنسانية فيقول: "... و ليس الشأن في تعليم الخط بالأندلس و المغرب كذلك في تعلم كل حرف بانفراده على قوانين يلقيها المعلم للمتعلم، و إنما يتعلم بمحاكاة الخط في كتابة الكلمات جملة، ويكون ذلك من المتعلم ومطالعة المعلم له، إلى أن يحصل على الإجادة و يتمكن في بنانه الملكة، فيسمى مجيدا"[3].

إن هذه العناية التي أولاها الأندلسيون للغة و علومها مردها إلى إعداد التلاميذ للدراسات اللاحقة فقد كان الطفل يبدأ بتعلم القراءة و الكتابة ثم النحو و اللغة و الحساب و بعدها ينتقل إلى دراسة المنطق و علوم الطبيعة ثم يليها علم الأخبار و الماورائيات و أخيرا ينتقل إلى دراسة علوم

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص: 588.

[2]- خوليان ربيرا، التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية و تأثيراتها الغربية، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1994.

[3]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص: 422.

الشريعة.[1] و هذه الطريقة هي التي أشار إليها القاضي أبو بكر ابن عربي[2] في كتاب رحلته واستحسنها عبد الرحمن ابن خلدون[3].

أما فيما يخص التعليم العالي فلا يمكن تحديد المواد التي يبدأ الطلاب دراستها لأنها ليست منفردة، فقد يجمع بين عدة دراسات كأن يدرس القرآن و الحساب مثلا، أو المنطق و الطب، إلا أن الدراسات الدينية كانت لها الأولوية و معظم الطلاب يتوقفون عندها، و مع ذلك تأتي دراسته النحو و التعمق فيه بهدف فهم الكتب الأخرى في المواد الأخرى[4].

و مما يمكن الإشارة إليه أن الطلبة في غرناطة كانوا يجتهدون في تحصيل العلم، إذ كانوا يجتمعون إلى الأساتذة حيثما كانوا لمتابعة دراستهم، و لم يذكر شيء عن المدة التي كان يقضيها الطالب في دراسته، غير أنه تمت الإشارة إلى الإجازة[5] التي كان يتحصل عليها من أستاذه في

---

[1]- أحمد شبشون، منزلة العلم و التعليم بالأندلس من خلال رسائل مراتب العلوم لابن حزم، ندوة الأندلس، ط1، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، 1996، ص-ص: 8-9.

[2]- ابن عربي: هو محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المعافري، علامة حافظ متبحر في العلوم يكنى أبا بكر، كان مولده بإشبيلية سنة 468هـ/ 1075م، ارتحل إلى المشرق سنة 485هـ/ 1092م ولقي أكابر علمائها مثل أبي حامد الغزالي وأباب بكر الطرطشي، رجع إلى بلده بعلم غزير سنة 495هـ/ 1102م، ومن أشهر مؤلفاته "أحكام القرآن"، "المسالك في شرح موطأ الإمام مالك"، "الناسخ و المنسوخ"، توفي بمراكش سنة 543هـ/ 1148م، ينظر التنبكتي، المصدر السابق، ص 244، ابن مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص 136.

[3]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص-ص: 589-590.

[4]- خوليان ربيرا، المرجع السابق، ص: 41.

[5]- الاجازة عند المحدثين هي الإذن في الرواية لفظا أو كتابة، و كانت لا تُمنح إلا لمن يدرس علم الحديث، ثم صارت تُمنح في كل العلوم و الفنون، و هي تعتبر شهادة كفاءة أو تأهيل، بواسطتها يستحق الطالب المجاز لقب الشيخ أو الأستاذ في العلوم المجاز لها، ينظر: شاوش محمد بن رمضان، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص: 405، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1980، ص-ص: 41-42.

النهاية[1] و كانت الطريقة المعتمدة في تحصيل العلم هي السماع و الحفظ و العرض[2]، كما كان الأساتذة يقومون بحبس مؤلفاتهم للانتفاع بها.[3]

و لعل هذه الطريقة المتبعة في التعليم كان لها بالغ الأثر في رفع المستوى الثقافي لطلبة، و ما يدل على ذلك كثرة التآليف و قد استدعت الضرورة الشرح و الاختصار فيها، فشاعت مختصرات أمهات الكتب لتسهيل عملية الحفظ في وقت انشغل فيه أهل الأندلس بأمور المعيشة الصعبة و الجهاد ضد العدو، كما زودت هذه المختصرات و غيرها من التآليف المكتبات التي انتشرت في غرناطة الأمر الذي سهل عملية البحث و تشجع الطلبة على الخوض في غماره[4].

كما أن اهتمام أهل الأندلس بالعلم و أهله كان له دور في الازدهار الفكري للأندلس، فقد كان العالم عندهم معظما عند الخاصة و العامة[5] و بلغ تقديرهم للعلم و العلماء أن صار مدلول كلمة " فقيه" عندهم مدلولا رفيعا حتى أنهم كانوا يسمون الأمير العظيم بالفقيه مثل: محمد الفقيه[6].

و لقد امتدح عبد الرحمن ابن خلدون أهل الأندلس بأن لهم من ذكاء العقول و خفة الأجسام و قبول التعليم ما لا يوجد لغيرهم[7]، كما يذكر شهاب الدين المقري "أن البلاغة لم تزل شمسها بالأندلس باهرة الآيات، إلى أن استولى عليها العدو، و في أهلها بقية لسان وبراعة وتصرف في فنون الإجادة و البراعة"[8].

و هذه الشهادات ما هي إلا انعكاس عن انتعاش الحركة الفكرية في الأندلس و التي ظهرت ملامحها في تعدد و انتشار المؤسسات التعليمية على اختلاف أنواعها و تخصص معلميها.

---

[1]- أحمد أمين الطوخي، مظاهر الحضارة الأندلسية في عصر بني الأحمر، تقديم: محمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1997، ص: 317.

[2]- خوليان ربيرا، المرجع السابق، ص: 48.

[3]- أحمد بن محمد المقري، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ج1، تحقيق: مصطفى السقا إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة، القاهرة، 1939، ص: 58.

[4]- أحمد أمين الطوخي، المرجع السابق، ص: 320.

[5]- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص: 205.

[6]- نفسه، ص: 206.

[7]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص: 618.

[8]- المقري، أزهار الرياض، المصدر السابق، ص-ص: 115-116.

2/المؤسسات التعليمية:

تعددت المؤسسات التعليمية و تنوعت في الأندلس، إلا أنها تمثلت خاصة في المساجد والمدارس.

2-1/ المساجد:

أدت المساجد أدوارا هامة في مختلف ميادين الحياة الدينية و الاجتماعية، كما أسهمت في تنشيط الحياة العلمية و الثقافية[1]. و من الملاحظ في الأندلس أن أهلها أولوا أهمية بالغة لتشييد المساجد عكس المدارس لأن جميع العلوم كانت تُدرّس في المساجد و التي كانت منتشرة في مختلف مدن و قرى الأندلس، و من أهم تلك المساجد نذكر:

- المسجد الجامع بقرطبة:

و هو من أعظم المساجد التي وجدت في الأندلس، كما يعتبر تحفة فنية رائعة متميزة في تاريخ العمارة الإسلامية و حتى المسيحية في العصور الوسطى، تأسس هذا المسجد بعد فتح المسلمين لمدينة قرطبة بقيادة مغيث الرومي فاختاروا كنيستها " سنت فيسنت" لإقامة مسجدهم البسيط[2]، ثم شرع في بناءه على شكل مسجد ضخم و كبير عبد الرحمن الداخل سنة 170 هـ/786م ولكنه توفي قبل إتمامه فأكمله ولده هشام (172-180 هـ/782-796م) من بعده[3].

و لما تولى عبد الرحمن بن الحكم (206-238 هـ/822-852م) و ارتفع شأن قرطبة بتوافد المسلمين عليها ضاق بيت الصلاة فزاد فيه عبد الرحمن بلاطين زائدين سنة 218 هـ/833م و ابتنى في مؤخرة الصحن سقيفة جوفية ثم زاد في عمقه زيادة مهمته سنة 234 هـ/848م[4]، و في عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله (300-350 هـ/912-161م) تم بناء صومعة

1- Rachid Bourouiba, les inscriptions commémoratives des mosquées d'Algérie, O,P,U. Algérie 1984, P: 127.

2- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص: 382.

3-عبد الرحمن عنان، الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا و البرتغال، ط2، مطبعة مدني القاهرة، 1997، ص: 20.

4- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، المرجع السابق، ص-ص: 17-18.

جديدة ذات شكل بديع محل الصومعة القديمة التي تصدعت حتى قيل بأنه ليس في بلاد المسلمين صومعة مثلها[1].

و يصف الحميري هذا المسجد وصفا مميزا فيقول عنه: " إنه الجامع المشهور أمره الشائع ذكره، من أجل مصانع الدنيا كبير المساحة و أحكام صنعه، و جمال هيئته و إتقان بنيته، همم فيه الخلفاء المروانيون فزادوا فيه...فصار يحار فيه الطرف و يعجز عن حسنه الوصف."[2]

و فضلا عن وظيفته الدينية، كان يتخذ لبعض المهام الكبرى كأخذ البيعة للأمير أو الخليفة الجديد، و تقرأ على منبره الأوامر و الأحكام الهامة، كما كان يعقد به مجلس قاضي القضاة[3]، وكان أيضا مركزا لجامعة قرطبة التي أسسها عبد الرحمن الثالث و جعلت من قرطبة إحدى أهم منارات العلم و الثقافة بالعلم الإسلامي[4].

- المسجد الجامع بغرناطة:

قام ببناء هذا المسجد محمد بن محمد بن نصر المعروف بالفقيه ثاني سلاطين بني نصر، وكان هذا المسجد من أعظم مساجد الأندلس قال فيه لسان الدين بن الخطيب عند ترجمته للسلطان الفقيه: " أعظم مناقبه المسجد الجامع... على ما هو عليه من الظرف و التمجيد و الترقيش، وفخامة العمل و أحكام أنوار الفضة و إبداع ثراها، و وقف عليه الحمام بإزائه، و أنفق فيه مال الجزية."[5]

و كان هذا المسجد المركز الرئيسي الذي تدور حوله الحياة الدينية و الاجتماعية والسياسية و ترتكز حوله الحياة الاقتصادية إذ فيه تعقد الاجتماعات العامة، و ينظر في القضايا الكبرى[6].

---

[1]- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص-ص: 71-83، السيد عبد العزيز سالم، المساجد و القصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1986، ص-ص: 20-21.

[2]- الحميري، الروض، المصدر السابق، ص-ص: 456-457.

[3]- عبد الله عنان، الآثار الأندلسية، المرجع السابق، ص-ص: 21-22.

[4]- هناء الدويديري، قرطبة مدينة و تراث، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الأول، السنة الأولى، وهران، 1993، ص-ص: 22-24.

[5]- لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980، ص-ص: 62-63، القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص: 214.

[6]- أحمد أمين الطوخي، المرجع السابق، ص: 57.

و لم يكن هذا المسجد هو الوحيد بغرناطة بل وجدت العديد من المساجد منها مسجد الحمراء الأعظم الذي بناه السلطان محمد الثالث المعروف بمحمد المخلوع (702-709 هـ/1302-1309) حوالي سنة 705 هـ/1305م و كان في غاية الروعة و الجمال و حلت محله اليوم كنيسة سانتا مرية[1] إضافة إلى مسجد القيصارية و مسجد المنصورة و مسجد المرابطين ومسجد ابن سحنون و غيرها[2].

و إضافة إلى هذه المساجد كانت باشبيلية عدة مساجد منها مسجد ابن عدبس الذي بناه القاضي عمر بن عدبس سنة 214 هـ/ 830 م بأمر من الأمير عبد الرحمن الأوسط[3]، و المسجد الجامع بقصبة اشبيلية و مسجد ربينة و مسجد الطراكة[4].

و قد أولى سلاطين بني نصر عناية بالغة بالمساجد، فكانوا ينفقون على بنائها و تشييدها ويوقفون عليها أوقافا كثيرة و يحرصون على تعيين أكابر العلماء بها سواءا في الخطابة أو التدريس حيث اشتهرت بها مجالس العلم و الإقراء[5].

2-2/ المدارس:

لم يذكر الكثير عنها باستثناء المدرسة اليوسفية أو المدرسة العلمية، أنشأها السلطان الناصر أبو الحجاج يوسف الأول (733-755 هـ/ 1333-1354م)[6]، و بنيت على يد حاجبه أبي النعيم رضوان سنة 750 هـ/ 1349م و كانت تقع على درب ضيق محاذي لشارع الملكين الكاثوليكيين[7].

1- عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا و البرتغال، المرجع السابق، ص: 208.

2- أحمد بن محمد الغزال، نتيجة الاجتهاد في المهادنة و الجهاد، تحقيق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص: 84.

3- السيد عبد العزيز سالم، المساجد و القصور في الأندلس، المرجع السابق، ص: 28.

4- نفسه، ص: 84.

5- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص-ص: 109- 110.

6- ابن الخطيب، اللمحة البدرية، المصدر السابق، ص 109.

7- ابن الخطيب، كناسة الدكان، المصدر السابق، ص 202.

و قد أوقف عليها مؤسسها الحاجب رضوان بأمر من السلطان الأوقاف الجليلة، كما أوقف لسان الدين بن الخطيب على هذه المدرسة نسخة من كتابه، الإحاطة في أخبار غرناطة لينتفع بها الطلبة عام 829 هـ/1425م[1]. و قد قام بالتدريس في هذه المدرسة نخبة من علماء الأندلس و غيرها من الأقاليم المجاورة نذكر منهم:

أبو الفخار الخولاني[2] الذي قل من لم يأخذ عليه من الطلبة، و يحي ابن أحمد بن هذيل التجيبي[3] الذي درس بالمدرسة النصرية الأصول و الفرائض و الطب إلى جانب منصور الزاوي الذي كان حيا حتى عام 757 هـ/ 1356م و قام بتدريس المواد الرياضية، إضافة إلى الشيخ أبي سعيد فرج بن لب[4] و كانت تربطهم بالوزير لسان الدين بن الخطيب صلات أدبية و علمية، كما عرفت هذه المدرسة شهرة كبيرة في الأندلس و المغرب الإسلامي، إذ استقطبت الكثير من طلبة العلم و تخرج منها العديد من العلماء و الأدباء.[5]

و قد نظم ابن الخطيب قصيدة أشاد فيها بالمدرسة و منشئها كانت منقوشة على إحدى جدران المدرسة و تتألف هذه القصيدة من تسعة أبيات من بحر الطويل مطلعها:

ألا هكذا تبنى المدارس للعلم — و تبقى عهود المجد ثابتة الرسم.
و يقصد وجه الله بالعمل الرضا — و تجنى ثمار العز من شجرة العزم.
تفاخر مني حضرة الملك كلما — تقدم خصم في الفخار إلى خصم.
فأجدى إذا ظن الغمام من الحيا — و أهدى إذا من الظلام من النجم.[6]

---

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج1، ص-ص: 329-334.

[2]- ابن الفخار: هو أبو عبد الله محمد بن علي بن الفخار الألبيري، فقيه و مفسر نحوي من علماء الأندلس في القرن 8 هـ، كان من أساتذة ابن الخطيب لازم التدريس في غرناطة حتى توفي سنة 754 هـ/ 135م. ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر نفسه، ج3، ص: 172.

[3]- هو الشيخ أبو زكريا أبو يحي بن أحمد بن هذيل التيجيني من مشايخ لسان الدين بن الخطيب، شاعر بليغ له ديوان شعر بعنوان " السليمانيات و العزفيات" توفي سنة 753 هـ 135م، ينظر: المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج3، ص: 357.

[4]- هو أبو سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لب التغلبي الغرناطي، شاعر من أهل الذكاء، كان عارفا باللغة و القراءات والتفسير، ينظر: المقري، نفح الطيب، المصدر نفسه، ج5، ص: 510.

[5]- حسن عزوزي، التأليف في القراءات القرآنية بالمغرب و الأندلس في القرن الثامن الهجري، مجلة الحضارة الإسلامية، السنة الأولى عدد خاص حول المراكز الثقافية بالمغرب الإسلامي، وهران، 1993، ص: 246.

[6]- للإطلاع على القصيدة كاملة، ينظر، لسان الدين بن الخطيب، كناسة الدكان، المصدر السابق، ص-ص: 202-203، المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج8، ص-ص: 176-177.

بيد أن هذه المدرسة قد أزيل معظمها أوائل القرن 18م، و لم يتبق منها سوى الجناح الذي يشتمل على المحراب، و أنشأ مكانها مبنى حديث و نقلت آثارها إلى مختلف متاحف إسبانيا كمتحف غرناطة الذي توجد فيه اليوم لوحة رخامية مكتوب عليها: " أمر ببناء هذه الدار للعلم جعلها الله استقامة و نورا و أدامها في علوم الدين على الأيام أمير المسلمين أبو الحجاج يوسف بن أمير المسلمين و ناصر الدين أبي الوليد إسماعيل ابن فرج بن نصر كافئ الله في الإسلام حسن صنائعه الزاكية و تقبل أعماله الجهادية و تم ذلك في شهر محرم عام خمسين و سبعمائة"[1].

[1] - ابن الخطيب، كناسة الدكان، المصدر السابق، ص: 202، عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص: 172.

3/ أشهر العلوم و العلماء:

سبقت الإشارة إلى أصناف العلوم التي كانت منتشرة ببلاد المغرب الإسلامي و تم التعريف بها، و باعتبار الأندلس جزء لا يتجزأ من بلاد المغرب، فقد شهدت انتشار كل من العلوم النقلية والعقلية على حد سواء، و برز فيها العديد من العلماء و سيتم ذكرهم على سبيل المثال لا الحصر.

3-1- العلوم النقلية:

اهتم الأندلسيون كغيرهم من أهل المغرب بالعلوم النقلية بأنواعها الدينية و اللسانية والاجتماعية.

أ- العلوم الدينية (الشرعية):

أولى الأندلسيون عناية خاصة بالعلوم الدينية لعدة اعتبارات منها المكانة التي كان يتمتع بها العلماء المتخصصون في هذه العلوم لدى السلاطين و عامة الناس و من أبرز هذه العلوم:

– علم التفسير:

يعد من أهم العلوم الدينية التي اهتم بها علماء الأندلس و من أبرز من نبغ في هذا المجال نذكر:

– **أبو عبد الله القرطبي:** محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي (578-671 هـ/1183-1273م) من أكابر العلماء الصالحين و الزاهدين في الدنيا له عدة مؤلفات تدل على كثرة إطلاعه و علمه الغزير[1]. أهمها: " الجامع لأحكام القرآن و المبين لما تضمن من السنة وآي القرآن" فيه عرض لكل ما يتعلق بكل آية من تفسير الألفاظ و بيان إعرابها و ذكر ما يتصل بها من أوجه البلاغة و الشواهد الدالة على المقصود منها، و أيضا كتاب: " الأنس في شرح أسماء الله الحسنى"، و " الانتهاز في قراءة أهل الكوفة و البصرة و الشام و أهل الحجاز" و غيرها[2].

– **أبو حيان الغرناطي:** هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي ولد بالقرب من غرناطة سنة 654 هـ/1257م درس بالقاهرة، و هو نحوي و مفسر و مؤرخ وأديب، له

---

[1]– المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص ص 210-211.

[2]– ابن عبد الملك المراكشي، الذيل و التكملة لكتابي الموصل والصلة، القسم الأول، تحقيق محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، د ت، ص- ص 272-274.

تصانيف كثيرة في التفسير منها: " البحر المحيط في التفسير"، " شرح الشذا في مسألة كذا" توفي سنة 745 هـ/1344م.[1]

– **أبو بكر الغرناطي:** هو محمد بن محمد بن عاصم الأندلسي الغرناطي ولد سنة 760هـ/1271م كان متضلعا في القراءات و مشاركا في المنطق و أصول الفقه و له عدة مؤلفات أهمها: قصيدة إيضاح المعاني القراءات الثماني و غيرها[2].

– علم الحديث:

نبغ في علم الحديث العديد من العلماء و أغلبهم كانوا فقهاء لارتباط علم الحديث بعلم الفقه، و من رواده:

- **أبو القاسم القرطبي:** هو إبراهيم بن محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ولد سنة 575هـ/1180م أحد كبار علماء الأندلس و المحدث بها، كان بصيرا بالقراءات و العربية، ولي الخطابة بمالقة و درس بها له العديد من المؤلفات في علم الحديث ككتاب " غرائب أخبار المسندين"[3].

- **أبو القاسم الكلبي:** هو أبو القاسم محمد بن أحمد بن عبد الله بن يحي بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزي الكلبي المولود سنة 693 هـ/1294م، قرأ القرآن و الفقه و الحديث و اللغة والأدب و من أهم مؤلفاته في الحديث "الأنوار السنية في الألفاظ السنية من الأحاديث النبوية"، مات قتيلا سنة 741 هـ/1340م.[4]

- **أبو العباس الاشبيلي:** هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فرج بن أحمد بن محمد اللخمي الاشبيلي، من كبار الأئمة و الحفاظ ولد سنة 625 هـ/1227م، أخذ عن أكابر علماء المشرق و المغرب الإسلاميين، و أخذ عنه الكثير من العلماء أبرزهم شمس الدين الذهبي (ت 748 هـ/1347م) و غيره، توفي أبو العباس سنة 699 هـ/1300م[5].

---

[1]– المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص: 535.

[2]– نفسه، ج6، ص-ص: 13-15.

[3]– أبو عبد الله بن الآبار، كتاب التكملة لكتاب الصلة، تعليق: ألفري بيل، ابن أبي شنب، المطبعة الشرقية، الجزائر، 1920، ص: 147، الذهبي: المصدر السابق، ج 16، ص: 395.

[4]– المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص: 170.

[5]– المقري، المصدر نفسه، ج3، ص-ص: 135-136.

إضافة إلى هؤلاء العلماء اشتهر علماء آخرون كمحمد بن أحمد بن الفخار الجذامي صاحب مؤلف: " الجواب المختصر الماروم في تحريم سكنى المسلمين ببلاد الروم"[1].

و محمد بن يوسف بن مسدي الغرناطي (ت 662 هـ/1263م) صاحب "المسند الغريب" و "الأربعون المختار في فضل الحج و الزيارة"[2] و ابن وادعة النفزي (ت 738 هـ/1338م) صاحب "أربعون حديث عن أربعين امرأة من الصحابة" و "كتاب الضاحي في حكم الأضاحي".[3]

- الفقه:

كان المذهب الفقهي المتبع في الأندلس هو المذهب المالكي، غير أن هذا لا ينفي وجود مذاهب أخرى كالمذهب الظاهري[4] الذي ينسب إلى ابن حزم الأندلسي[5]، و قد حظي الفقه بمنزلة عظيمة في الأندلس، لذلك نبغ فيه العديد من الفقهاء أبرزهم:

- **ابن فرحون برهان الدين:** هو برهان الدين إبراهيم بن علي اليعمري الأندلسي كان مؤرخا و فقيها توفي سنة 799 هـ/1397م، و من أشهر ما ألف: "الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب" و هو عبارة عن تراجم طبقات المالكية و "كتاب طبقات علماء العرب".[6]

- **أبو الحسن علي بن عبد الله الجذامي:** ولد بمالقة سنة 713 هـ/1313م، درس على يد أشياخها ثم وفد على غرناطة و تولى القضاء ثم عين كاتبا بالديوان، و من آثاره الباقية كتاب "الإكليل في تفضيل التخييل"، و يعرف هذا الكتاب بنزهة البصائر، و كتاب " المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا" تناول فيه تاريخ قضاء الأندلس[7].

---

[1]- محمد الطوخي، المرجع السابق، ص: 348.

[2]- الذهبي، المصدر السابق، ج 17، ص-ص: 53-54. المقري، نفح الطيب، ج2، ص: 226.

[3]- ابن فرحون، المصدر السابق، ص: 42.

[4]-المذهب الظاهري: أسسه بالمشرق داود بن علي الصنهاجي، و اشتهر هذا المذهب بأمرين أساسيين هما: نفي القياس والأخذ بظواهر النصوص، و قد أصبح هذا المذهب مذهبا رسميا في الأندلس في عهد يعقوب المنصور الموحدي (580-595 هـ/ 1200-1285م) أنظر: أحمد شبشون، المرجع السابق، ص: 5.

[5]- ابن حزم: هو الفقيه أبو محمد علي بن حزم المتوفى سنة 457 هـ/1065م، فقيه مستنبط و نبيه، وكان شافعي المذهب ثم تحول إلى المذهب الظاهري، له العديد من المؤلفات أهمها: " الملل والنحل" المحلى في الفقه"،" الإيمان إلى فهم كتاب الخصال". ينظر: الفتح بن خاقان، المصدر السابق، ص- ص: 138-139.

[6]- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج3، ص: 298.

[7]- محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، المرجع السابق، ص- ص: 486-487.

- **ابن جزي الكلبي:** هو أحمد بن محمد بن سعيد بن جزي الكلبي المولود سنة 715 هـ/1315م فقيه و أديب أخذ العلم عن والده أبو القاسم بن جزي أحد شيوخ لسان الدين بن الخطيب[1] و عن علماء آخرون ولي القضاء بعدة مدن كبرجة، و وادي آش و حسنت سيرته في ذلك و له العديد من القصائد الشعرية.[2]

إضافة إلى هؤلاء العلماء نبغ غيرهم في الفقه مثل: أبو سعيد فرج بن لب الذي ولي الخطابة بالجامع الأعظم و ترك مجموعة من الفتاوى المشهورة،[3] و غيره.

- التصوف:

ازدهر التصوف بالأندلس و انتشر انتشارا كبيرا نتيجة للأوضاع السياسية المتدهورة، حيث وجد فيه الناس تعزية لهم عن الحياة المحيطة بهم و آمنوا بأهل التصوف[4] و انتشرت ظاهرة الكرامات الصوفية و تقديس الأولياء في حياتهم و بعد مماتهم[5] و حتى السلاطين كانوا يتبركون بهم و يلتمسون دعائهم و مثال ذلك السلطان محمد الأول بن الأحمر كان يتوجه إلى المتصوف أبي مروان اليحاسني بواد آش طالبا منه الإعانة بدعواته خلال نزاعه مع الإسبان[6] و من أبرز المتصوفة بالأندلس نذكر منهم:

- **محي الدين بن عربي:** هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله المرسي يعتبر شيخ المتصوفة على الإطلاق يعرف بالشيخ الأكبر[7] ولد بمرسية سنة 560 هـ/1065م و أخذ العلم عن أشياخها ثم ارتحل إلى المشرق و درس الحديث فأجازه أكابر العلماء. مال إلى التصوف و شغف به[8] و قد اختلف معاصروه بين تقديسه و تكفيره، توفي سنة 640 هـ/1142م، ترك العديد من

[1] - ابن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص: 13، المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج9، ص: 131.

[2] - ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ص-ص: 48-52.

[3] - المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص: 510.

[4] - أحمد أمين الطوخي، المرجع السابق، ص: 344.

[5] - أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (دت)، ص: 69.

[6] - الطوخي، المرجع السابق، ص-ص: 344-345.

[7] - عبد الله عنان، عصر المرابطين و الموحدين في الأندلس، القسم الثاني، المرجع السابق، ص: 679.

[8] - الغبريني، المصدر السابق، ص-ص: 158-159.

المؤلفات أهمها: " الإسراء إلى مقام الإسراء" و مطالع أهلة أسرار العلوم و عقيدة أهل السنة والفتوحات المكية و هو مؤلف ضخم يعالج فيه طرائق الصوفية علاجا شاملا[1].

إضافة إلى كونه متصوفا كان ابن عربي فصيح اللسان و شاعرا بليغا و من روائع شعره:

حقيقتي همت بها و ما رآها بصري
ولو رآها لغدا قتيل ذاك الحور
فعندما أبصرتها صرت بحكم النظر
فبت مسحورا بها لو كان يفني حذري[2]

- **ابن سبعين المرسي:** أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين من أهل مرسية والملقب بقطب الدين ولد سنة 614 هـ/1118م. درس العربية و الآداب بالأندلس ثم انتقل إلى سبته بالمغرب و مال إلى التصوف ارتحل إلى المشرق حوالي سنة 643هـ/ 1245م و قد مر ببجاية أين لقي أكابر العلماء و أخذ عنه الكثير من طلبتها[3] عظم صيته و كثر أتباعه بالمشرق واختلفت الآراء حوله كابن العربي و هناك من رأوا عكس ذلك و وصلوا إلى حد تكفيره[4]، توفي ابن سبعين بمكة المكرمة سنة 669 هـ/1270م و ترك العديد من المؤلفات: كتاب الدرج، السفر، الأبواب اليمنية، الكد، الإحاطة إضافة إلى رسائل كثيرة في الأذكار و الوصايا و المواعظ[5].

إضافة إلى هذين المتصوفين برز متصوفون آخرون أمثال:

أبو الحسن النميري الششتيري المتوفى سنة 668 هـ/1269م و هو أحد تلامذة ابن سبعين من أهم مؤلفاته: "المقاليد الوحدانية في أسرار الصوفية"، "الرسائل العلمية"، "المراتب الإيمانية و الإسلامية والاحسانية" و له شعر كثير جله في الأزجال الصوفية و الموشحات[6].

1- الغبريني، المصدر السابق، ص: 160، المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص: 316، عبد الله عنان، عصر المرابطين و الموحدين، المصدر السابق، ص: 679.

2- نفسه، ص: 160.

3- نفسه، ص: 209. التنبكتي، المصدر السابق، ص: 184. المقري، المصدر نفسه، ص: 335.

4- التنبكتي، المصدر نفسه، ص: 184.

5- المقري ،نفح الطيب، المصدر السابق، ج3، ص: 340.

6- الغبريني، المصدر السابق، ص: 210، المقري، المصدر نفسه، ج2، ص- ص: 325-326. التنبكتي، المصدر السابق، ص: 202.

و كذلك: **أبو إسحاق إبراهيم بن يحي الأنصاري المرسي** المولود عام 687 هـ/1286م و من أشهر مؤلفاته: " زهرة الأكمام في قصة سيدنا يوسف عليه السلام" توفي بغرناطة سنة 751 هـ/1350م[1] و أيضا عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري المالقي (649 هـ-754 هـ/1248-1353م) و من أهم مؤلفاته: " بغية السالك في أشرف الممالك" يتضمن ذكر لمراتب الصوفية[2].

و بالرغم مما كان عليه المتصوفة من مكانة غير أن هذا لا ينفي وجود شرذمة من هؤلاء المتصوفة حادت عن المنهج السليم إذ خلال القرن الثامن الهجري كان المتصوفة على حال لا تسمح للمتساهلين معهم بالدفاع عنهم إذ دخلت الصوفية المفاسد و تطرقت إليها البدع من جهة قوم تأخرت أزمانهم، حتى صارت في هذا الزمان كأنها شريعة أخرى غير ما جاء به الرسول محمد صلى الله عليه و سلم[3].

ب- العلوم اللسانية:

شهدت الفترة الممتدة من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجري (13-15م) ازدهارا أدبيا بالأندلس، إذ لقي الأدب بفنونه المختلفة من العناية ما جعله كفيلا بالرقي و الذيوع ذلك أن ازدهار العلوم الشرعية كان مقترنا بازدهار اللغة العربية و فنونها[4] و ما المخلفات الضخمة في الأدب إلا دليل قاطع على تطور هذا الفن بنوعيه نثرا و شعرا.

- النثر:

عرف النثر تطورا كبيرا لعناية سلاطين بني نصر به باعتبار أن الديوان السلطاني كان يضم أكثر من كاتب واحد لكثرة الخطط الكتابية مثل: كتاب الرسائل، كتاب الزمام، كتاب سر السلطان[5].

و من رواد النثر في الأندلس نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

---

[1]- محمد كمال شبانة، يوسف الأول بن الأحمر سلطان غرناطة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004، ص: 167.

[2]- إسماعيل بن الأحمر، نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الثقافة للطباعة و النشر، بيروت، 1980، ص: 174.

[3]- نفسه، ص: 49.

[4]- نفسه، ص: 169.

[5]- نفسه، ص: 150.

- **ابن عصفور الاشبيلي**: هو أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي الحضرمي المعروف بابن عصفور ولد باشبيلية سنة 597 هـ/1200م فقيه نحوي لغوي و شاعر مشهور لقب بحامل لواء العربية في زمانه بالأندلس انتقل إلى بجاية و حظي بعناية لدى السلطان الحفصي المستنصر. توفي بتونس سنة 669 هـ/1270م. و خلف الكثير من المؤلفات الأدبية أشهرها: "المقرب"، "الممتع في التصريف"، "الأزهار"، "شرح الحماسة" و غيرها[1].

- **ابن الحكيم اللخمي**: محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم اللخمي ذي الوزارتين، أديب مشهور دخل غرناطة أيام السلطان أبي عبد الله محمد الثاني (671-701 هـ/1272-1302م) فعينه كاتبا في ديوان الإنشاء و لما توفي السلطان المذكور عين مكانه أبو عبد الله المخلوع فقلد ابن الحكيم الوزارة و الكتابة فسمي بذي الوزارتين توفي سنة 708 هـ/1308م[2].

- **لسان الدين بن الخطيب**: (710-776 هـ/1310-1375م): محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السليماني، أبو عبد الله لسان الدين يعرف بابن الخطيب ذي الوزارتين ولد بمدينة لوشة، و انتقل إلى غرناطة أين درس على يد أكابر علمائها وشغل بها عدة مناصب كديوان الإنشاء و الوزارة و السفارة في عهد السلطان أبي الحجاج ثم ولده محمد الخامس الغني بالله[3]، كما كانت له علاقات جيدة مع سلاطين بني مرين لاسيما مع أبي سالم المريني مما جعله يتعرض للمؤامرة فحوكم و أتهم بالزندقة و الإلحاد و أهدر دمه و لما توفي أبو سالم و خلفه أبو العباس قبض عليه و سجنه ثم قتل و أحرق و مثل بجثته سنة 776 هـ/1375م[4].

و قد نبغ ابن الخطيب في العلوم الدينية و اللسانية والعقلية فبالإضافة إلى كونه شاعرا وأديبا كان سياسيا و مؤرخا و فقيها و طبيبا و من أهم مؤلفاته نذكر: "الإحاطة في أخبار غرناطة"، "كناسة الدكان بعد انتقال السكان"، "خطرة الصيف ورحلة الشتاء والصيف"، "الكتيبة

---

[1]- الغبريني، المصدر السابق، ص-ص: 266-268.

[2]- ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج2، ص-ص: 279-301، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، القسم الثاني، ص: 300.

[3]- ابن الأحمر، المصدر السابق، ص: 58، المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج6، ص: 64، التنبكتي، المصدر السابق، ص: 264.

[4]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص-ص: 404-405، محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع، ج8، مطبعة السعادة، القاهرة، ص: 192.

الكامنة في شعراء المائة الثامنة" كما نبغ أيضا في فن المقامة[1] و هي من أبرز فنون النثر و قد رسمت آنذاك صورة المجتمع الغرناطي، و من أشهر مقامات ابن الخطيب: مقامة السياسة، مقامة وصف البلدان و مقامة معيار الاختيار في أحوال المعاهد و الديار[2].

- الشعر:

حظي الشعر في الأندلس باهتمام كبير و يشير المقري إلى قيمة الشعر و الشعراء في الأندلس فيقول: " كان الشعر عندهم له حظ عظيم، وللشعراء من ملوكهم وجاهة، و لهم حظ و وظائف و المجيدون منهم ينشدون في مجالس عظماء ملوكهم المختلفة، و يوقع لهم بالصلات على أقدارهم."[3]

و قد برز العديد من الشعراء الذين اشتهروا في مختلف عهود الأندلس لاسيما في عهد بني الأحمر الذين اهتموا بهذا الجانب كما كان الكثير من سلاطينهم شعراء كأبي عبد الله محمد الثاني (671-701 هـ/1272-1302م) و محمد الثالث (701-708 هـ/1302-1308م).[4]

و مما ساهم بشكل فعال في تطوير الشعر وجودته لدى الشعراء الأندلسيين هو جمال الطبيعة من اعتدال في الهواء و كثرة الأمطار و الأنهار و الجبال فبرعوا في الوصف و التغني بالمناظر الجميلة[5]، و من أبرز شعراء الأندلس لسان الدين بن الخطيب الذي جمع أكثر قصائده في ديوان أطلق عليه اسم: " ديوان الطيب و الجهام و الماضي الكهام"[6] و كذا أبو عبد الله ابن زمرك (ت795 هـ-1393م) تلميذ ابن الخطيب، و امتاز شعره بالجودة و المعاني البديعة و الألفاظ الثقيلة و غزاة المادة[7] و مما قاله:

---

[1]- المقامة في الأصل فن مشرقي، دخلت إلى الأندلس ممثلة في رسائل المعري وبديع الزمان الهمذاني و الحريري، و عارضها البعض، و تثقف بها الجمهور و قد نسج الغرناطيون على شاكلتها بل و برعوا في تنميقها، بفضل جمال الطبيعة الأندلسية، ينظر: إسماعيل بن الأحمر، المصدر السابق، ص: 151.

[2]- نفسه، ص: 152.

[3]- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص: 207.

[4]- ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ص-ص: 359-369.

[5]- بوحسون عبد القادر، المرجع السابق، ص-ص: 77-78.

[6]- الطوخي، المرجع السابق، ص: 355.

[7]- ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج2، ص: 303.

معاذ الهوى أن أصحب القلب ساليا و أن يشعل اللوم بالعذل باليا

دعاني أعط الحب فصل مقادتي و يقضي على الوجد ما كان قاضيا[1]

كما ذاع في الشعر صيت **ابن هانئ الأندلسي**: ولد باشبيلية و هو شاعر و أديب بارع من مؤلفاته: "سهيل الفوائد لابن مالك"، "الغرة الطالعة في شعراء المائة السابعة"، توفي شهيدا سنة 733 هـ/1332م[2].

و من شعره:

لولا مشيب بقودي للفؤاد عصى أنضبت في مهمه التشّيب لي قلصا

و استوقفت عبراتي جارية وكفاء توهم ربعا للحبيب قصا[3]

و نتيجة لتدهور الأوضاع السياسية في الأندلس إذ سقطت معظم المدن الأندلسية في يد النصارى مع مطلع القرن السابع الهجري أثر ذلك على الشعراء و أصبحت أغلب مواضيع الشعر تصب في رثاء المدن التي استولى عليها النصارى و خير مثال على ذلك ما قاله الأديب الشاعر أبو البقاء صالح بن شريف الرندي (ت 684 هـ/1285م):

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان

و هذه الدار لا تبقي على أحد و لا يدوم على حال لها شان[4]

و لما كثر الشعر في الأندلس و تنوعت فنونه و موضوعاته و بلغ التنميق فيه غايته استحدث المتأخرون ما يعرف **بالموشح**[5]، و تقدم هذا الفن في غرناطة تقدم كثيرا و أقبل عليه العلماء ورجال

---

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق،ج2، ص: 305.

[2]- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج6، ص: 245.

[3]- فرحات يوسف و آخرون، معجم الحضارة الأندلسية، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 2000، ص: 213.

[4]- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج4، ص-ص:487-488.

[5]- الموشح: هو كلام منظوم على وزن مخصوص بقوافٍ مختلفة ظهر نتيجة لازدواج اللغتين العربية و اللاتينية في الأندلس واسمه مأخوذ من الوشاح و هو حلي النساء و هناك صلة بين هذا الفن و المرأة، ينظر: ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص: 646، محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص: 167، عبد الإله ميسوم، تأثير الموشحات في التروبادور، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص: 77، محمد زكريا عنان، ديوان الموشحات الأندلسية، ط2، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، ص: 23.

النحو[1] ومن أشهر رواده: ابن جنان الأنصاري (ت 655 هـ/1161م) صاحب الكثير من الموشحات لاسيما في مدح النبي صلى الله عليه و سلم و منها قوله:

الله زاد محمدا تكريما
و حياه فضلا من لدنه عظيما
و اختصه في المسلمين كريما
ذا رأفة بالمؤمنين رحيما صلو عليه و سلموا تسليما[2]

و كذلك لسان الدين بن الخطيب الذي ألف كتابا أسماه " جيش التوشيح" و من أبرز موشحاته:

قد حرك الجلجل بازي الصباح و الفجر لاح
فيا غراب الليل حث الجناح[3]

و كذلك قوله:

جادك الغيث إذا الغيث هما يا زمان الوصل بالأندلس
لم كن وصلك إلاّ حلما في الكرى أو خلسة المختلس[4]

و بالإضافة إلى الموشحات ظهر فن آخر يعرف بالزجل و هو شبيه بالموشح و لكنه يكتب باللهجة العامية[5] و لقي هو الآخر استحسانا من قبل الأندلسيين لأنه يحررهم من ثقل قيود الشعر الفصيح، و في أغلب الأحيان كانت مواضيع الزجل غير محتشمة و ليس فيها أي تحفظ و كانت أغلب القصائد تدور حول المرأة و الخمر[6].

---

[1]- الطوخي، المرجع السابق، ص: 357.

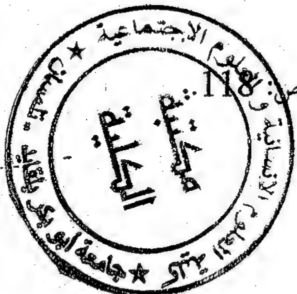
[2]- الغبريني، المصدر السابق، ص: 302، عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج6، دار العلم للملايين، بيروت، 1976، ص: 198.

[3]- أبو مدين شعيب، الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان، تقديم و تحقيق: عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1974، ص-ص: 165-166.

[4]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص: 650.

[5]- روجي غارودي، الإسلام في الغرب، ترجمة، ذوقان قرقوط، ط1، دار دمشق للطباعة و النشر، 1995، ص: 118.

[6]- أحمد أمين، ظهر الإسلام، المرجع السابق، ص- ص: 198-199. الطوخي، المرجع السابق، ص: 358.



ج- العلوم الاجتماعية:

- التاريخ:

كان للأحداث السياسية و العسكرية التي شهدها الأندلس دور كبير في تطور علم التاريخ بالأندلس فبرز العديد من المؤرخين الذين اهتموا بتدوين تلك الأحداث التاريخية و من هؤلاء المؤرخين نذكر: **ابن سعيد الغرناطي** (610-685 هـ/1214-1286م) المؤرخ المالكي صاحب كتاب "المغرب في حلي المغرب"، و "الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد"، و كتاب "تاريخ غرناطة"[1].

كما ضاع صيت **محمد بن السراج** (671-701 هـ/1272-1301م) صاحب كتاب: "السر المذاع في تفضيل غرناطة على كثير من البقاع"[2] و ابن الآبار القضاعي (ت 658هـ/1260م) صاحب كتاب "التكملة لكتاب الصلة" و هو تكملة لكتاب الصلة لابن شبكوال و كتاب "أعتاب الكتاب" و هو ترجمة لكتاب "مشارقة و مغاربة" و كتاب "الحلة السراء في أشعار الأمراء"[3]، كما نجد أيضا ابن الخطيب لسان الدين الذي ألف العديد من الكتب التاريخية منها: "الإحاطة في أخبار غرناطة"، "اللمحة البدرية في الدولة النصرية"، "أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام و ما يجر عن ذلك من شجون الكلام" و غيرها.[4]

و ما يمكن ملاحظته أن الكتب التاريخية الغرناطية كانت تصويرا حيا لما شاهده المؤلف أو انعكاسا صادقا لإحساسه تجاه وطنه.

- الجغرافيا:

حظي هذا العلم باهتمام الأندلسيين شأنه شأن العلوم الأخرى، إذ اعتياد أهل الأندلس على السفر إلى المشرق و المغرب و ألزمهم ذلك تدوين انطباعاتهم عن رحلاتهم و وضع تقارير عن المدن التي يمرون بها.

و من أبرز من نبغ في هذا العلم في الأندلس نذكر:

---

[1]- ابن سعيد، المصدر السابق، ص: 03.

[2]- ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ص: 160.

[3]- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص592 ، الغبريني، المصدر السابق، ص-ص: 257-261.

[4]- المقري، المصدر نفسه، ج8، ص-ص: 282-286.

إبراهيم بن الحاج النميري[1] صاحب كتاب: " فيض العباب و إجالة قداح الآداب في الحركة إلى قسنطينة و الزاب".

كما كتب لسان الدين بن الخطيب عدة كتب وافية عن رحلته إلى المغرب منها: " نفاضة الجراب في علالة الاغتراب" كتبه بين عامي 760 هـ-763 هـ/1359-1362م وصف فيه جبل هنتاتة و أغمات و آثار المساجد و المدارس و المقابر و التقى بكبار الشخصيات، كما تضمنت مقامته " خطرة الطيف و رحلة الشتاء و الصيف" و كذا " معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار و مفاخرة مالقة وسلا" ويتضمن هذا الكتاب معلومات جغرافية قيمة عن المغرب و الأندلس.[2]

و مما يمكن الإشارة إليه أن هذه التصانيف الجغرافية و غيرها كثير استطاعت أن تعطينا صورة واضحة عن تاريخ كل من المغرب و الأندلس في تلك الفترة.

2-3- العلوم العقلية:

لم تبلغ العلوم العقلية درجة الاهتمام التي بلغتها العلوم الدينية و رغم ذلك نبغ نفر غير قليل من المشتغلين بالرياضيات و الفلك و الكيمياء و النبات و الطب و غيرها.

- الرياضيات:

برز فيها علماء عدة نذكر أشهرهم و هو:

أبو الحسن القلصادي: علي بن محمد بن علي القرشي السبطي الشهير بالقلصادي من كبار الأئمة المشهورين بالأندلس، ولد بمدينة سبطة[3] الأندلسية سنة 815 هـ/1412م، أخذ العلم عن أكابر شيوخ المغرب و الأندلس و المشرق و أخذ عنه الكثير من الطلبة و العلماء توفي سنة 891هـ/1486م بمدينة باجة بافريقية[4].

---

[1]- هو برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله محمد بن إبراهيم بن موسى النميري، ولد في غرناطة سنة 713 هـ/ 1313م، دخل ديوان الإنشاء سنة 734هـ، رحل إلى المشرق و حج و لقي كبار علماء الحديث و أخذ عنهم، ينظر: خير الدين الزركلي، المصدر السابق، ص- ص: 42-43.

[2]- الطوخي، المرجع السابق، ص: 369.

[3]- مدينة أندلسية في سفح جبل عال لها عيون ماء مطردة و خصب كثير، و بينها و بين بياسة ستون ميلا، ينظر: الحميري، الروض، المصدر السابق، ص 70

[4]- أبو الحسن القلصادي، المصدر السابق، ص-ص: 30-52.

كان القلصادي أكثر علماء عصره إنتاجا فتنوعت تآليفه و كان أبرزها في الحساب والفرائض إذ بلغت ثلاثة عشرة كتابا منها: "غنية ذوي الألباب في شرح كشف الجلباب"، "كشف الجلباب عن علم الحساب"، "شرح الأرجوزة الياسمينية في الجبر والمقابلة"، و غيرها[1].

– **الكيمياء**: برع الغرناطيون في دراسة الكيمياء و مما يدل على ذلك هو توصلهم لمعرفة مدفع البارود، و استخلاص عملية التقطير و التصعيد و التخمير و التكليس و التحليل[2].

– **الفلك**: تقدم تقدما كبيرا، و برز فيه العديد من العلماء نذكر من بينهم: أبو بكر عبد الملك القضاعة (ت 707 هـ/1307م) صاحب كتاب: "ترحل الشمس و معرفة الأوقات" و أبو يحيى بن رضوان الواد آشي (ت 707 هـ/1307م) صاحب كتاب "منظوم علم النجوم و الرسالة في الاسطولاب".[3] غير أن التنجيم لم يذكر ما يدل على انتشاره و ذيوعه ما عدا بعض المنجمين الذين ذكرت أسمائهم أمثال ابن الحكيم اللخمي صاحب كتاب " بشارة القلوب بما تخبر به الرؤية من العيون". و لسان الدين هو الآخر اهتم بدراسة الفلك[4].

– **الفلسفة**: كانت من العلوم غير المرغوب فيها بالأندلس[5] و يشير المقري إلى ذلك قائلا:" و كل العلوم لها عندهم الحظ و الاعتناء إلا الفلسفة و التنجيم...فإنه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم أطلقت عليه العامة اسم زنديق..."[6].

و لكن هذا لا ينفي وجود بعض الفلاسفة و نذكر منهم:

ابن سبعين (ت 669 هـ-1270م)، أما خلال القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي ظهر الفيلسوف ابن منصور القيسي (ت 750 هـ/1349م) صاحب كتاب: "السحم الواقفة والضلال الوارقة في الرد على ما تضمنه المضمون من اعتقادات الفلاسفة"[7].

---

[1]- أبو الحسن القلصادي، المصدر السابق، ص-ص: 40-41، السخاوي، المصدر السابق، ج4، ص: 330.

[2]- أحمد محمد الطوخي، المرجع السابق، ص: 370.

[3]- لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ص: 211، الطوخي، المرجع السابق، ص-ص: 370-375.

[4]- نفسه، ج2، ص: 202.

[5]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص-ص: 563-568.

[6]- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص: 181.

[7]- الطوخي، المرجع السابق، ص: 371.

- العلوم الطبيعية: برز فيها العديد من العلماء لاسيما في مجال الطب و الصيدلة اللذين عرفا تقدما في غرناطة خاصة طرق العلاج و صنع الدواء و الجراحة التي برز فيها أطباء أندلسيون كان لهم السبق في ابتكار الاسفنجة المخدرة[1] و من أشهر هؤلاء الأطباء الأندلسيون عبد الله أحمد المالقي المعروف ب**ابن البيطار** (ت 646 هـ/1247م) الذي قام برحلة لمعاينة الأعشاب و دراستها و كانت له العديد من المؤلفات منها: "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية"، "المغني في الأدوية المفردة"[2].

و أيضا **أبوتمام غالب اللخمي الشقوري** (ت 741 هـ/1340م) الذي تأثر بالطب عند المشارقة و **أبو عبد الله اللخمي الشقوري** الذي كان طبيب محمد الخامس و له عدة مؤلفات منها رسالة بعنوان "مجربات حول أمراض الرجال من الرأس إلى القلب"[3]، إلى جانب ذلك نبغ في هذا العلم الطبيب **محمد بن فرج القربلياني** ت (761 هـ/1360م) و قد تخصص في دراسة الجراحة وعرف بالشفرة و له كتاب: "الاستصقاء والإبرام في علاج الجراحات و الأورام"[4].

إلى جانب هؤلاء صنف **لسان الدين بن الخطيب** عدة كتب في مجال الطب أهمها: "اليوسفي في صناعة الطب"، "عمل من طب لمن حب الكلام على الطاعون"...الخ.[5]

و مما يمكن ملاحظته أن مهنة الطب كان متوارثة عند بعض العائلات الأندلسية.

[1]- الطوخي، المرجع السابق، ص-ص: 372-373، عثمان المهملان، فضل المسلمين على الطب، مجلة العربي، العدد 504، الكويت، نوفمبر، 2000، ص-ص: 92-98.

[2]- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج4، ص-ص: 179-180. يوسف فرحات، المرجع السابق، ص: 225.

[3]- الطوخي، المرجع السابق، ص: 373.

[4]- نفسه، ص: 374.

[5]- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج8، ص: 283.

الفصل الثالث

تأثير المهاجرين الأندلسيين في الميادين الحضارية للمغرب الأدنى

أولا/ التأثير الأندلسي في المجال الثقافي

ثانيا/ التأثير الأندلسي في المجال السياسي

ثالثا/ التأثير الأندلسي في المجال الاقتصادي

رابعا/ التأثير الأندلسي في المجال الاجتماعي

سبقت الإشارة إلى أن المغرب الأدنى شهد توافد العديد من المهاجرين الأندلسيين خاصة مع مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي بسبب تدهور الأوضاع السياسية و سقوط معظم مدن الأندلس في يد النصارى و ما صاحبه من تدهور في الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية.

و قد أسهم هؤلاء المهاجرون الأندلسيون بشكل واضح في الإزدهار الحضاري للمغرب الأدنى في مختلف المجالات الحضارية لا سيما في المجال الثقافي.

أولا : التأثير الأندلسي في المجال الثقافي :

كان تأثير الجالية الأندلسية في المجال الثقافي أهم و أشمل مما كان عليه في المجالات الحضارية الأخرى وذلك راجع بالدرجة الأولى إلى كثرة المهاجرين المثقفين و كبار العلماء الذين أسهموا بفعالية في تغيير وجه البلاد الثقافي و أدخلوا الكثير من التغيير على الساحة الفكرية بالمغرب الأدنى[1] حتى أصبح هذا الإقليم و غيره كتلمسان و المغرب الأقصى وريثا للعلوم الأندلسية[2].

و من أبرز الميادين الثقافية التي مسها هذا التأثير بشكل واضح :

[1]– محمد الطالبي ، المرجع السابق، ص 46، محمد رزوق، المرجع السابق، ص35.

[2]– القلصادي، المصدر السابق، ص 26.

1/ ميدان التعليم:

سبق الذكر أن مناهج التعليم قد اختلفت في كل من المغرب الأدنى و الأندلس حيث كان التعليم في المغرب عامة يقتصر على تعليم القرآن الكريم[1] ، بينما اشتمل في الأندلس على علوم اللغة العربية و قواعدها و خاصة الخط[2].

غير أنه و باشتغال المهاجرين الأندلسيين في مجال التعليم الإبتدائي في المغرب الأدنى بغرض الارتزاق منه تغيرت طرق التعليم و مناهجه، و مما لا شك فيه أن الأندلسيين لتفوقهم الثقافي وانتشار المعرفة في صفوفهم كان الإقبال بل التهافت عليهم عظيما إلى حد جعلهم يحتكرون مهنة التعليم[3]، و كانوا يزاولون مهنتهم هذه في المدارس و المساجد أما الذين لا يجدون مكانا في تلك المؤسسات الدينية و الثقافية فيلجؤون إلى منازلهم و يخصصونها لاستقبال الطلبة[4].

و كانت نتائج هذا الإحتكار إيجابية جدا إذ أدخلوا أساليب تربوية جديدة و أثروا في طرق التعليم و قد قوبلت منهجيتهم بالاستحسان و نشروها في البلاد و عمموها[5] .و يروي لنا ابن خلدون و الذي يعتبر شاهد عيان على كيفية وقوع هذا التحول على يد الأندلسيين في خضم حديثه عن طرق التعليم في المغرب الأدنى فيقول :" ... و أما أهل إفريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب و مدارسة قوانين العلوم و تلقين بعض مسائلها ، إلا أن عنايتهم بالقرآن و استظهار الولدان إياه و وقوفهم على اختلاف رواياته و قراءاته أكثر مما سواه و عنايتهم بالخط تبعا لذلك و بالجملة فطريقتهم لتعليم القرآن أقرب إلى طريقة أهل الأندلس، لأن سند طريقتهم في ذلك متصل بمشيخة الأندلس الذين أجازوا عند تغلب النصارى على شرق الأندلس و استقروا بتونس ، و أخذ عنهم ولدانهم بعد ذلك"[6].

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 588.

[2]- نفسه، ص 588، أحمد شبشون، المرجع السابق ، ص ص 8-9.

[3]- محمد الطالبي ، المرجع السابق ، ص 65.

[4]- مختار حساني، المرجع السابق، ص 264.

[5]- محمد الطالبي ، المرجع السابق ، ص 65.

[6]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق ، ص-ص 584-588.

و قد أدى احتكار أهل الأندلس لميدان التعليم دون غيرهم إلى اضمحلال الخط الإفريقي و تعويضه بالخط الأندلسي و يشير ابن خلدون إلى ذلك قائلا: "و أما أهل الأندلس فافترقوا في الأقطار عند تلاشي ملك العرب بها و من خلفهم من البربر و تغلب عليهم أمم النصرانية ، فانتشروا في عدوة المغرب وإفريقيا من لدن الدولة اللمتونية إلى هذا العهد ، و شاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع و تعلقوا بأذيال الدولة ، فغلب خطهم على الخط الإفريقي وعفى عليه ، ونسي خط القيروان و المهدية بنسيان عوائدهما و صنائعهما و صارت خطوط أهل إفريقيا كلها على الرسم الأندلسي بتونس و ما إليها لتوفر أهل الأندلس بها عند الجالية من شرق الأندلس وبقي منه رسم ببلاد الجريد الذين لم يخالطوا كتاب الأندلس و لا تمرسوا بجوارهم ، إنما كانوا يغدون على دار الملك بتونس ، فصار خط أهل إفريقية من أحسن خطوط أهل الأندلس"[1].

إذن فقد عم هذا التأثير مختلف أرجاء المغرب الأدنى باستثناء المناطق النائية كبلاد الجريد التي لم تكن تستهوي أندلسي مرسية و بلنسية و ضفاف الوادي الكبير[2].

و لم يقتصر التأثير الأندلسي على ميدان التعليم الإبتدائي فحسب و إنما شمل أيضا التعليم العالي الذي تنافس عليه الأندلسيون و أهل البلاد و نظرا لأن التعليم في هذا المستوى يؤدي في كثير من الأحيان إلى الجاه و النفوذ كان الحفصيون على العموم يميلون إلى المدرسين الأندلسيين لشهرتهم و كفاءتهم[3].

و مما يثبت ذلك تعيين السلطات الحفصية لمدرسين في المدارس الرسمية ، و من بين مشاهير العلماء الوافدين من الأندلس و المشتغلين بالتدريس نذكر:

- أبا بكر محمد ابن أحمد ابن سيد الناس: الذي قدم في جالية إشبيلية ، و قد ولد بها سنة 600هـ /1203م، و تتلمذ على يد جملة من مشائخها منهم موسى ابن الحسن العتبي الزاهد و أبو الحسن ابن جبير، و كان ظاهري المذهب حافظا للحديث عارفا برجاله و أسمائهم[4].

1- ابن خلدون ، المقدمة ، المصدر السابق، ص 426.

2- محمد رزوق ، المرجع السابق ، ص 36.

3- نفسه، ص 36.

4- الغبريني ، المصدر السابق ، ص ص 246-247 ، ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 437.

و عند قدومه من إشبيلية نزل ببجاية و ولى صلاة الفريضة و الخطبة بالجامع الأعظم وسمع عنه طلبتها ، ولما بغ أمره إلى السلطان الحفصي المستنصر (647-675هـ/1249-1276م) استدعاه قربه إليه[1]، و جعل إليه تدريس العلم بالمدرسة عند جامع الهواء التي أسستها أم الخلائف[2].

وقد توفي رحمه الله بحاضرة تونس سنة (659هـ/1261م)[3] ولم يكن ابن سيد الناس الوحيد الذي ارتقى إلى هذه الوظيفة بل انتظم في سلك المدرسين أندلسي آخر هو الفقيه الحافظ المثقف ، التاريخي ، المدرس المحدث **أبو العباس أحمد ابن محمد القرشي الغرناطي** الذي نزل ببجاية و درس بالجامع الأعظم ثم انتقل إلى المغرب و لقي عددا من كبار العلماء ثم رجع إلى حاضرة إفريقية و عكف على التدريس و التذكير بعلم الرواية إلى أن توفي رحمه الله[4] .

و ممن انتدب إلى هذه الوظيفة كذلك **اسحاق ابن محمد ابن علي العبدري الميورقي** (ت642هـ / 1244م) الفقيه المحدث ارتحل من ميورقة إلى بلنسية فولي القضاء بدانية في سنة 627هـ / 1229م ثم هاجر منها إلى تونس و ظل يعلم بها إلى أن توفي هناك[5].

إضافة إلى هؤلاء العلماء أحصى محمد الحبيب خوجة اعتمادا على رحلة ابن رشيد ما لا يقل عن 35 عالما أندلسيا دخلوا إفريقيا في القرن 7هـ/13م كما أحصى الغبريني في كتابه : **"عنوان الدراية"** في نفس الفترة الزمنية ثلاثة وثلاثون من مشائخ الأندلس ممن مر بجاية أواستقر بها نهائيا[6] معظمهم اشتغل في ميدان التعليم و أسهموا في تنظيم حلقات التعليم بالمدارس والمساجد خاصة بجامع الزيتونة و أسمعوا و أجازوا طلابهم حسب طريقة الإجازة المألوفة التي تعتمد على السماع[7] .

---

[1]- نفسه، ص 247، محمد عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 189.

[2]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 438.

[3]- الغبريني، المصدر السابق، ص549، ابن عماد الحنبلي، المصدر السابق، ج5، ص298.

[4]- الغبريني، المصدر السابق، ص- ص 301-302.

[5]- ابن الآبار ، التكملة، المصدر السابق، ص 171.

[6]- محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 67.

[7]- العبدري، المصدر السابق، ص- ص، 60-61..

كما ساهم الأندلسيون بقسط كبير في دفع حركة التعريب بالمغرب عامة و منه بالمغرب الأدنى و ساهموا كذلك في تطوير طرق الكتابة و رسم الخط[1].

2/الحركة الأدبية:

و من بين المجالات الثقافية التي شملها التأثير الأندلسي الميدان الأدبي فلقد انتقل إلى مدن المغرب الأدنى خاصة الساحلية منها جمع من مشاهير الأدباء و أمجاد الشعراء أدوا دورا هاما في إثراء هذا المجال و نذكر من بين هؤلاء على الخصوص :

-**أبو الحسن عيسى ابن أبي محمد ابن الحسين ابن دسيم البلسي** المولود سنة 615هـ/1218م و المتوفى بتونس سنة 692هـ/1283م[2].

-**أبو إلياس أحمد ابن القاسم ابن القصير الإشبيلي** (كان حيا سنة 647هـ/1285م) الأديب الشاعر الخطاط كان معلما بإشبيلية ثم طنجة ، تجول شرقا و غربا ، ثم استوطن تونس[3]، عرف بصلاته مع رجال البلاط الحفصي و بالخصوص مع الوزير أبي الحسين العنسي له في السلطان الحفصي المستنصر و رجال دولته مدائح كثيرة[4].

-**أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الغرناطي** (610-685هـ/1213-1286م): الفقيه الأديب الجغرافي ، هاجر من الأندلس و استقر بتونس و له عدة مؤلفات منها : "القدح المحلى" "المغرب في حلي المغرب" ، "الغصون اليانعة في شعراء المائة السابعة"[5].

---

[1]- محمد بوشقيف ، العلوم الدينية بالمغرب الأوسط خلال القرن 9هـ/15-16م ، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي ، جامعة وهران، 2004/2003 ، ص 29 ، سعيدوني ناصر الدين ، التجربة الأندلسية بالجزائر، ندوة الأندلس، ط1، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، 1996، ص 88.

[2]- محمد رزوق، المرجع السابق، ص 38.

[3]- بوشامة، المرجع السابق، ص 567.

[4]- محمد رزوق ، المرجع السابق، ص 38.

[5]- ابن فرحون، المصدر السابق، ص 112، محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص- ص 197-198، ابن القاضي، المصدر السابق، ج3، ص ص 240-241.

-**أبو الحجاج يوسف ابن محمد البيساني** توفي بتونس سنة 653 هـ /1255 م الذي صنف بتونس سنة 646 هـ/1248 م **"كتاب الحماسة"**[1] و هو عبارة عن ديوان يتكون من مجموعة من القصائد و الروايات المنقولة عن الكتاب الآخرين[2].

-**أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم الأنصاري القرطاجي** الشهير **بحازم القرطاجي** : (608-684 هـ/1184-1260م)النحوي الشاعر المشهور نزل بتونس و استقر بها و هو صاحب المقصورة الشعرية التي نظمها إكراما للسلطان المستنصر الحفصي و أهداها إليه[3]، وقد اشتملت هذه القصيدة على ألف بيت تناول فيها حازم القرطاجي ذكرا للديار المهجورة ورثاءا لحال البلاد الأندلسية كما تضمنت مدحا للخليفة الحفصي و انتصاراته و قصوره وجيوشه[4].

-**محمد الخير المالقي** الذي نبغ في الشعر في تونس خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي، و قد قدم من مالقة سنة 864 هـ /1560 م والتحق بخدمة الأمير محمد ابن عثمان فمدحه وتولى الكتابة له[5].

لقد كان لهؤلاء الأدباء و الشعراء و غيرهم دور في ازدهار الأدب بنوعيه النثر الفني والشعر فقد ساعدوا على انتشار فن الترسل الخاص أو العام و المتمثل في تحرير الرسائل بأسلوب راق سواءا الصادرة عن الخواص أو عن الدوائر الرسمية[6] أما في ميدان الشعر فيظهر التأثير الأندلسي في العهد الحفصي من خلال التأنق و اللطف المتكلف و حب النكتة و اختيار الصور و المقارنات[7] .

أما فيما يخص النحو و مبادئه الأولية فقد احتل فيه الأندلسيون مكان الصدارة و برع فيه أندلسيان هما :

---

[1]- روبار برنشيفك، المرجع السابق، ص419، محمد رزوق، المرجع السابق، ص 38.

[2]- نفسه، ص 419.

[3]- محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ص 197، ابن القاضي ، المصدر السابق، ج1، ص 137.

[4]- روبار برنشيفك، المرجع السابق، ص 428.

[5]- القلصادي، المصدر السابق، ص 27.

[6]- روبار بونشيفك، المرجع السابق، ص 421.

[7]- نفسه، ص 426.

-**أبو الحسن علي بن موسى الخضرمي** المعروف **بابن عصفور** (597-669 هـ/1200-1270 م) ولد باشبيلية .أخذ كتاب سيبويه بالأندلس في عشر سنين و علم بإشلبيلية و شريش و مرسية و غيرها ، قدم إلى تونس فاستوطنها و عكف على التدريس بها حتى قتل بإيعاز من الخليفة المستنصر[1] ومن تآليفه "المغرب والممتع في الإشتقاق"، "المقرب في النحو"[2].

-**أبو جعفر أحمد بن يوسف اللبلي** (613-691 هـ/1216-1292 م) قرأ بالأندلس على يد كبار مشائخها أمثال : أبو العلي الشلوبين ارتحل إلى بجاية ثم استقر بتونس و من تأليفه: وشي الحلل ، الجهل ، الفصيح ، الثعلب[3].

3/المجال العلمي:

لقد كان للمجال العلمي حظ وافر من التأثير الأندلسي فقد انتفع المغرب الأدنى بهروب الأدمغة إليه من الأندلس و يُعتبر الطب من أهم العلوم التي مسها هذا التأثير.

و الجدير بالذكر أن معظم الأطباء الذين احتشد بهم بلاط المرابطين و الموحدين كانوا من ذوي الأصول الأندلسية وقد ساهموا في تطوير الطب و ازدهاره بالمغرب[4]، كما بذلوا جهودا جبارة في مجال اختصاصهم فقاموا بالتصدي للتطبيب و معالجة العامة ، كما درّسوا الطلبة في مجال قدرتهم على إجراء التجارب العلمية واستنتاج النتائج الطبية وصنفوا في ذلك كتبا عديدة[5].

---

[1]- الغبريني ، المصدر السابق، ص- ص 266-268، محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص 197.

[2]- الغبريني ، المصدر السابق، ص 268، محمد عمرو الطمار، المرجع السابق، ص- ص: 201-202.

[3]- الغبريني، المصدر السابق، ص-ض 300-301.

[4]- محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 150

[5]- نفسه، ص 153.

و من هؤلاء الأطباء الذين عملوا في مجال الطب : أبو العلاء زهر ابن أبي مروان[1] الذي توجه للعمل في البلاط المرابطي بدعوة من يوسف ابن تاشفين و بعد وفاة ابن تاشفين بقي أبو العلاء زهر طبيبا لابنه الذي عينه وزيرا له[2].

أما من أشهر الذين عملوا في البلاط الموحدي الطبيب ابن أبي العلاء زهر ابن أبي مروان(ت 557هـ/1161م)[3] الذي استدعاه عبد المؤمن بن علي إلى مراكش و اتخذه طبيبا خاصا له[4].

ولم يكن هذا المجال حكرا على الرجال فحسب بل نجد من النساء اللواتي اشتغلن كطبيبات في العهد الموحدي أخت الطبيب الحفيد أبو بكر بن زهر وابنتها واللتين كانتا عارفتين بصناعة الطب والمداواة ولهما خبرة بأمراض النساء[5].

وقد واصل الطب ازدهاره وتقدمه في عهد بني حفص بالمغرب الأدنى ومن الأطباء الأندلسيين البارزين خلال هذا العهد نشير إلى :

-**أبو العباس أحمد بن خالد** :(**ت 660 هـ/1262م**) : و هو من أهل مالقة نشأ بالأندلس و تعلم بمراكش ثم انتقل إلى بجاية و درس بها كتاب "الإرشادات و التنبيهات" لابن سينا و ممن قرأوا عليه الغبريني.

-**أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد المعروف بابن أندراس (ت 674هـ/1273م)** : و هو الفقيه اللغوي الطبيب الشهير من أهل مرسية ، ورد على بجاية سنة 660 هـ/1262م فواضب على تدريس الفقه والطب واللغة العربية بجامعها كما مارس مهنة الطب لدى ولاة بجاية، ويشير الغبريني أنه قرأ عليه أرجوزة ابن سينا[6].

1- توفي بالأندلس سنة 525هـ/ 1130م، له تصانيف كثيرة في الطب منها:"الأدوية المفردة"، "الإيضاح بشواهد الافتضاح في الرد على ابن رضوان"، ينظر: ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص 85.

2- محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 151.

3- ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج4، ص- ص 178-179

4- محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 151.

5- نفسه ، ص 152

6- نفسه، ص 101، محمد عمرو الطمار، المرجع السابق، ص- ص 205-206.

ولما ذاع صيته استدعاه المستنصر الحفصي إلى بلاطه و ضمه إلى سلك أطبائه ، و بقي بتونس حتى توفي بها[1] و أنجب ابن أندراس ابنا هو أبو يعقوب يوسف (ت739هـ/1339م) و الذي برع هو أيضا في الطب[2].

كما أشارت المصادر التاريخية إلى عدد كبير من المهاجرين الأندلسيين الذين قدموا إلى المغرب الأدنى خلال القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي و اختصوا في هذا المجال أشهرهم:

-**محمد بن محمد بن عيشون اللخمي المرسي (توفي بعد سنة 721 هـ/ 1320م)** : المحدث الطبيب، رحل من مرسية إلى بجاية، فأقام بها مدة و عين بها طبيبا لابن الليحاني ثم غادر بجاية إلى ألمرية وتوفي هناك[3].

-**أحمد بن علي بن محمد عبد البر الخولاني الغرناطي** (ت 1349/750م): الطبيب الشهير واضب على العلم و التجارة في بلاد المغرب توفي بتونس[4].

-**أبو جعفر محمد بن أحمد بن يوسف الأنصاري** (ت763هـ/1361م) : اشتهر بالطب والحساب والفلك، كان ذائع الصيت بغرناطة إلاّ أن سلطانها نفاه إلى البلاد الحفصية في سنة (763هـ/1361م)[5].

-**أبو عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري المالقي** : عاش خلال القرن الثامن الهجري أديب وطبيب استقر بالبلاد الحفصية ثم ضمه السلطان أبو العباس أحمد الحفصي (772-796هـ/1370-1394م) إلى سلك أطبائه[6].

---

[1]- الغبريني، المصدر السابق، ص 102.

[2]- رزوق محمد، المرجع السابق، ص 39.

[3]- ابن القاضي، المصدر السابق، ج2، ص ص 69-70

[4]- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، ج1، دار الكتب الحديثة، مصر، 1966، ص 233.

[5]- ابن حجر العسقلاني، نفسه، ج1، ص- ص 306-307.

[6]- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص 214.

إضافة إلى هؤلاء الأطباء المذكورين نجد آخرين أمثال : أبو الحجاج يوسف أصيل قرمونة و الذي حظي بتقدير شخصي بالغ في بلاط السلطان الحفصي أبو العباس[1] و غالب ابن علي بن محمد اللخمي الغرناطي (ت741هـ/1340م)[2] .

ورغم أهمية هذا التأثير و هذا العدد الهائل من الأطباء الأندلسيين ذوي الخبرة و الحذق في صناعة الطب لم يتمكنوا من إحداث مدرسة شبيهة بمدرسة القيروان التي ذاع صيتها في القرنين الثالث والرابع الهجريين (9 و 10 م)[3] .

و يعد علم النبات أيضا من العلوم التي أثر فيها الأندلسيون فقد برع في هذا العلم عالمان أندلسيان هما:

-**أبو العباس أحمد بن مفرج المعروف بابن الرومية** : المولود سنة 567هـ/1171م الذي أقام مدة بتونس ثم عاد إلى إشبيلية و مات بها سنة 637 هـ/1239م[4].

-**ابن البيطار** : الذي ورد على تونس من مالقة و له عدة مؤلفات في الطب تابع طريقة نحو الشرق وتوفي بدمشق سنة 646هـ/1248م[5].

أما الرياضيات و هي إحدى العلوم العقلية فقد تأثرت بأهم رياضي أندلسي انتقل إلى تونس في الفترة المدروسة وهو **أبو الحسن القلصادي** (توفي891هـ/1486م) الذي اشتهر بالفقه والفرائض والحساب وله عدة مؤلفات في مجال الحساب ألف معظمها في تونس ومنها: "كشف الجلباب في علم الحساب" ، "القانون في الحساب"[6].

إضافة إلى القلصادي نجد: **أبو عبد الله محمد بن الصفار القرطبي** (ت639 هـ/1241م) كان متضلعا في علم الحساب، أصله من قرطبة درس بمراكش و فاس وتونس وغيرها من الأقطار ثم استقر بتونس حتى وفاته[7]، وكذلك **محمد بن إبراهيم محمد الأوسي**

1- روبار برنشيفك، المرجع السابق، ص- ص 389-390.

2- ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج4، ص- ص 240-241.

3- محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 71.

4- ابن الخطيب، الإحاطة ، المصدر السابق، ج1، ص- ص 115-221.

5- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص- ص 44-45.

6- التنبكتي، المصدر السابق، ص 210، ابن القاضي، المصدر السابق، ج3، ص ص 251-252.

7- عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص 556.

المرسي المعروف بابن الرقام (توفي سنة 715هـ/1315م) من أهل مرسية نزيل غرناطة برع في الحساب والهندسة والطب، اتجه إلى الحج وأقام مدة بتونس ثم استقر بغرناطة حتى وفاته بها[1].

و نجد أيضا ممن مر بتونس في هذه الفترة و تخصص في الحساب **إبراهيم بن عبد الله بن عبد العزيز النيمري الغرناطي** (ت 764 هـ/1362 أو 1363م) ولد بغرناطة و تعلم بها ثم ارتحل إلى المشرق، استكمل تعليمه بتونس ومصر وعاد إلى غرناطة[2].

4/ المجال الفني و المعماري:

لعل أعمق تأثير أندلسي و أخلده في المغرب الأدنى هو الذي حدث في ميدان الفن وخاصة للموسيقى، والموسيقى كما يعرفها ابن خلدون: هي "معرفة نسب الأصوات و النغم بعضها من بعض و تقديرها بالعدد و ثمرته معرفة تلاحين الغناء"[3].

و قد كانت العناية بهذا النوع من الفنون شديدة بالأندلس و كان الشغف بها قويا في جميع المستويات والأوساط فلم تكن فنا فحسب بل كانت أيضا علما متمما للفلسفة و الطب و له صلة متينة بالأشعار وخاصة الموشحات والأزجال[4]، و يرجع الفضل في التطور الكبير الذي شهدته الموسيقى بالأندلس إلى أبو الحسن علي بن نافع (173-238هـ/789-852م) الذي نشأ بالعراق و كان مولى للخليفة العباسي المهدي (158-169هـ/775-785م) وقد تتلمذ على يد إسحاق الموصلي ، ثم انتقل إلى الأندلس و يلقب بزرياب لسواد لونه[5]، وفي ذلك يقول المقري: "و زرياب غلب عليه ببلاده من أجل سواد لونه مع فصاحة لسانه و حلاوة شمائله ، شُبّه بطائر أسود غرد عندهم و كان شاعرا مطبوعا..."[6].

---

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج3، ص- ص 69-70.

[2]- ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج1، ص 29-30.

[3]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 430.

[4]- روبار برنشيفك، المرجع السابق، ص 432، محمد الطالبي، المرجع السابق، ص71.

[5]- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج3، ص 122، محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 75.

[6]- نفسه، ص 122.

ويعتبر زرياب واضع أسس المالوف وصاحب مدرسة تميزت بأسلوب خاص في التلقين والتعليم، ومن أهم الأعمال التي ارتبطت به في الأندلس تغييره لمضراب العود وإضافته وترا خامسا لهذه الآلة[1]، أما المضراب فقد صنعه من قوادم النسر عوض الخشب وقد أشار المقري إلى ذلك قائلا: "وهو الذي اخترع بالأندلس مضراب العود من قوادم النسر معتاضا به من مرهف الخشب فأبرع في ذلك للطف قشر الريشة و نقائه و خفته على الأصابع و طول سلامة الوتر على كثرة ملازمته إياه"[2] .

وممن اعتنى بالموسيقى في الأندلس نجد الفيلسوف أبا بكر بن باجة (ت 522هـ/ 1428م) فبالإضافة إلى مؤلفاته في الفلسفة و علم النفس و الهندسة و الفلك اهتم أيضا بالموسيقى فألف فيها ولحن الألحان الموسيقية[3].

و كان ابن باجة صاحب مدرسة نبغ فيها العديد من التلاميذ كأبي عامر محمد بن الحمارة الغرناطي الذي "برع في علم الألحان و اشتهر عنه أنه كان يعمد للشعراء فيقطع العود بيده ثم يضع منه عودا للغناء و ينظم الشعر و يلحنه و يغني به"[4] .

ومن معاصري ابن باجة الذين أولوا الموسيقى أهمية بالغة نذكر أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاشبيلي (460-529هـ/1068-1134م) المؤرخ الشهير الشاعر الموهوب عرف ببراعته في الفلسفة والرياضيات والطب والموسيقى وله كتاب في الأدوية المفردة وقد تُرجم إلى اللاتينية والعبرية[5]، ويقول عنه المقري:" أمتن علومه الفلسفة والطب والتلحين، وله في ذلك تواليف تشهد بفضله ومعرفته، وكان يكنى بالأديب الحكيم، وهو الذي لحن الأغاني الإفريقية..."[6].

ولأبي الصلت يرجع الفضل في إدخال الموسيقى الأندلسية إلى إفريقية ذلك أنه هاجر إلى إشبيلية سنة 489هـ/1096م أي بعد سقوط طليطلة فتوجه أولا إلى الإسكندرية ثم استقر

1- المقري، نفح الطيب، ص 126.

2- نفسه، ص- ص 126-127.

3- محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 159.

4- ابن سعيد الغرناطي، المصدر السابق، ص 120، المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج4، ص 140.

5- محمد الطالبي، المرجع السابق، ص- ص 71-72.

6- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص- ص 105-106.

بالمهدية حيث لقي في البلاط الزيري أحسن قبول[1]، وغزت على يديه أمواج الألحان الأندلسية إفريقية قبل أن تغزوها أمواج اللاجئين[2]، وهذا الدور الذي أداه أبو الصلت في تطوير الفن الموسيقي بإفريقية شبيه بالدور الذي أداه زرياب في الأندلس.

والجدير بالملاحظة أن الموسيقى في بلاد المغرب لم تلق نفس الاهتمام الذي لقيته بالأندلس وذلك راجع لتشدد المرابطين والموحدين من بعدهم في حرمة هذا الأمر، وتزمت رجال الدين الذين كانوا مناهضين لكل آلة من الآلات الموسيقية أمثال المهدي بن تومرت الذي حطم العديد من الآلات الموسيقية أثناء دعوته الإصلاحية[3]، كما أن علماء المذهب المالكي سمحوا باستعمال آلة الدف في الأعراس لا غير شرط أن يكون خاليا من الأوتار المشدودة تحت الجلد[4].

غير أن هذا لا ينفي وجود بعض الآلات الموسيقية كالأبواق في المساجد خلال شهر رمضان، كما استعمل الطبل أيضا كأداة تنبيه لأغراض عسكرية[5].

ورغم تلك الاحتزازات الدينية إلا أن الميل إلى الموسيقى في المغرب الأدنى كان منتشرا بما فيه الكفاية خاصة في المدن التي استقر فيها الأندلسيون اللاجئون إلى بجاية والكثير منهم استوطنها واستقر بها نهائيا[6] فكان من نتائج هذا الاستقرار شيوع الفن الموسيقي الأندلسي بهذه المدينة حتى أصبحت مدينة شبيهة بإشبيلية في شغفها بالموسيقى وانصرافها إلى الطرب[7].

وهو الأمر الذي يوضحه ليون الإفريقي الذي زار إفريقية في الربع الأول من القرن السادس عشر ميلادي ففي وصفه لأهل بجاية يقول:" والبجائيون أناس طيبون ميالون إلى المرح والموسيقى والرقص لاسيما منهم الأمراء الذين لم يشهروا الحرب قط على أحد"[8]، ويقول أيضا في وصف لأهل تدلس:" وهؤلاء السكان ذو بشاشة ومرح يحسنون تقريبا كلهم العزف على

[1]- محمد رزوق، المرجع السابق، ص 43.

[2]- محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 72.

[3]- روبار برنشيفك، المرجع السابق، ص 432.

[4]- نفسه، ص 432.

[5]- نفسه، ص 433.

[6]- محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 73، محمد عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 161.

[7]- محمد رزوق، المرجع السابق، ص 44.

[8]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج3، ص 51.

العود والقيتار"[1]، وهذه الصفات التي أشار إليها ليون الإفريقي تناسب تماما أهل الأندلس ومن تأثر بعاداتهم وأذواقهم من أهل المغرب.

وفي مدينة تونس كذلك اهتم السلاطين الحفصيون بالموسيقى ومن مظاهر ذلك الاهتمام إلغاء السلطان أبي فارس (796-837هـ/1393-1433م) ضريبة كانت مفروضة على الموسيقيين والمغنيات والمحترفات[2]. كما كان كثير من سلاطين بني حفص يستمعون داخل قصورهم إلى بعض الجواري المغنيات والموسيقيين البارعين[3].

ومن أعمق مظاهر التأثير الأندلسي في مجال الفن و الموسيقى هو ارتكاز الفن التلحيني في المغرب على النوبات[4] التي نقلها معهم المهاجرون الأندلسيون، وبما أن الموسيقى لم تكن مكتوبة فقد ضاع عدد النوبات فحاول بعض الموسيقيين جمعها حفاظا عليها من الضياع فأحصوا حوالي ثلاثة عشر نوبة في تونس[5].

هذا عن الفنون الموسيقية أما فيما يخص الفنون المعمارية والهندسية فقد تأثرت هي الأخرى بالعناصر الأندلسية والمغربية وحتى المشرقية وإنه ليصعب في كثير من الأحيان التمييز بين التأثيرات الأندلسية والمغربية نظرا لما تتسم به من سمات مشتركة[6].

ومن ملامح ومظاهر التأثير الأندلسي في العمارة الحفصية زاوية سيدي قاسم الزليجي بمدينة تونس المقامة في أواخر القرن الثامن الهجري (الرابع عشر ميلادي) والتي اقتبست مظهرها الأندلسي الرائع من خزفها وقبتها المبنية بالقرميد وهي ذات أصل أندلسي مغربي[7].

---

[1]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج3، ص 42.

[2]- الزركشي، المصدر السابق، ص 117.

[3]- أشار الزركشي إلى أن الوزير ابن حبير كان مشتغلا بالملاهي، ينظر: الزركشي، المصدر نفسه، ص 42.

[4]- النوبة هي نوع من التأليف الموسيقي يتناوب فيه التأليف الغنائي و التأليف الآلي، ويرتكز على قواعد محدودة و تراكيب موسيقية تتبع بعضها على نظام واحد، والنوبة ابتكار أندلسي من آثار زرياب الأندلسي ورثته بلاد المغرب عن الأندلس، ينظر: محمد عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 246.

[5]- نفسه، ص 246

[6]- روبار برنشيفك، المرجع السابق، ص 435.

[7]- روبار برنشيفك، المرجع السابق، ص 436.

أما عن التأثيرات المشرقية في الفن المعماري فقد تمت بفضل العلاقات الاقتصادية والثقافية بين مصر وتونس وبفضل عبور الحجيج فوق أراضيها[1]، ومن أهم ملامح هذا التأثير الجمع بين المدرسة وبين ضريح مؤسسها، وكذلك انتشار الحنفيات العمومية في العاصمة الحفصية[2].

ورغم ما تمت الإشارة إليه في تأثير أندلسي في مجال العمران بالمغرب الأدنى إلا أنه يبقى أبلغ وأوضح في كل من المغرب الأوسط والأقصى، وهو ما تشهد عليه الآثار الباقية حتى الآن كمساجد تلمسان التي كانت آنذاك عاصمة للدولة الزيانية.

1- روبار برنشيفك، المرجع السابق، ص 436.

2- نفسه، ص 436.

ثانيا: التأثير الأندلسي في المجال السياسي.

بعد استعراضنا لأثر الجالية الأندلسية في المجال الثقافي نمر الآن للحديث عن أثر هذه الجالية في المجال السياسي.

و فيما يخص هذا المجال كان للأندلسيين دور لا يستهان به و هذا منذ عهد الدولة الحمادية حيث استعمل هؤلاء في عدة وظائف و نذكر على سبيل المثال عائلة ابن حمدون في آخر عهد الدولة الحمادية[1].

أما الدولة الموحدية فقد اعتمدت هي الأخرى على العناصر الأندلسية في الجوانب الإدارية و على نفس النهج سارت الدولة الحفصية فقد شجعت الأندلسيين على تولي الوظائف الإدارية بعاصمتها أو الولايات التابعة لها، و ذلك راجع إلى العدد الكبير من المثقفين والكتاب البارعين الوافدين عليها، و قد حاولت هذه الدولة أن تستفيد من خبرتهم من جهة وأن تجعل منهم أداة توازن تخفف بها ضغط شيوخ الموحدين من جهة أخرى[2].

و من أهم الوظائف الإدارية التي تولاها الأندلسيون:

1/الحجابة:

وجدت خطة الحجابة أو الوزارة في الأندلس منذ قيام الدولة الأموية بها، و كان منصب الوزير في بادئ الأمر يشبه في مدلوله ما كان سائدا في بقية أنحاء العالم الإسلامي[3]، و لما تولى الأمير عبد الرحمن الثاني الخلافة (207-238هـ/ 822- 852م) أعاد ترتيب الجهاز الإداري وأجرى تعديلات على الوظائف العامة، و قد أشار ابن عذارى المراكشي أن وزراء الأمير عبد الرحمن الثاني كانوا تسعة و أن راتب كل واحد منهم كان ثلاثمائة دينار[4].

---

[1]- مختار حساني، المرجع السابق، ص 259.

[2]- محمد رزوق، المرجع السابق، ص 32، محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 57.

[3]- عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 53.

[4]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص 121.

و كذلك أشار ابن خلدون إلى بعض التفصيلات عن اختصاص كل وزير في الخطة فقال:« و أما دولة بني أمية بالأندلس، فأبقوا اسم الوزير في مدلوله أول الدولة ثم قسموا خطته أصنافا وأفردوا لكل صنف وزيرا فجعلوا لحساب المال وزيرا و للترسيل وزيرا...و جعل لهم بيتا يجلسون فيه على فرش منضدة لهم و ينفذون أمر السلطان هناك كل فيما جعل له، و أفرد للتردد بينهم وبين الخليفة واحد منهم، ارتفع عنهم بمباشرة السلطان في كل وقت، فارتفع مجلسه عن مجالسهم، وخصوه باسم الحاجب و لم يزل الشأن هذا إلى آخر دولتهم»[1].

و يفهم من هذا النص أن لقب الحاجب يعني رئيس الوزراء و هو يتصل بالخليفة نيابة عن بقية الوزراء.

و في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (300- 350هـ/ 912-961م) ظهر لقب جديد و هو لقب " ذي الوزارتين" و المراد به صاحب السلطتين المدنية و العسكرية[2].

أما في بلاد المغرب فالملاحظ أن الدول الإسلامية الأولى التي قامت به لم يظهر فيها هذا المنصب إلا باستثناء دولة الأغالبة و لما دانت بلاد المغرب لسلطة المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين عمل على تطبيق النظام الإداري المتبع في الأندلس فاحدث منصب الوزير[3].

و في عهده وجد العديد من الأندلسيين في البلاط المرابطي و معظمهم شغل منصب الوزير أو الكاتب و قد عبر المراكشي عن ذلك بقوله: " و لم يزل أمير المسلمين في أول إمارته يستدعي أعيان الكتاب من جزيرة الأندلس و صرف عنايته لذلك حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك"[4].

أما بالنسبة للدولة الموحدية فقد أهملوا مناصب الوزارة في بداية أمر دولتهم ثم أولوه بعد ذلك أهمية قصوى[5] و قد شغل هذه الوظيفة عدد من الأندلسيين مثل: ميمون الهواري الذي

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 247.

[2]- عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 55.

[3]- نفسه، ص- ص 57- 59.

[4]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 132.

[5]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 247.

استعمله الخليفة عبد المؤمن بن علي و كان فقيها من سكان قرطبة[1]، كما استخدم أيضا أبا الحسن بن عياش و هو أيضا من أهل قرطبة[2]، و على نفس نهج الدولة الموحدية سارت الدولة الحفصية فعينت المهاجرين الأندلسيون في مناصب الحجابة و الوزارة و ممن تولوا هذه المناصب نذكر.

- **الرئيس أبو عبد الله محمد بن أبي الحسين بن سيد الناس** الذي اسندت إليه مناصب عدة ومنها الحجابة في عهد أبي زكريا الأول (624- 647هـ/ 1228- 1249م)[3].

و تمتع هذا الشخص و غيره من الأندلسيين بحظوة لدى أبي زكريا الحفصي إلى درجة جعلت شيوخ الموحدين يضيقون بهم ذرعا[4]، و لما تولى المستنصر الحكم (647- 675هـ/ 1249- 1277م) حاول إرضاء شيوخ الموحدين فعين محمد بن أبي مهدي الهنتاتي في وظيفة الحجابة[5]، ولكن ذلك لم يرض الموحدين فدبروا عملية انقلاب باءت بالفشل و أدت إلى تدعيم نفوذ الأندلسيين بإعادة أبي الحسين إلى مكانه و الاعتماد عليه في تسيير شؤون الدولة حتى أصبح مثلا يحتذى به لمن بعده، وبهذا استفحل النفوذ الأندلسي في البلاط الحفصي و أصبح الأندلسيون من أهل الشورى[6].

و في عهد الواثق (675- 678هـ/ 1277- 1279م) تغلب على أمور الدولة الحفصية أندلسي آخر أصله من أعمال مرسية و هو: يحي بن عبد الملك الغافقي المعروف بابن الجبر و قد قال عنه ابن خلدون: " و استبد أبو الحسن بن الجبر على الدولة و السلطان وبعث أخاه أبا العلي واليا على بجاية و أسف المشيخة و البطانة بعتوه و استبداده و ما يتجشمونه في مكابرة بابه"[7].

1- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة و جعلهم الوارثين، تحقيق: عبد الهادي التازي، بيروت، 1964، ص 323.

2- نفسه، ص 160.

3- محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 57.

4- نفسه، ص 57.

5- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 402.

6- نفسه، ص 403.

7- نفسه، ص 433.

و ممن شغلوا هذه الوظيفة **أبو الحسين بن سيد الناس** الذي التحق بخدمة أبي زكريا بن أبي إسحاق (675- 678هـ /1277- 1279م) و قدم له خدماته مما جعله يرقى إلى أعلى المناصب (الحجابة)[1] و قد أعانه كذلك على استعادة بجاية سنة 684 هـ/ 1258م. و أقام مملكة مستقلة بها[2].

و قد أورد ابن خلدون ذكرا لهذه الشخصية و ما قامت به من أعمال فقال: " و قد قدمنا سلفا هذا الرجل و أولويته و أنه لحق بالأمير أبي زكريا بتلمسان و أبلى في خدمته، و لما استولى الأمير أبو زكريا على الثغر الغربي واقتطعه من أعمال الحضرة و نزل بجاية و ضاهى بها تونس، عقد لأبي الحسين بن سيد الناس على حجابته"[3].

و يضيف قائلا: " فاستولى أبو الحسين بن سيد الناس على الدولة ببجاية و قام بأمر مخدومه أحسن قيام و صار إلى الحل و العقد، و انصرفت إليه الوجوه، و تمكن في يده الزمام إلى أن هلك سنة 690هـ"[4]. و قد خلفه في هذه الوظيفة أبو القاسم بن أبي حي و تصرف هذا الأندلسي في أعمال الإمارة الحفصية، و قد سبق له الاتصال بأبي الحسن بن سيد الناس و بعد وفاته تولى الحجابة مكانه و أشرف على مالية بجاية[5].

و ممن تولوا الحجابة أيضا من الأندلسيين نذكر:

أبا عبد الرحمن يعقوب بن أبي بكر بن محمد بن عمر السلمي الذي قدم مع جالية شاطبة وولي ببجاية و استبد بها سنة 715 هـ/1315م و اقتصر على ذكر السلطان في الخطبة و اسمه في السكة إلى أن توفي سنة 719 هـ/ 1319م[6].

إضافة إلى هؤلاء الحجاب نجد محمد بن محمد بن أبي بكر بن خلدون فقد عينه السلطان أبو إسحاق (678- 682 هـ/ 1279- 1283م) حاجبا لابنه و واليه على بجاية أبو فارس

[1]- مختار حساني، المرجع السابق، ص 271.

[2]- نفسه، ص: 271، محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 59.

[3]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 452.

[4]- نفسه، ص 452.

[5]- مختار حساني، المرجع السابق، ص 274.

[6]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص ص 483- 484.

وابن عمر الذي قدم من ألمرية إلى بجاية و تولى الحجابة بها[1]. كما كان لعائلة بني يعقوب دور هام في تسيير شؤون الدولة الحفصية، وأصلهم من الأندلس ينحدرون من بيوت مدينة شاطبة عرفوا بأنهم من أهل العلم و القضاء[2].

2/الدواوين:

وجدت الدواوين في الدول الإسلامية بهدف تنظيم أمور الدولة في جميع النواحي، و من هذه الدواوين ديوان الرسائل و الإنشاء و يختص هذا الديوان بالمراسيم و الرسائل الموجهة إلى الولاة و القضاء، و يرأسه الكاتب[3].

و ديوان المالية الذي كان موزعا بين أربعة دواوين هي: ديوان الغنائم و نفقات الجند وديوان الضرائب و ديوان الجباية و ديوان الخراج[4].

كما وجد أيضا ديوان الجيش الذي كان يتفرغ إلى ديوانين هما: ديوان العسكر الذي يختص بالجند النظامي و الحرب و العبيد و ديوان التمييز الذي يهتم بتنظيم المشتركين في المعارك المقبلة و التنسيق بين الكتائب المختلفة[5].

و قد اشتغل بهذه الددواوين في بلاد المغرب بصفة عامة و المغرب الأدنى بصفة خاصة عدد كبير من المهاجرين الأندلسيين بالنظر لبراعتهم في الكتابة و إجادة الشعر و من هؤلاء نذكر:

- **أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي** الشهير **بابن الآبار:** ولد ببلنسية 595هـ/ 1198م أصله من أندة على مقربة من غربي بلنسية، برع ابن الآبار في اللغة والأدب و قد تولى قضاء دانية ثم تولى منصب الكتابة في بلنسية للرئيس أبو جميل زيان بن مردنيش و لما

1- مختار حساني، المرجع السابق، ص ص 272- 273.

2- محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 273.

3- نفسه، ص- ص 62- 63.

4- نفسه، ص 63.

5- نفسه، ص 63.

سقطت بلنسية سنة 636هـ/1238م في يدي النصارى كان إلى جانب أميره وقام بتحرير شروط التسليم[1].

لم يطق ابن الآبار البقاء في الوطن المنكوب فغادر الأندلس و عبر البحر إلى تونس ووصلها أواخر سنة 636هـ/ 1238م فقربه السلطان الحفصي أبو زكريا (625- 647 هـ/ 1228- 1249م) إليه و ولاه كتابة العلامة ثم أخذ يتردد بين تونس و بجاية يُدرس هنا و هناك، و لما توفي الأمير أبو زكريا سنة 647 هـ/ 1249م و خلفه ولده المستنصر التحق ابن الآبار بخدمته و لكن نتيجة للدسائس و الدعايات ضده استطاع خصومه أن يوقعوا به[2]، فقد نسبوا إليه أبيات من الشعر فيها طعن في السلطان و منها هذا البيت:

طغى بتونس خلف سموه ظلما خليفة[3]

و لما وقع هذا البيت في يد السلطان المستنصر أمر بامتحانه ثم قتله طعنا بالرماح في شهر محرم 658 هـ/ يناير 1260م و بعدها أخذت كتبه و أحرقت في موضع قتله[4].

- **أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن الحسن بن عميرة المخزومي:** (582- 658 هـ/ 1186- 1259م): الفقيه الأديب الكاتب من أهل جزيرة شقر بالأندلس، سكن بلنسية مدة واشتغل كاتبا لدى بني مردنيش ثم تولى القضاء بأزيولة و شاطبة، ثم انتقل إلى عدوة المغرب وتولى قضاء سلا و مكناسة بالمغرب الأقصى، ثم رحل إلى تونس، و حظي لدى أميرها المستنصر بالتقدير فولاه قضاء قسنطينة و قابس ثم استقر بتونس و تولى الكتابة للمستنصر إلى أن توفي بها سنة 658 هـ- 1259م[5].

1- الغبريني، المصدر السابق، ص- ص 257- 259.

2- الغبريني ، المصدر السابق، ص- ص 259- 261، المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج2،ص-ص589-591

3- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 49.

4- نفسه، ص 419، عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، المرجع السابق، القسم الأول، ص 706.

5- الغبريني، المصدر السابق، ص- ص 250- 253، ابن فرحون، المصدر السابق، ص 46، ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ص- ص 173- 180.

- **أبا بكر بن خلدون:** و هو الجد الأعلى للمؤرخ ابن خلدون قدم مع جالية اشبيلية و قد اسند إليه أبو إسحاق الحفصي (678- 682هـ/1279- 1283م) خطة الأشغال و لم يكن يليها إلا الموحدون[1].
- **محمد الخير المالقي:** (731- 888 هـ/1427- 1483م) أديب و شاعر هاجر إلى تونس سنة 864 هـ/ 1459م و تولى الكتابة لأميرها محمد بن أبي عمرو عثمان الحفصي[2].

إضافة إلى هؤلاء نجد أيضا أبو الزهور الربيع الذي تولى ديوان الإنشاء[3] و كذا يحي بن محمد الحضرمي الذي تولى ديوان الكتابة للمولى أبي زكريا ثم اعتلى إلى خطة الحجابة[4].

و فيما يخص ديوان الجيش فإن المصادر التاريخية تعوزنا تماما في هذا الميدان فلم تشر إلى أسماء شخصيات أندلسية تولت هذا الديوان، غير أن هذا لا ينفي أن المهاجرين الأندلسيين لم يشتغلوا في الجيش، فقد أشار ابن خلدون إلى انضمام العديد من اللاجئين إلى صفوف الجيش ويروي كيف ملئت عندها سواحل رادس بالمرابطة بجند الأندلس و المطوعة زهاء أربعة آلاف فارس[5].

رغم هذا الدور النشيط الذي لعبته الجالية الأندلسية على المسرح السياسي في المغرب الأدنى أيام الحفصيين لم يخل من الجوانب السلبية فقد حاول الأندلسيون أن يفرضوا نوعا من الوصاية الحضارية على تونس، فكانوا يحتقرون أهل تونس و يزدرون ببلاطهم خاصة إذا ما قاسوه ببلاطات الأندلس و ما كان يسودها من أناقة و ترف[6] ،كما كثرت السعايات بين الأندلسيين والحفصيين من جهة و بين الأندلسيين أنفسهم و ذلك راجع إلى عدم شعورهم بالمسؤولية، وقد أشار محمد طالبي إلى ذلك فقال: " إن فيما تقدم دلالة كافية على مدى انهيار

---

[1]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 436.

[2]- عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص: 577.

[3]- مختار حساني، المرجع السابق، ص: 259.

[4]- نفسه، ص: 274.

[5]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص: 668.

[6]- محمد رزوق، المرجع السابق، ص: 34، محمد الطالبي، المرجع السابق، ص: 60.

سلم القيم وفقدان كل شعور بالمسؤولية، فإذا ما استثنينا أبا عبد الله محمد بن أبي الحسين، فإنه لم يرتفع أي أندلسي ممن خدم الحفصيين إلى مستوى رجل دولة بأتم معنى الكلمة"[1].

و قد أثرت هذه السلبيات على فقدان الأمن بالمنطقة و فقدان الوعي السياسي لدى هذه الجالية و رغم ما حل بوطنهم الأصلي بسبب الدسائس و المؤامرات إلا أنهم لم يتعضوا بذلك ولم يعرضوا عن هذه الصفات[2].

3/ولاية القضاء:

لم يكن عمل الأندلسيين مقتصرا على الحجابة و الكتابة فقط بل امتد إلى وظيفة القضاء، فقد ولي عدد كبير من المهاجرين الأندلسيين ولاية القضاء في مختلف مدن المغرب الأدنى و من هؤلاء القضاة نذكر:

- **أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن موسى الأزدي:** (ت 661 هـ/1262م): الفقيه المحدث القاضي من أهل مرسية المعروف بابن برطلة استوطن بجاية و ولي صلاة الفريضة بجامعها الأعظم، ثم القضاء بالجزائر، ثم حل بتونس في سنة 640 هـ/ 1242م و حج في سنة 656 هـ/1258م، ثم عاد إلى تونس و استقر بها حتى وفاته[3].
- **أبو بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن جيش اللخمي:** ولد بمرسية سنة 615 هـ/1218م أخذ العلم عن ابن الولي و ابن محرز و الوزير سهل بن مالك و غيرهم، ولي قضاء مرسية وتنقل بين كثير من مدن الأندلس و المغرب هاجر أولا إلى بجاية ثم إلى تونس وولي بها القضاء إلى أن توفي سنة 685 هـ/ 1278م[4].

---

[1]- محمد الطالبي، المرجع السابق، ص: 63.
[2]- نفسه، ص- ص 63- 64.
[3]- الغبريني، المصدر السابق، ص- ص 270- 271، محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص 196.
[4]- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج6، ص 168، محمد رزوق، المرجع السابق، ص 42.

- **أبو عثمان سعيد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن زاهر الأنصاري** من أهل بلنسية ولد بها سنة 577 هـ/ 1181م، ارتحل إلى العدوة و استوطن بجاية و امتهن التدريس بها ثم تولى وظيفة القضاء ببجاية و توفي بها سنة 654 هـ/ 1256م[1].

- **أبو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الخزرجي الشاطبي** (ت691 هـ/1252م): تولى القضاء عدة مرات بمختلف مناطق الدولة الحفصية و في هذا الصدد يقول عنه الغبريني: " تخطط بخطة القضاء في غير ما بلد، و كان أبوه قاضيا و بيتهم بيت علم و قضاء و توارث سؤدد، ثم قضى ببجاية فكان في قضائه على سنن الفضلاء و طريق الأولياء والعقلاء... ثم انصرف عن بجاية فولي قضاء حاضرة افريقية فكان له فيها الظهور في أحكامه..."[2].

و قد غلب عليه التشديد في أمر الشهادة و الشهود فهو لا يسمح لمن تولى مهنة الإشهاد إلا من كان يتميز بكفاءته العلمية، كما لا يقبل أن يشهد أمام محكمته إلا من يتصف بالصدق[3].

- **أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن ابن الغماز البلنسي الخزرجي**: ولد ببلنسية 609هـ/ 1212م فقيه مقرئ محدث أخذ العلم عن ابن محرز و ابن عميرة و الكلاعي و غيرهم. انتقل إلى بجاية بعد استيلاء الأرجونين على بلنسية فاستوطنها و ولي القضاء بها ثم بتونس[4] و كان مقربا من السلطان المستنصر فقال عنه ابن قنفذ " و كان ابن الغماز من سعداء الفقهاء على أنه لم يقتصر به المستنصر على القضاء بل ناط به أشغالا سلطانية، و كان ينظر له في كثير من الأمور"[5]. و قد توفي سنة 693 هـ/ 1293م[6].

---

[1]- الغبريني، المصدر السابق، ص 245.

[2]- نفسه، ص- ص: 126- 127.

[3]- مختار حساني، المرجع السابق، ص: 263.

[4]- الغبريني، المصدر السابق، ص 129، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص- ص 409- 413.

[5]- ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية في ميادين الدولة الحفصية، المصدر السابق، ص 151.

[6]- الغبريني، المصدر السابق، ص 129، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 412، النبهاني، تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط5، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983، ص- ص 122- 123.

ثالثا: التأثير الأندلسي في المجال الاقتصادي:

شمل التأثير الأندلسي الميدان الاقتصادي كذلك إلا أن المصادر لم تشر إليه إشارات واضحة كما قال الأستاذ طالبي: " فنحن نتوجس هذا التأثير من دون أن نستطيع أن نلمس لمسا حسيا ومفصلا مقدار وزنه أو نحدد بدقة مواطنه"[1].

و من الملاحظات التي يمكن تسجيلها و التي ستعطي صورة تقريبية عن هذا التأثير وتتمثل في أن الفراغ الديمغرافي الذي كان أحد عوامل الهجرة نحو المغرب الأدنى تم سده وتجاوزه بقدوم المهاجرين الأندلسيين الذين ساهموا في إعادة توازن و تنشيط اقتصاد البلاد[2] من خلال ما نقلوه من خبرات راقية و متعددة أفادوا بها في مختلف الأنشطة الاقتصادية و هي: الزراعة، الحرف و الصناعات، التجارة[3].

1/النشاط الزراعي:

اهتم سكان المغرب و الأندلس بالزراعة لتوفر شروط هذا النشاط بالمنطقة و منها:

- وفرة مصادر المياه و المتمثلة في الأمطار المتساقطة و الأنهار دائمة الجريان و العيون و الآبار وقد ساعد هذا على زراعة الحبوب الواسعة[4].
- وفرة التربة الخصبة في السهول وأحواض الأنهار و على ضفاف البحار و تنوعها الشديد وافتقارها إلى التجانس أدى إلى اختصاص كل جزء بمحصول معين[5].
- تنوع المناخ من محيطي إلى متوسطي إلى قاري ساعد على تنوع الزراعة[6].

---

[1]- محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 82.

[2]- نفسه، ص 82، محمد رزوق، المرجع السابق، ص 47.

[3]- مختار حساني، المرجع السابق، ص: 275.

[4]- إسماعيل سامعي، المرجع السابق، ص 13، يحي أبو المعاطي محمد عباس، الملكيات الزراعية و آثارها في المغرب و الأندلس (238- 488هـ/ 852- 1095م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، القاهرة، 2000، ص 432، و عن أشهر الأنهار ببلاد المغرب ينظر، مارمول كربخال، افريقيا، ترجمة: محمد حجي و آخرون، ج1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ص- ص 33- 41.

[5]- نفسه، ص 13.

[6]- نفسه، ص 13.

إن توفر هذه الشروط الطبيعية إضافة إلى الإمكانيات البشرية نتج عنه توفر و تنوع المحاصيل الزراعية الأندلسية و المغربية و على رأسها الحبوب حيث أن القمح أو الحنطة و الشعير تعد الغذاء الرئيسي للسكان و في هذا الصدد يقول الإدريسي " و أكثر غذاء أهل الغرب الحنطة"[1] و من أهم المناطق المنتجة للحبوب قرطبة و جيان و مرسية[2] و غرناطة[3].

أما في المغرب فقد تركزت زراعة الحنطة بإفريقية و باجة و بجاية و القيروان و مرسى الدجاج و تاهرت و وهران و تلمسان و فاس[4]، و لم تقتصر المحاصيل الزراعية على الحبوب بل شملت الخضر بمختلف أنواعها: كالكرنب و اللفت و الجزر و الباذنجان و البصل و الثوم[5]، كما انتشرت البساتين و الجنات المنتجة لمختلف الفواكه و منها: السفرجل و اللوز و الجوز و التفاح والإجاص و غيرها[6].

و من أهم المزروعات بالعدوتين الزيتون فكانت مزارعه تغطي مساحات كبيرة من الأراضي و قد تركزت زراعته بالنسبة للأندلس في جبل العروس شمال قرطبة و جبل الشرف باشبيلية[7]. أما بالنسبة للعدوة المغربية فقد انتشرت زراعته بقرى القيروان و بجوار قرى تونس وبين الطريق الفاصل بينهما[8]، و كذلك تلمسان التي اشتهرت بالتين و الرمان[9].

---

[1]- الإدريسي، القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص 273.

[2]- نفسه، ص- ص 273- 300، الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص 70.

[3]- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط 3، مطبعة مدبولي، القاهرة، 1991، ص 234.

[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص- ص: 75- 86، مارمول كربخال، المصدر السابق، ج1، ص 28.

[5]- يحي أبو المعاطي، المرجع السابق، ص 402.

[6]- للإطلاع على مناطق إنتاج هذه الأنواع و غيرها من الفواكه في كل من المغرب و الأندلس ينظر: يحي أبو المعاطي، المرجع نفسه، ص- ص 458- 459، إسماعيل سامعي، المرجع السابق، ص- ص 38- 41، محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 170.

[7]- الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص: 14- 44- 149، المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص 158.

[8]- يحي أبو المعاطي، المرجع السابق، ص 455.

[9]- بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص 267.

و قد فرض هذا النشاط الزراعي و الذي يشكل عماد الاقتصاد الأندلسي[1] على الأندلسيين المشتغلين فيه الاهتمام بنظام الري و إنشاء الترع المتفرعة في كل الاتجاهات، كما أنشئوا القنوات المعلقة التي تستخدم في توصيل المياه المتساقطة من عيون الجبال إلى السهول البعيدة[2]، و هو النظام الذي نقله المهاجرون الأندلسيون في عهد دولتي المرابطين و الموحدين، كما نقلوا بعض الزراعات كزراعة قصب السكر و زراعة أشجار التوت[3].

و تذكر المصادر التاريخية أن الدولة الحفصية التي تأسست على أنقاض دولة الموحدين أقطعت أراضي لأفراد من الجالية الأندلسية على ضفاف وادي الصومام استغلوها لإقامة البساتين وتطوير نظم الري[4]، و مما لا شك فيه أن العديد من المهاجرين الأندلسيين اشتغلوا في ميدان الزراعة و خاصة أولئك الذين لا يمتلكون شروط العمل في الميادين الأخرى التي سبقت الإشارة إليها كالتعليم و الإدارة و القضاء فقد لجئوا إلى العمل في المزارع أو حراسة البساتين[5]، كما استقر معظمهم بالمناطق الشمالية الآمنة و قرب السواحل و مجاري المياه قصد استغلال الأرض بفضل خبراتهم في الزراعة و الري و تنويع الإنتاج[6] و رغم براعتهم في هذا المجال إلا أنهم لم ينقلوا طريقة زراعية معينة لمنتوج معين أو لصنف من الأصناف النباتية على خلاف العهد المرابطي و الموحدي الذي انتقلت خلاله زراعة مختلف فواكه الأندلس إلى المغرب[7].

---

[1] - علي أحمد، الأندلسيون في بلاد الشام من نهاية لقرن الخامس حتى نهاية القرن التاسع الهجري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2008، ص 216.

[2] - محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 175.

[3] - نفسه، ص 173.

[4] - مختار حساني، المرجع السابق، ص 276.

[5] - علي أحمد، المرجع السابق، ص 216.

[6] - محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 82.

[7] - علي أحمد، المرجع السابق، ص 291، محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 175.

2/النشاط الصناعي:

لقد ظهرت ببلاد المغرب و الأندلس صناعات متنوعة بفضل تنوع المواد الأولية، وأشهر الصناعات: صناعة المنسوجات فقد أنتج الأندلسيون و المغاربة أنواعا عديدة من المنسوجات الحريرية و الصوفية و الكتانية و القطنية[1]. و ذلك راجع لكثرة إنتاج الحرير عن طريق تربية دودة القز للاستفادة من حريرها، و قد اشتهر بذلك كل من قرطبة و مالقة و مرسية و ألمرية[2].

أما المغرب فقد انتقلت إليه تربية دودة القز من الأندلس منذ العهد المرابطي[3] و قد اشتهرت بهذا النوع من الصناعة كل من قابس بافريقية و قد قال عنها البكري واصفا حريرها بأنه « أطيب حرير و أرقه»[4].

و كذلك بجاية التي اشتهرت بإنتاج أنواع مخلفة من الصناعات النسيجية كصناعة الألبسة والعمائم و الشواشي[5].

كما اشتهرت تلمسان أيضا بصناعة النسيج و الملابس الصوفية و أقمشة من حرير[6]، وأيضا صناعة الزرابي ذات الطابع الأندلسي[7].

و قد كان لقدوم المهاجرين الأندلسيين نحو المغرب عامة و المغرب الأدنى خاصة دور في الارتقاء بهذا النوع من الصناعة التي لقيت اهتماما كبيرا من قبل مختلف شرائح المجتمع و حتى النساء كانت لهن مساهمات في صناعة النسيج و خاصة صناعة الزرابي التي كانت تتم داخل البيوت، و قد اشتهرت مدينة تونس بهذا النوع و أيضا بالطربوش المغربي الذي وردت صناعته إلى تونس مع المهاجرين الأندلسيين واستمرت في أعقاب العائلات الأندلسية كما كانت توضع

---

[1]- يحي أبو المعاطي، المرجع السابق، ص 485.

[2]- نفسه، ص 485.

[3]- محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 183.

[4]- البكري، المصدر السابق، ص 17.

[5]- آمنة بوتشيش، بجاية دراسة تاريخية و حضارية ما بين القرنين 6 و 7 هـ/ 12- 13 م، ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، تلمسان، 2007- 2009، ص 49.

[6]- القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص 142.

[7]- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج4، ص 07.

علامة بالخيط الأسود بداخل الطربوش تعبر عن هوية صاحب الصنعة و امتيازه[1]، كما ازدهرت أيضا صناعة "الشاشية" التي كانت موجودة في تونس بصورة جزئية ثم ازدادت تطورا إثر قدوم المهاجرين الأندلسيين خلال القرن الثامن الهجري[2].

و من الصناعات التي مسها التأثير الأندلسي الصناعة الخزفية و التي عرفتها معظم مناطق الأندلس و المغرب - بما فيه المغرب الأدنى- و اهتمت بها كثيرا باعتبارها من إحدى متطلبات الحركة العمرانية التي شهدها البلاد و المتمثلة في بناء المساجد و القصور و المنازل[3] و قد عرفت منطقة المغرب الأدنى هذا النوع من الصناعة منذ العهد الحمادي و خاصة مدينة بجاية، و قد زاد الإنتاج الفني في العهد الموحدي و الحفصي و امتزج بالفنون المشرقية و الأندلسية[4]، ومن مظاهر هذا التأثير دخول صناعة الزليج إلى تونس منذ القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي تحت تأثير الأندلسيين وممن مارس هذه الصناعة في تونس الولي الصالح سيدي قاسم الزليجي[5]، وأهم مراكز هذه الصناعة قفصة وسوسة اللتين اشتهرتا بزجاجهما وأوانيهما الذهبية [6].

كما انتشرت أيضا الصناعة الجلدية بقرطبة و لكنها تلاشت في العصر الموحدي وتصدرت مكانها بجاية التي برع أهلها في صناعة الأحذية مختلفة الأشكال[7]، و لا شك أنها قد ازدادت تطورا بقدوم المهاجرين الأندلسيين بهذه المنطقة، كما استقر البعض منهم في تلمسان عاصمة الدولة الزيانية و برعوا في صناعة الأحذية و السروج و السندال و الطبول و الدفوف[8].

1- عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص- ص 393- 394.

2- روبار برنشيفك، المرجع السابق، ص 242.

3- محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 176.

4- آمنة بوتشيش، المرجع السابق، ص 50.

5- روبار برنشيفك، المرجع السابق، ص 242.

6- نفسه ، ص 243.

7- عزالدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص 230.

8- بلعربي خالد، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان، ط1، مطبعة تلمسان، 2005، ص 169.

3/النشاط التجاري:

كان للتبادل التجاري بين دول المغرب و الأندلس خاصة في ظل الوحدة السياسية التي جمعت بين العدوتين في عهد المرابطين و الموحدين أثر فعال في تكييف الاقتصاد المغربي و توسيع موارده و مصادره[1]، و قد ازدهر هذا التبادل التجاري بين العدوتين بفضل وجود الموانئ الكبرى التي لعبت دورا هاما في انتعاش الحركة التجارية بنقل السلع المتبادلة و سنتطرق إلى أهم الموانئ في كل من الأندلس و المغرب الأدنى.

موانئ الأندلس:

– ألمرية:

اشتق اسم ألمرية من المرأى أو المحرس إذ كانت تتخذ مرأى و محرسا بحريا لمدينة بجانة القريبة منها[2] أنشأها الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة 344 هـ/ 955 م [3].

وتعتبر ألمرية أكبر مركز تجاري منذ عصر الخلافة حتى وصفت بأنها " باب الشرق ومفتاح الرزق"[4] و كانت مقصدا لمراكب البحر و التجار من جميع الجهات و لم يكن بالأندلس كلها أيسر من أهلها مالا و لا أتجر منهم في الصناعات و أصناف التجارات تصريفا و ادخارا[5].

---

[1]– محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 194.

[2]– عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية قاعدة مدينة ألمرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت، 1969، ص 19.

[3]– الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص 538.

[4]– يحي أبو المعاطي، المرجع السابق، ص 544.

[5]– الإدريسي، القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص 300.

- مالقة:

تقع مدينة مالقة جنوب الأندلس ضمن إقليم الأندلس الشرقي الذي كان يضم بالإضافة إلى مالقة ألمرية و جيان[1]

و تعتبر مالقة من القواعد التجارية التي تقصدها المراكب و التجار بكثرة لوفرة انتاجها الزراعي و نشاطها الصناعي و وصلت منتجاتها إلى مصر و الشام و العراق و الهند و الصين[2] ومن أهم صادراتها التين[3] و قد أورد عنها المقري فقال: "و مالقة في صنعة الوشي ثالثة، و قد اختصت بالسبط التنتلية التي تسفر لبلاد المشرق و بالحصر التي تغلب بها الحيطان المبهجة للبصر"[4] و قد سقط هذه المدينة في يد النصارى سنة 892 هـ / 1487 م[5].

- المنكب:

تقع هذه المدينة أو الحصن على ساحل البحر الرومي (البحر الأبيض المتوسط) بين ألمرية ومالقة، و قد اشتهرت خاصة بصيد السمك[6] و كان بها دار لصناعة السفن[7] و يعد ميناؤها من أهم الموانئ الأندلسية إذ يحتل مكانة خاصة من حيث قربه من العاصمة غرناطة بحوالي أربعين ميلا[8].

---

[1] Philippe Aragua, bruie et architecture dans l'Espagne médiévale (12- 15 siècle) casa de valazquez, MADRID, 2003, p 145- 146.

[2]- الحميري، الروض، المصدر السابق، ص518، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 43، لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج3، ص 271.

[3]- إسماعيل سامعي، المرجع السابق، ص 94.

[4]- المقري ، نفح الطيب، المصدر السابق، ج3، ص 221 .

[5]- عبد العزيز سا لم، تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية، المرجع السابق، ص 105.

[6]- الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص 291.

[7]- القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص218.

[8]- ابن الخطيب، الإحاطة ، المصدر السابق، ج3، ص- ص 413-414، الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 216.

موانئ المغرب الأدنى:

– **طرابلس:**

مدينة متاخمة للصحراء يتوسط موقعها تونس و الإسكندرية اتسمت برواج تجاري كبير لسعة مينائها، كما أن أحواضها البحرية مجهزة لصناعة السفن و إصلاحها[1].

– **المهدية:**

هذه المدينة عبارة عن شبه جزيرة لها مرسى مغلق يتم الولوج إليه من بوابة في صور المدينة جهة البحر يتم حفظ السفن الصغيرة ومتوسطة الحجم داخل هذا الحوض وإصلاحها و للمدينة مرسى آخر ترسو فيه السفن الكبيرة[2].

تونس:

تقع هذه المدينة على سفح جبل متوسط الارتفاع يعرف بجبل أم عمور يدور بها خندق حصين و تحجب المدينة عن البحر بحيرة تستمد ماءها منه و تشكل ملجأ أمينا للسفن من الرياح العكسية و الأمواج العاتية، و في ذات الوقت حصنا متقدما لحماية المدينة من الأخطار التي يمكن أن تأتي من البحر[3].

–بجاية :

يعتبر ميناء بجاية من أكبر موانئ بلاد المغرب الأندلس لأن بجاية كانت ثاني أكبر مدينة حفصية بعد تونس و يتميز ميناؤها بحصانته الطبيعية و قدرته على استقبال عدد كبير من السفن على اختلاف أحجامها بالإضافة إلى وجود الوادي الكبير على مقربة من المدينة فكان يساهم في حماية السفن من العواصف[4].

و قد استقبلت هذه المدن العديد من المهاجرين الأندلسيين كما كانت موانئها مقصدا للتجار الاندلسيين و غيرهم، و يعتبر النشاط التجاري من اكثر الانشطة الإقتصادية التي

---

[1]– مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج3، ص- ص 120-124.

[2]– نفسه، ص- ص 70-71.

[3]– الحموي، المصدر السابق، ج2، ص- ص 60-61.

[4]– مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص- ص 376-377.

استهوت المهاجرين الأندلسيين مقارنة بالنشاطين السابقين و السبب في ذلك راجع إلى عاملين:

أولهما أن التجارة كانت أكثر الحرف عودا على أصحابها بالأرباح الطائلة[1]، بينما كانت الفلاحة حسب تعبير ابن خلدون من معاش المستضعفين و أهل العافية من البدو[2].

و ثانيهما معرفة المهاجرين بالمسالك التجارية و خبرتهم بالبلاد المسيحية التي تجري معها المبادلات أهلتهم للغوض في هذا المجال[3]، و من بين هؤلاء المهاجرين الأندلسيين الذين اشتغلوا بالتجارة الحاج أبو القاسم البنيولي الغرناطي الأندلسي الذي استقر بتونس و مارس التجارة حيث صار تاجرا عظيما و ارتقى إلى رتبة كبير التجار[4].

و الجدير بالذكر أن المبادلات التجارية لم تتأثر بالصراع السياسي بين دول المغرب فقد كانت القوافل التجارية تتمتع بالأمن و تنتقل من بجاية نحو تلمسان عاصمة الدولة الزيانية، ثم تتجه إلى فاس عاصمة الدولة المرينية[5]، كما نشطت الحركة التجارية مع السودان الغربي[6] فانتقلت القوافل نحو الواحات الصحراوية و منها إلى السودان الغربي و كانت تعود محملة بالذهب و العاج و العبيد[7].

1- محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 82.

2- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 398.

3- محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 82.

4- نفسه، ص 79.

5- مختار حساني، المرجع السابق، ص 286.

6- يعد العرب أول من أطلق كلمة السودان على الأقوام التي سكنت جنوب الصحراء الكبرى يحدها من الشمال الصحراء الإفريقية الكبرى،ينقسم إلى ثلاثة أقسام: السوداء الشرقي والسودان الأوسط والسودان الغربي وهذا الأخير يطلق عليه اسم إفريقيا الغربية التي تقع إلى الجنوب من إفريقيا العربية يحدها شرقا بحرية تشاد وغربا المحيط الأطلسي وجنوبا خليج غانا، ينظر: بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص35.

7- مختار حساني، المرجع السابق، ص 286.

و قد كانت الدولة الحفصية تميل في معاملاتها الاقتصادية إلى المشرق الإسلامي و خاصة الإسكندرية[1] و إلى الأندلس و يفسر ابن خلدون ذلك بحكم القرب الجغرافي بين مصر وتونس ثم بحكم الجلاء من شرق الأندلس خاصة في المائة السابعة[2]، و لم تقتصر عمليات التبادل التجاري على الدول المذكورة بل شملت أيضا الدول الأوروبية و خاصة مملكة أراغون، و مما سهل تلك العمليات وجود الفنادق التي استقبلت تجار أراغون في مختلف أنحاء الدولة الحفصية و منها بجاية، فقد أشارت إحدى الوثائق التي تناولت الوجود المسيحي ببجاية أن أقدم فندق بها يرجع إلى سنة 656هـ/1259 م وكان يضم مجموعة من التجار الأراغونيين[3].

كما ارتبطت الدولة الحفصية مع الدولة الأروبية بالعديد من المعاهدات التجارية، و منها تلك العاهدة التي أبرمت بين مملكة أراغون و إمارة بجاية سنة 709هـ/1309م حددت بخمس سنوات من تاريخها و نصت على السماح للأراغونيين بحرية المبادلات التجارية في الموانئ التابعة لبجاية و ميورقة.

و قد كان ليهود ميورقة دور في النشاط التجاري حيث تشير الدراسات التاريخية إلى تواجد العنصر اليهودي ببجاية[4] وكان هؤلاء يحتكرون المبادلات التجارية بين ميورقة ودول المغرب الإسلامي.

1- الإسكندرية، مدينة عظيمة من ديار مصر بناها الإسكندر بن قليش فنسبت إليه ، تقع على البحر الأبيض المتوسط عليها حصن منيع وهي بلد شريف كثير الصالحين و المتعبدين، ينظر: الحميري، الروض، المصدر السابق، ص 54، المقدسي، المصدر السابق، ص ص 196-197

2- ابن خلدون، المقدمة ، المصدر السابق، ص 407.

3- مختار الحساني، المرجع السابق، ص 286.

4 -Marc Gote, paysage et patrimoine, Guide d'Algérie, maison de la culture, constantine , 1996, P 126 .

رابعا: التأثير الأندلسي في المجال الاجتماعي:

إن الجالية الأندلسية التي حلت بالمغرب الأدنى و غيره من المناطق كانت تشعر بوجود خصائص حضارية و اجتماعية تميزها عن غيرها من سكان المناطق التي استقروا بها مما حال دون انصهارها في المجتمع الجديد[1].

و من بين تلك الخصوصيات الاجتماعية اهتمامهم الكبير بشكلهم و أناقتهم حتى قال فيهم لسان الدين بن الخطيب: "كأنهم الأزهار المفتحة في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة"[2]، كما اشتهروا بألبسة معينة من بينها: الملف و هو قطعة من القماش تلف حول نصف الجسد الأعلى و يطرح طرف منها على الكتف و هي ملونة و تختلف ألوانها بحسب الثروة و المكانة، كما كانوا يلبسون اللباس المغربي و المعروف اليوم بالجلابة[3].

أما النساء فكن يبالغن في التفنن بزينتهن و يتنافسن في اقتناء الحلي و أنواع الجواهر[4]، وعرف عن الأندلسيين كذلك العناية بنظافة أجسامهم و ثيابهم[5] لدرجة أنه كان البعض منهم يبيع كل ما عنده ليقتات به في ذلك اليوم وليشتري به صابونا يغسل به ثيابه و عرفوا أيضا بالاحتياط و حسن التدبير في المعاش، و حفظ ما كان بأيديهم خوف ذل السؤال، و لذلك كثير ما كانوا يوصفون بالبخل[6].

1- محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 78. محمد رزوق، المرجع السابق، ص 45.

2- ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ص 35.

3- حسين مؤنس، غرناطة تحفة من تحف الفن و عجيبة من عجائب التاريخ، مجلة العربي، العدد 89، الكويت، ص 70.

4- ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ص 38.

5- أبو حامد الأندلسي، تحفة الألباب و نخبة الإعجاب، تحقيق: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989، ص62.

6- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص 183، عادل سامعي، المرجع السابق، ص 102.

و بعد الهجرات الأندلسية المتتالية نحو المغرب عامة و المغرب الأدنى بصفة خاصة واستقرارهم في مواطنهم الجديدة بقوا محتفظين بتلك العادات و محافظين على نمط حياتهم ومعيشتهم فقد كانوا يشعرون باهم في بلد انتقلوا إليه اضطرارا لا اختيارا واهم في مجتمع اقل منهم تحضرا واستمر ذلك الاحتفاظ بالذات والسمات والخصائص وحتى في أسمائهم الأندلسية بعد عشرات السنين من هجرتهم بل عدة قرون[1].

و مما يؤكد ذلك المؤرخون المعاصرون لتلك الفترة مثل: عبد الباسط بن خليل صاحب كتاب الروض الباسم في حوادث العمر و التراجم، و قد نزل هذا الرحالة في تونس 22 ذو القعدة 866هـ/18أوت 1462م و حضر حفلا أقامه التاجر أبو القاسم البنيولي بمناسبة رجوع الحجيج من مكة في مكان يعرف برأس الطابية[2] و هو أحد منتزهات ملوك تونس[3]، وفي اختيار هذا المكان دلالة على شغف أهل الأندلس بالطبيعة و المياه الجارية و بموسيقى النسيم وروح الشوق إلى منتزهات الأندلس[4].

و قد دعى إلى هذا الحفل أعيان و أهل الأندلس من التجار و الحجيج المعروفون بسيماهم و المتميزون بشمائلهم و أنسابهم[5]، و كما كان هذا الحفل أندلسيا بمكانه و أهله كان أيضا أندلسي المأكل فقد قدمت للمدعوين أكلات أندلسية مثل: المجبنة[6].

---

[1]- محمد الطالبي، المرجع السابق، ص- ص 78-79.

[2]- و قد أنشأ قصر رأس الطابية وحدائقه الخليفة المستنصر 647- 675هـ/ 1249- 1277م و جلب إليه مياه زغوان عن طريق الحنايا التي ما زالت إلى اليوم آثارها ماثلة و ربط حدائقه بقصبة تونس عن طريق ممر بين جدارين ينظر: الزركشي، المصدر السابق، ص 100، العبدري، المصدر السابق، ص 36.

[3]- محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 79.

[4]- و من بين منتزهات الأندلس الرائعة منتزهات قرطبة و اشبيلية و مالقة و غيرها، ينظر، عادل سامعي، المرجع السابق، ص- ص 120- 124.

[5]- محمد رزوق، المرجع السابق، ص 46.

[6]- محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 81.

خاتمة

إن الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب تعود جذورها إلى زمن مبكر ، إلاّ أنّها بدأت تزداد بشكل جليّ مع مطلع القرن السابع الهجري الذي عرف تدهورا سياسيا شديدا ساد الأندلس وتمثل هذا التدهور في اشتداد حروب الاسترداد النصرانية و سقوط معظم المدن الأندلسية في يد النصارى خاصة المدن التي كانت في وقت ما من أهم حواضر العالم الإسلامي كقرطبة و اشبيلية وغيرها، و آخر هذه المدن غرناطة التي سقطت نتيجة لتدهور الأوضاع السياسية و ما عرفته من صراعات كانت تعيشها دولة بني نصر للظفر بالسلطة أدّت ببعض الحكام إلى عقد تحالفات واتفاقيات تخدم مصلحة العدو.

و في ظل هذه الأوضاع السياسية المتردية و التي أثرت بصورة مباشرة على تدهور الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية اضطر كثير من الأندلسيين إلى ترك مدنهم و مواطنهم الأصلية و الهجرة نحو المغرب بصفة عامة و المغرب الأدنى بصفة خاصة والذي كان في تلك الفترة تحت حكم بني حفص ، و قد فضل الأندلسيون الإقامة به لعدة عوامل أهمها الاستقرار النّسبي الذي كانت تتمتع به المنطقة مما جعلها ملاذا لهؤلاء المهاجرين ، كما أنّها كانت محطة عبور للمهاجرين الّذين فضّلوا مواصلة طريقهم نحو المشرق .

وممّا يمكن الوقوف عليه أنّه بالرّغم من الظروف السياسية الصعبة التي مرّ بها كلّ من المغرب الأدنى والأندلس من القرن السابع الهجري إلى التاسع الهجري إلاّ أنّ ذلك لم يؤثر على الواقع الثقافي للبلدين بفضل اهتمام الحكام بالعلم والعلماء ، ومن مظاهر ذلك الاهتمام إنشاء المؤسسات الثّقافية المتمثلة في المدارس و المساجد والتي كانت مراكز لإقامة الطلبة الذين يقصدونها من مختلف مناطق المغرب الإسلامي ، وقد ساهمت هذه المؤسسات في تنشيط حلقات العلم والمناظرات بين العلماء مما نتج عنه ازدهار العلوم النّقلية والعقلية فبرز العديد من العلماء الذين اختصوا بالعلوم النّقلية بالنّظر إلى أهميتها الدينية والدنيوية .

و مما يمكن استخلاصه عموما أن الهجرة الأندلسية ضمت في صفوفها أعدادا كبيرة من العلماء و الأدباء و الفقهاء إضافة إلى عمال الزراعة و الحرفيين و المعماريين و قد ساهم هؤلاء المهاجرون بمختلف فئاتهم في الازدهار الحضاري للمغرب الأدنى فمنهم من دخلوا إلى البلاط الحفصي و اتصلوا بصفة مباشرة بأمراء الدولة الحفصية و أصبحوا من ذوي الرأي و المشورة، ومنهم من شغل مناصب مهمة في الدولة بتشجيع من الحكام الحفصيين و من أهم هذه المناصب

الحجابة و الكتابة و القضاء و بهذا أصبحوا يمثلون النخبة السياسية و الدبلوماسية في المجتمع الحفصي و الفئة المسيطرة على دواليب الحكم و الاقتصاد و استطاعوا امتلاك ثروات طائلة واختصوا ببعض الحرف و الصناعة كصناعة الجلود و الصناعة النسيجية كما اهتم أغلبيتهم بالتجارة.

و كان لعلماء الأندلس الذين استقروا بالحواضر الحفصية دور بارز في مختلف المجالات الثقافية بالخصوص وبدا تأثيرهم بشكل واضح في مجال التعليم إذ نقلوا طريقتهم الخاصة و المتطورة إلى بلاد المغرب الأدنى من خلال اشتغال معظمهم بمهنة التدريس سواء في المدارس و الجوامع الكبرى أو في المساجد الصغيرة المتواجدة في مختلف مناطق المغرب الأدنى ، كما أثروا أيضا في الحركة الأدبية إذ تأثر أدباء المغرب الأدنى بأدباء الأندلس في نظم الشعر و كتابة النثر الأدبي ، بالإضافة إلى التأثير في الجانبين الفني و المعماري و يظهر ذلك جليا من خلال الفن الموسيقي إذ ساهم موسيقيو الأندلس بشكل واضح في تطوير الموسيقى في المغرب و لا يزال عمق هذا التأثير واضحا إلى حد الآن و خير دليل على ذلك ازدهار فن الموشحات الذي تتميز به كل من تلمسان و بجاية.

أما فيما يخص الحياة الاجتماعية فالملاحظ من خلال الدراسة أن الأندلسيون فضلوا الاحتفاظ بخصوصياتهم و عاداتهم و تقاليدهم و مميزاتهم مما لم يسمح بوجود تأثير بارز في هذا المجال.

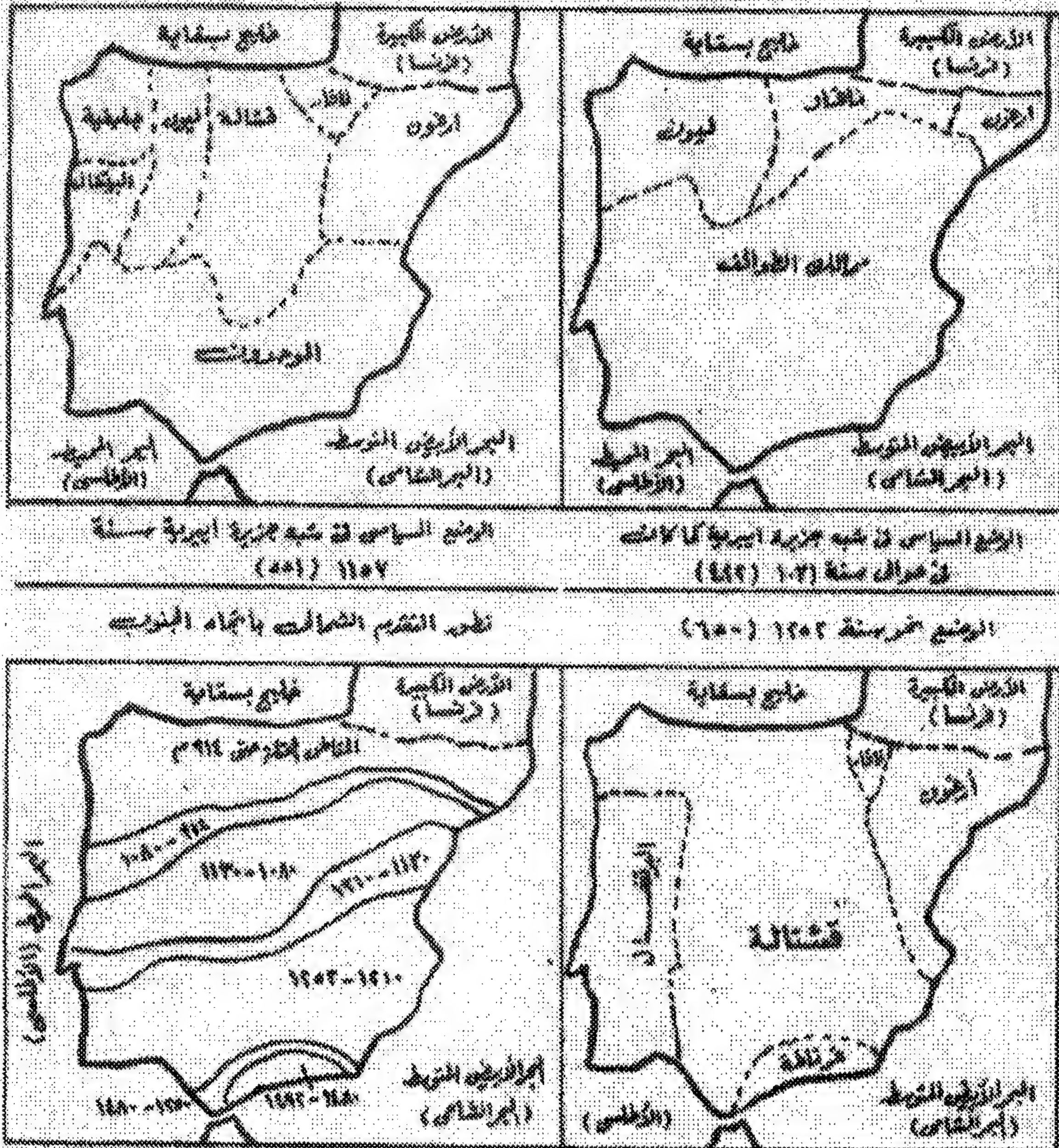
و يمكن القول بأن الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب الأدنى خلال العهد الحفصي أو حتى قبل ذلك لعبت أدوارا هامة في الازدهار الحضاري في شتى المجالات السياسية و الاقتصادية والاجتماعية و الثقافية و ذلك بالرغم من تدهور الأوضاع السياسية في كل من المغرب و الأندلس لأن المغرب لم يكن بمعزل عن ما يدور من أحداث في الأندلس و مما يؤكد ذلك هو انتقال الهجمات المسيحية و توسعها نحو الشمال الإفريقي بهدف مطاردة المسلمين مباشرة بعد سقوط غرناطة.

و يبقى موضوع الهجرة الأندلسية مجالا خصبا للدراسة و البحث من خلال التطرق لوجهات أخرى هاجر إليها مسلمو الأندلس كالمغرب الأقصى و الأوسط و حتى بلاد الشام.

ملاحق

الملحق رقم 01

مراحل انحصار السلطة العربية في الأندلس*



---

* عادل سعيد بشتاوي، المرجع السابق، ص 70.

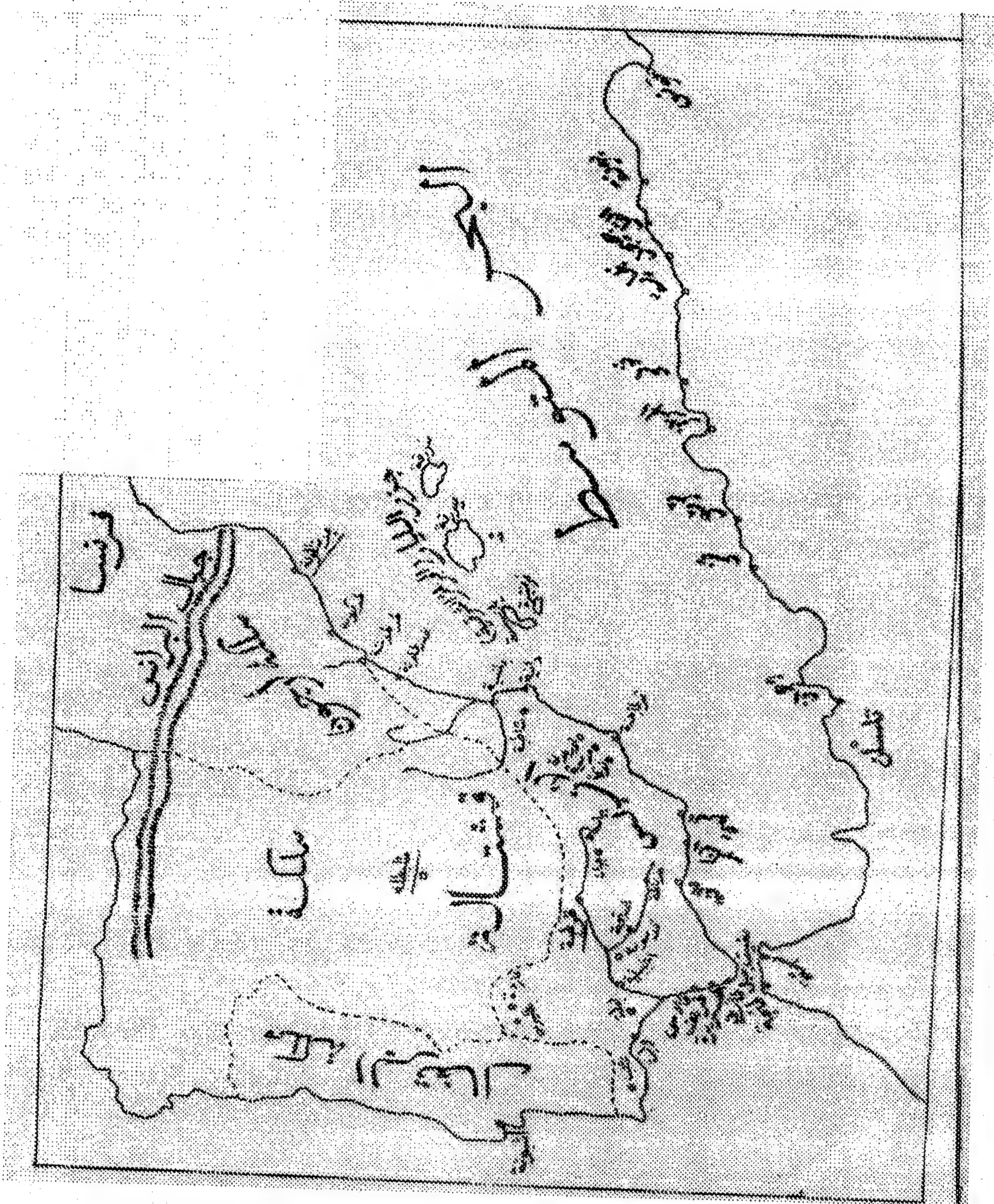
الملحق رقم 02

الحدود و العواصم السياسية للدويلات التي قامت بالمغرب بعد سقوط الدولة الموحدية*

* عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص 61.

الملحق رقم 03

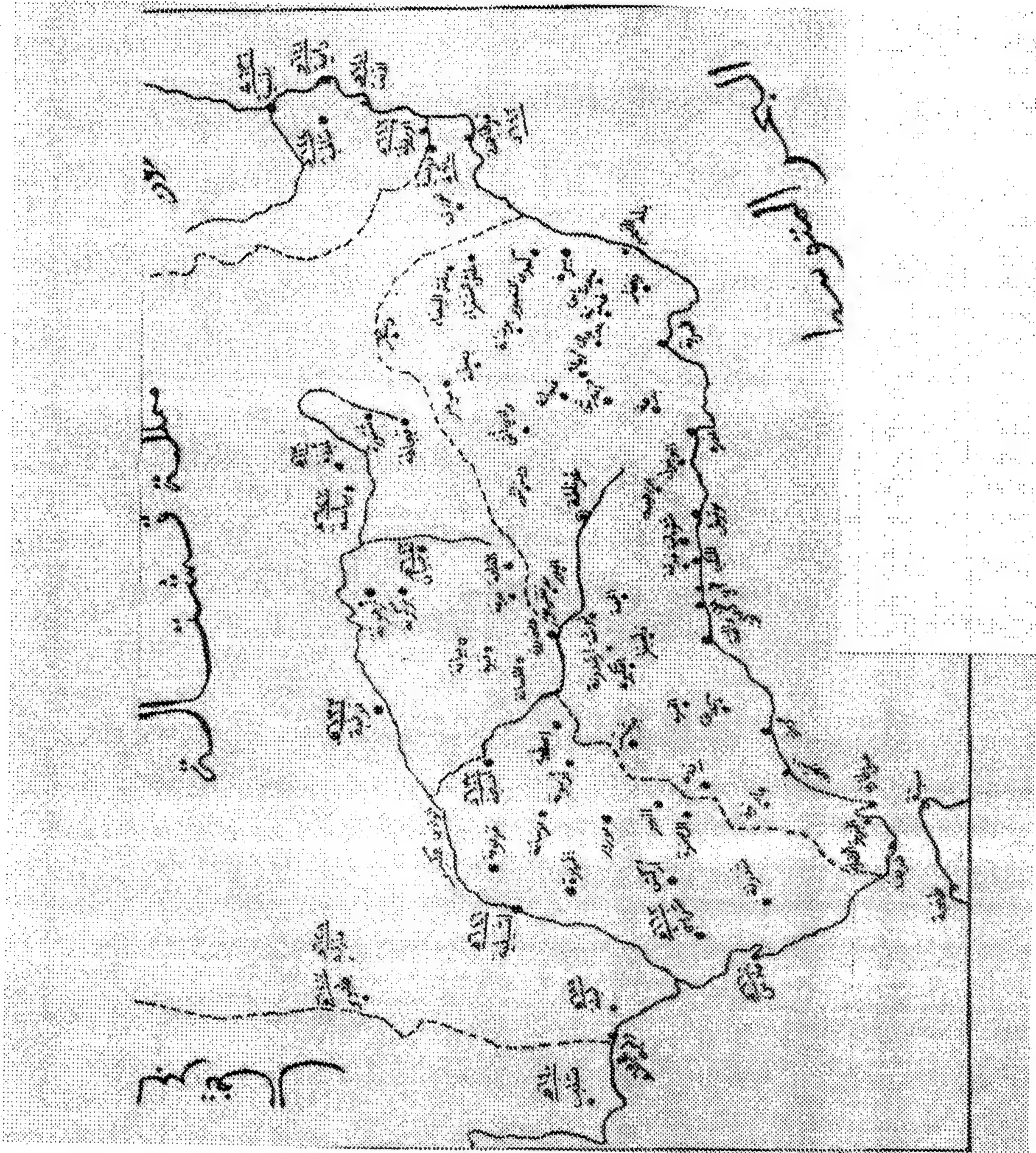
الأندلس والممالك النصرانية أوائل القرن 7هـ/ 13م*



* عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص 253.

الملحق رقم 04

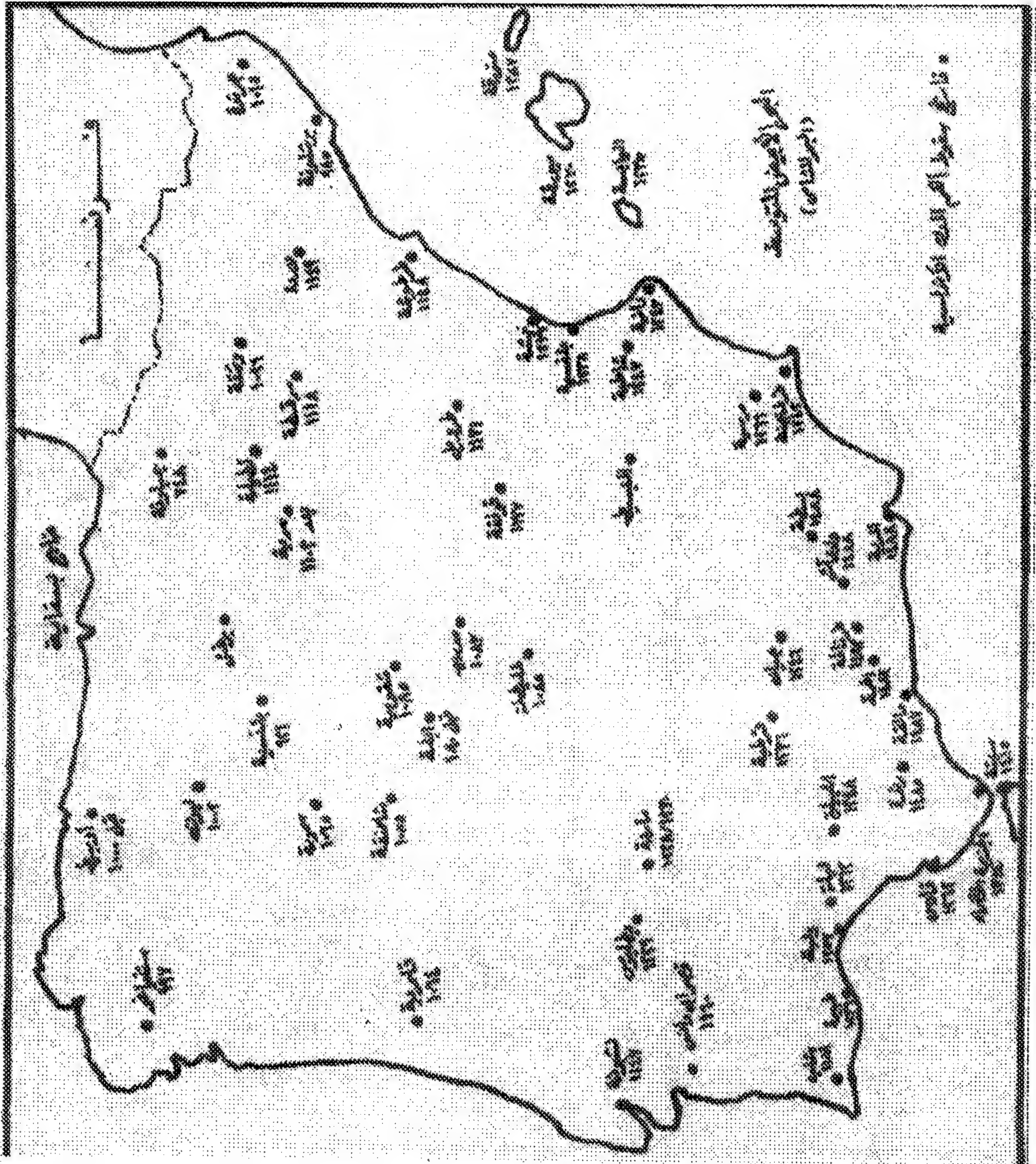
دولة بني الأحمر في الأندلس*



* عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص 271.

الملحق رقم 05

*تواريخ سقوط أهم المدن الأندلسية



* عادل سعيد بشتاوي، المرجع السابق، ص 90.

الملحق رقم 06

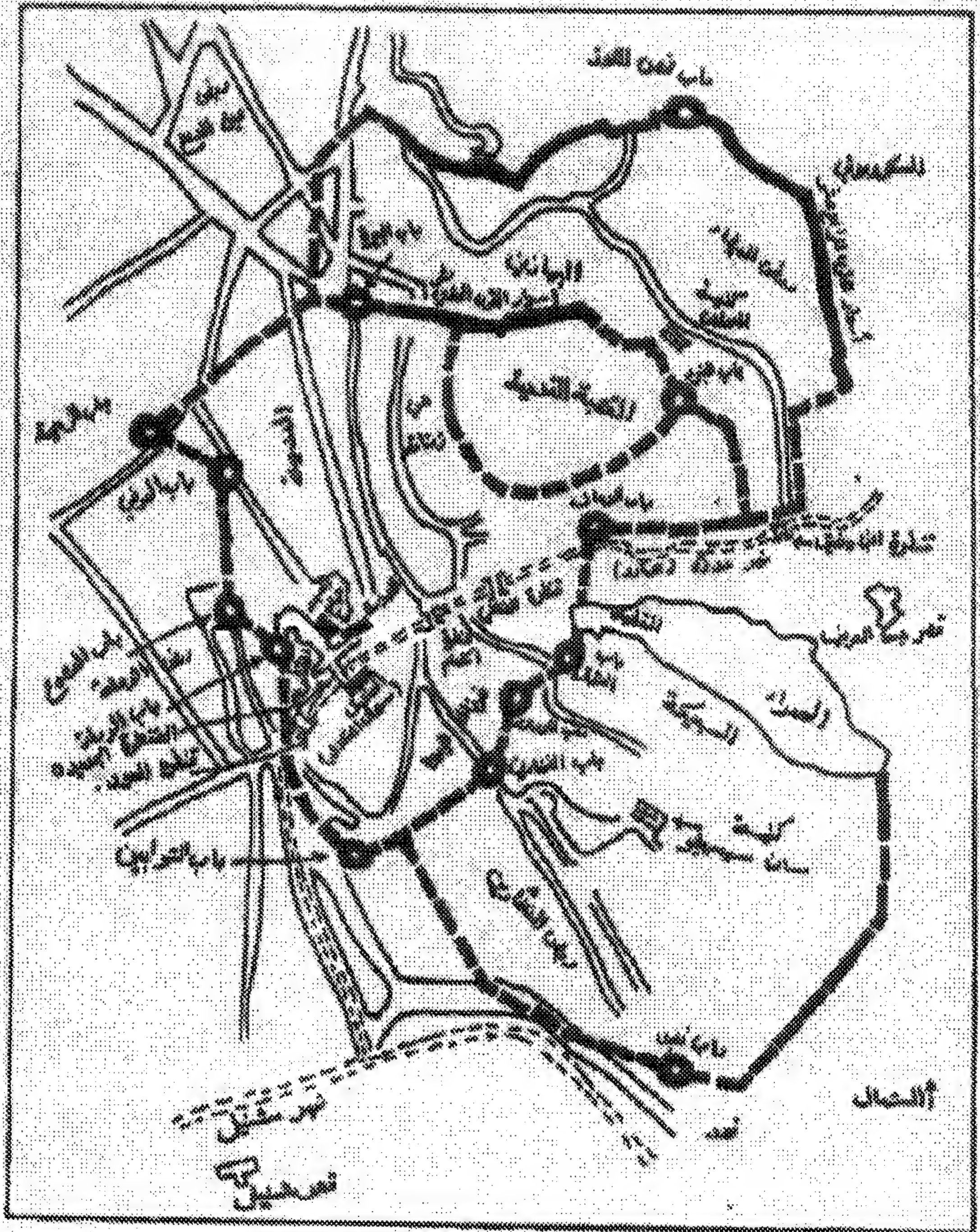
ملوك بني الأحمر*

---

* المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج8، ص492.

الملحق رقم 07

مدينة غرناطة أيام بني الأحمر*

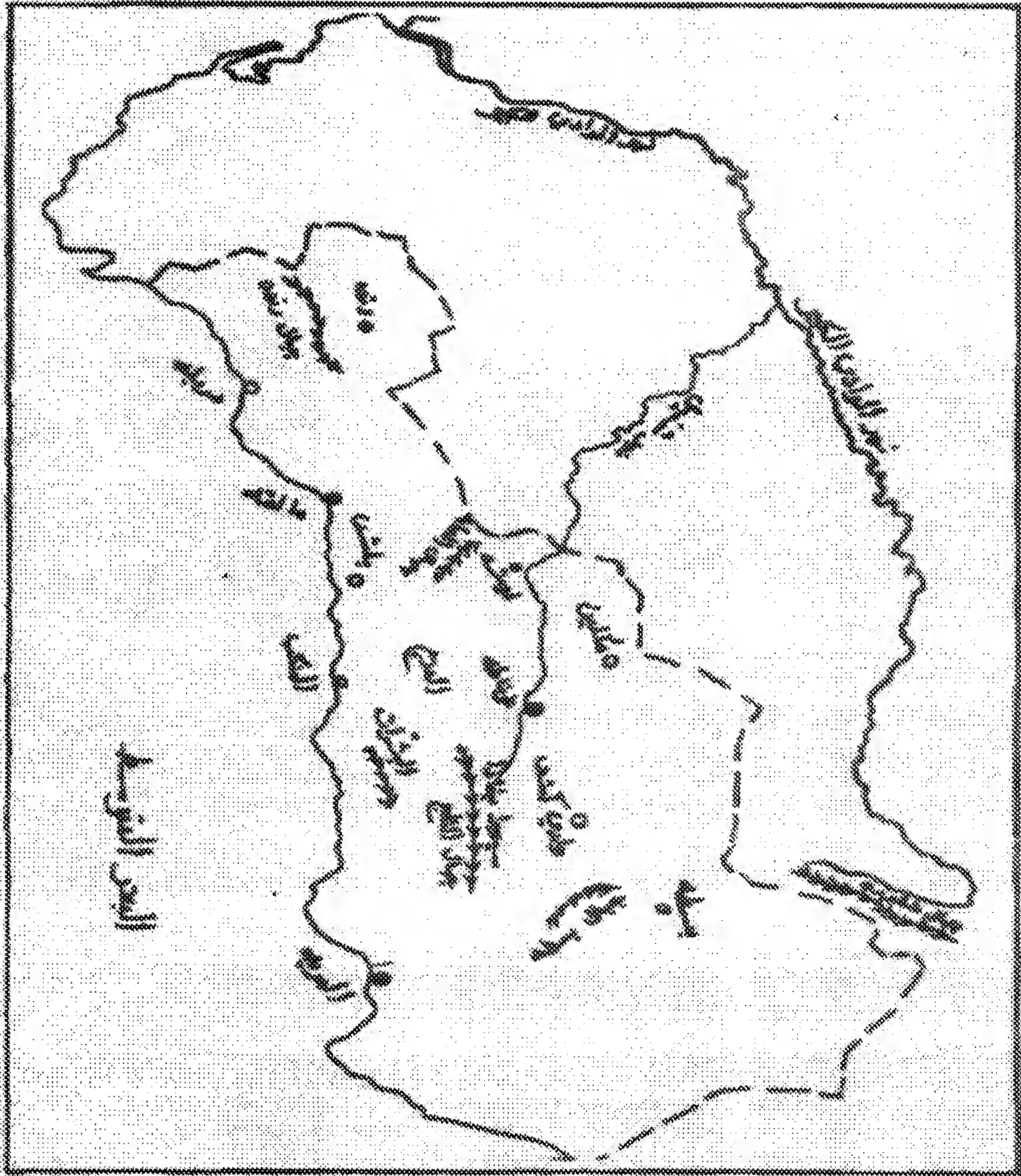


---

* يوسف شكري فرحات، المرجع السابق، ص 177.

الملحق رقم 08

مملكة غرناطة بعد سنة 886هـ/1481م*



* يوسف شري فرحات ، المرجع السابق، ص 49

الملحق رقم 09

ذيل المعاهدة النهائية التي عقدت بين الملكين الكاثوليكيين وأبي عبد الله الزغل بتاريخ 10 إفريل 1493م، وفيها يتعهد ببيع أملاكه ومغادرة إسبانيا نهائيا، وقد ذيل عليها أبو عبد الله بالقبول وبصمها بخاتمه بتاريخ 23 رمضان 898هـ*.



* محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية، المرجع السابق، ص 373.

الملحق رقم 10

مقتطف من قصيدة للشاعر أبن الآبار في رثاء مدينة بلنسية، وقد كتبها إلى السلطان الحفصي ابي زكريا

أدرك بخيلك خيـــل الله أندلســا إن السبيل إلى منجاقـــا درســا

وهب لها من عزيز النصر ما التمست فلم يزل منك عـــز النصر ملتمســا

وحـــاش ممـــا تعانيـــه حشاشتها فطالمـــا ذاقت البلوى صباح مســا

يا للجزيرة أضحـــى أهلها جزرا للحادثـــات وأمســـى حدها تعســا

في كـــل شارقة إلمـــام بـــائقـــة يعود مأتمها عند العـــدا عرســـا

وكـــل غـــاربـــة إجحاف نائبـــة تثني الأمـــان حـــذارا والسرور أسا

تقاسم الـــروم لا نالـــت مقاسمهم و لا عقائلها المحجوبة الأنســـا

وفـــي بلنسيـــة منهـــا قرطبة مـــا ينسف النفس ومـــا يترف النفسا

مدائن حلهـــا الأشـــراك مبتسمـــا خـــذلان وارتحل الإيمـــان مبتئسـا

يا للمساجد عـــادت للعدا بيعـــا وللنداء غدا أثناءها جرســـا

لهفي عليها إلى إسترجـــاع فائتهـــا مدارســـا للمثاني أصبحت درســـا

صل حبلها ايها المولى الرحيم ، فمـــا أبقى المراس لها حبـــلا ولا مرســا

وأحيي ما طمست منها العداة كمـــا أحييت من دعوة المهدي ما طمســا

هذي رسائلها تدعوك مـــن كتب وانت افضـــل مرجو لمـــن يئســا

تا الله إن الذي ترجى السعود لــه　　مــا جال في خلد يوما ولا هجسـا

إمـــارة يحمل المقدار رايتها　　ودولـة عزها يستصحب القعسـا

يا أيهـا المنصور أنت لها　　علياء توسـع أعداء الهدى تعسـا

وقد توالت الأنباء أنــك مــن　　يحي يحيي بقتل ملوك الصفر أندلسـا

طهــر بلادك منهم إنهم نــجس　　ولا طهــارة ما لم تغسل النجسـا

وأضرب لها موعدا بالفتح ترقبه　　لعل يوم الأعادي قد أنى وعسـا*

---

* إبن خلدون، العبر ، المصدر السابق ،ج6 ، ص ص 388-390،المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج 4، ص 457-460.

الملحق رقم 11

مقتطف من رسالة كتبها ابن الآبار إلى زميله أبي المطرف حين سقطت مدينة بلنسية سنة

636هـ/1236م يرثي فيها مدن الأندلس

"أين **بلنسية** ومغانيها، وأغاريد رقها وأغانيها، أين حلى رصافتها وجسرها، ومترلا عطاءها ونصرها ، أين أفياؤها تندى غضارة وذكائدها تبدو من خضارة؟ أين جداولها الطفاحة وخمائلها ؟ أين جنائنها النفاحة وشمائلها ؟شذّ ما عطل من قلائد أزهارها نحرها وخلعت شعشعانية ضحاها بحيرتها وبحرها....ويا **لشطيبة** وبطائحا، ومن حيف الأيام وأنحائها ولهفاه ثم لهفاه على **تدمير** وتلاعها، **وجيان** وقلاعها **وقرطبة** ونواديها، **وحمص** وواديها، كلها رعي كلؤها، ودهي بالتفريق والتمزيق ملؤها ، وتلك **ألبيرة** بصدد البوار **ورية** في مثل حلقة السوار ،ولا مرية في **ألميرة** وخفضها على الجوار إلى بنيات ،لواحق بالأمهات ونواطق بهاك لأول هاتف بهات ....وما لأندلس أصيبت بأشرافها ونقصت من أطرافها ، وقوض عن صوامعها الأذان وصمت النواقيس فيها الأذان، أجنت مالم تجن الأصقاع؟ أعقت الحق فحاق بها الإيقاع؟ كلا بل دانت السنة ، وكانت من البدع في أحصن جنة ...."* .

---

*المقري، نفح الطيب ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 497-498.

الملحق رقم 12

مقتطف من الفتوى التي أصدرها الفقيه أبو العباس الونشريسي وافتى فيها بوجوب الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام.

"إن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة ،وكذلك الهجرة من أرض الحرام والباطل بظلم أو فتنة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن " أخرجه البخاري والموطأ وأبو داود والنسائي، وقد روى أشهب عن مالك :لا يقيم احد في موضع يُعمل فيه بغير الحق.قال في العارضة فإن قيل فإذا لم يوجد بلد إلا كذلك ؟ قلنا يختار المرء أقلها إثما مثل أن يكون بلد فيه كبرٌ وبلد فيه جورٌ خير منه أو بلد فيه عدل وحرامٌ وبلد فيه جورٌ وحلال خير منه للمقام، أو بلد فيه معاص في حقوق الله فهو أولى من بلد فيه معاص في مظالم العباد وهذا الأنموذج دليل على ما رواه، وقد قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فلان بالمدينة وفلان بمكة وفلان باليمن وفلان بالعراق وفلان بالشام امتلأت الأرض و الله جورًا وظلما انتهى "* .

* الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج2 ،ص 121.

الملحق رقم 13

الصفحة الثانية من نسخة أسنى المتاجر الموجودة ضمن كتاب المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى علماء إفريقيا و الأندلس والمغرب للونشريسي*

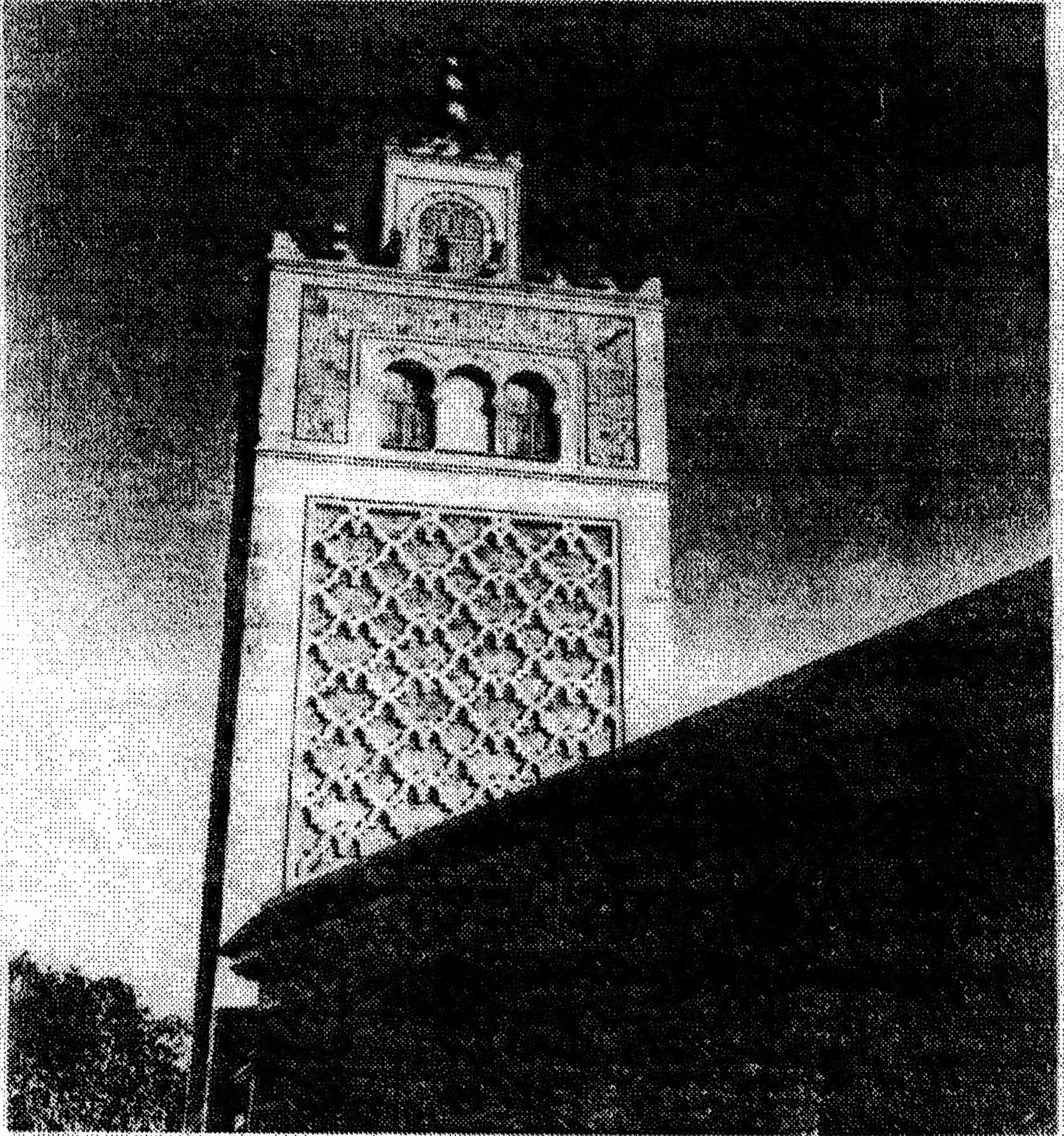


* الونشريسي، أسنى المتاجر، المصدر السابق، ص 71.

جامع قرطبة: الجناح القديم الذي أنشأه عبد الرحمن الداخل وولده هشام سنة (170هـ-

الملحق رقم 15

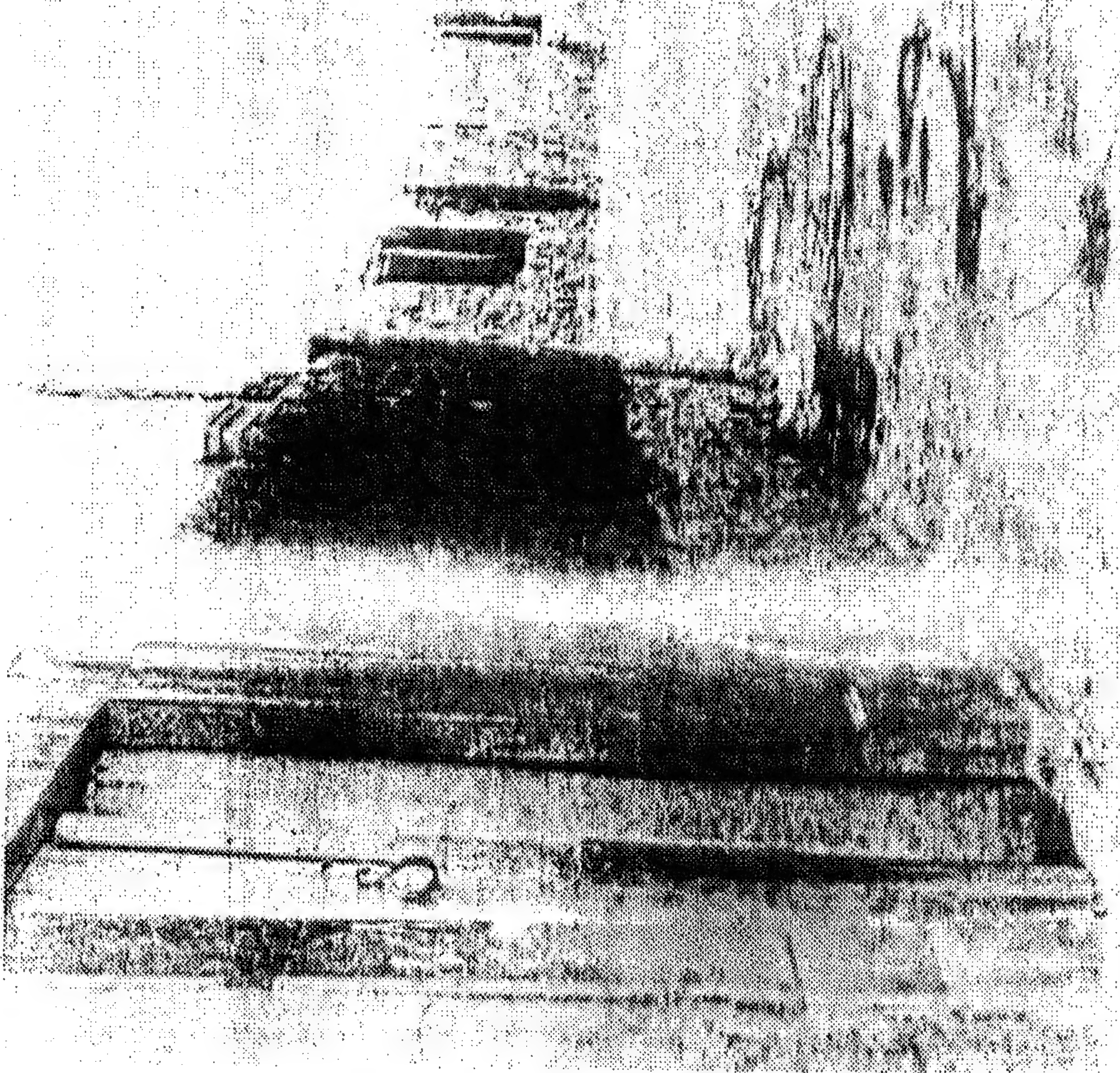
جامع القصبة بتونس بناه أبو زكريا الأول *



* محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 131

الملحق رقم16

المدرسة المستنصرية التي أقام بها القلصادي سنة ونصف وأخذ بها عن الكثير من العلماء*.



* القلصادي، المصدر السابق، ص 113.

البيبليوغرافيا:

*القرآن الكريم.

1/المصادر:

- ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني ت 1110هـ/1698م)، **المؤنس في أخبار إفريقية و تونس**، تحقيق: محمد شمام، الطبعة الثالثة، المكتبة العتيقة، تونس ، (د ت).
- ابن أبي زرع (علي بن محمد الفاسي ت 726هـ/1316م)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس**، تحقيق: عبد الوهاب منصور، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1972.
- ابن الآبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر البلنسي ت 658هـ/ 1260م)، **التكملة لكتاب الصلة**، تعليق: ألفريد بيل، ابن أبي شنب، المطبعة الشرقية، الجزائر، 1920.
- (ــــــ، ــــــ) ، **الحلة اليسراء** ، تحقيق: حسين مؤنس، الجزء الثالث ، دار المعارف، القاهرة، (د،ت).
- ابن الأثير (عزالدين أبي الحسن الجزري ت630هـ/1232م)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: خليل مؤمن شيخا، الطبعة الأولى، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت، 1997.
- (ــــــ، ــــــ) ، **الكامل في التاريخ**، الجزء الثالث، الطبعة الرابعة، دار الكتاب العربي، بيروت، (د ت).
- ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الغرناطي ت 807هـ/1404م)، **روضة النسرين في دولة بني مرين**، مطبوعات القصر الملكي، الرباط، 1962.
- (ــــــ، ــــــ) ، **نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان**، تحقيق: أحمد رضوان الداية، دار الثقافة للطباعة و النشر، بيروت، 1980.
- ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السليماني: ت 776هـ/1374م)، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق: ليفي برفنسال، دار المكشوف، بيروت، 1956.

- (ـــــــ، ـــــــ) ، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمد عبد الله عنان، المجلد الثاني، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1984.
- (ـــــــ، ـــــــ) ، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، الطبعة الثانية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980.
- (ـــــــ، ـــــــ) ، **كناسة الدكان بعد انتقال السكان**، تحقيق: محمد كمال شبانة، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003.
- ابن الشماع (أبو عبد الله محمد بن أحمد)، **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984.
- ابن العماد الحنبلي (عبد الحي بن أحمد بن محمد ت 1089هـ/ 1678م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، الجزآن الثالث والرابع ، الطبعة الثانية، دار المسيرة، بيروت، 1997.
- ابن الفرضي(عبد الله محمد الأزدي ت403هـ/1012م)، **تاريخ الرواة و العلماء في الأندلس**، تحقيق: السيد عزت العطار الحسني، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988.
- ابن القاضي (أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المكناسي ت 1025هـ/1615م)، **درة الحجال في أسماء الرجال**، 4 أجزاء، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، 1981.
- ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر ت 327هـ/977م)، **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الطبعة الثانية ، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، 1989.
- ابن أنس الأصبحي (أبي عبد الله مالك ت 179هـ / 795 م)، **موطأ الإمام مالك**، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثانية ، المكتبة العلمية، بيروت ،(د ت).
- ابن جرير الطبري (أبي جعفر محمد) ، **مختصر تفسير الطبري** ، المسمى: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: محمد علي الصابوني و أحمد رضا، المجلد الأول، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، 1985.
- ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي ت 852هـ/1378م)، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، الجزء الأول ، دار الكتب الحديثة، مصر، 1966.

- ابن حوقل(أبو القاسم محمد النصيبي ت 367هـ/ 977م)، **صورة الأرض**، الجزء الأول، دار صادر، بيروت، 1928.
- ابن خاقان (أبو نصر الفتح)، **تاريخ الوزراء و الكتاب و الشعراء في الأندلس**، المعروف ب: **مطمح الأنفس و مسرح التأنس في ملمح أهل الأندلس**، تحقيق: مديحة الشرقاوي، الطبعة الأولى مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد 2001.
- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ت: 808هـ/ 1405م)، **ا لعبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ضبط ومراجعة: خليل شحادة، سهيل زكار، ،الجزآن السادس والسابع ، الطبعة الثانية، دار الفكر للطباعة و النشر، بيروت، 2000.
- (ــــــ، ــــــ) ، **المقدمة**، دار الفكر العربي للطباعة و النشر، بيروت، 2007.
- ابن خلدون (أبو زكرياء يحيى ت 780هـ/1378م) ، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد** ، الجزء الأول ، تحقيق : عبد الحميد حاجيات ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1980.
- ابن خلكان (شهاب الدين أبو العباس ت 681هـ/1282م)، **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، الجزء الخامس، دار صادر بيروت، (د ت).
- ابن زكري (أبو العباس أحمد التلمساني ت 900هـ/ 1495م)، **غاية المرام في شرح مقدمة الإمام**، تحقيق: محمد ادير مشنان، المجلد الأول، الطبعة الأولى، دار التراث، الجزائر، 2005.
- ابن سحنون (محمد)، **كتاب آداب المعلمين**، تحقيق: محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.
- ابن سعيد الغرناطي (نورالدين أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد ت 685هـ/ 1286م)، **المغرب في حلي المغرب**، تحقيق: خليل منصور، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
- ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة و جعلهم الوارثين**، تحقيق: عبد الهادي التازي، بيروت، 1964.

- ابن عبد الحكم (عبد الرّحمان بن عبد الله) ، **فتوح مصر و المغرب** ، تحقيق :عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي ، القاهرة ، بيروت ،1986.
- ابن عبد الملك المراكشي (أبو عبد الله بن محمد ت 703هـ/1303م) ، **الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة** ، القسم الأول ،تحقيق :محمد بن شريفة ، دار الثقافة ،بيروت ، (د.ت).
- (ـــــ، ـــــ) ، **الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة** ، القسم السادس ، تحقيق: إحسان عباس ،دار الثقافة ، بيروت ، 1973.
- ابن عذارى المراكشي (أبو الحسن أحمد كان حيا سنة 712هـ/1312م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**، تحقيق: ح، س، كولان وليفي برفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1989.
- (ـــــ، ـــــ) ، **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب قسم الموحدين**، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني ، محمد بن تاويت ، محمد زبير ،عبد القادر زمامة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 1985.
- ابن فرحون اليعمري (برهان الدين بن علي بن محمد ت 799هـ/ 1397م)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، الطبعة الأولى، مطبعة الفحامين، مصر، 1351هـ.
- ابن قنفد (أبو العباس أحمد القسنطيني ت 810هـ/1407م)، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تقدي و تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986.
- (ـــــ، ـــــ) ، **أنس الفقير و عز الحقير**، اعتنى بشرحه و تصحيحه: محمد الفاسي، أدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي جامعة محمد الخامس، (د ت)،
- ابن مريم (أبو عبد الله أحمد المليتي التلمساني كان حيا سنة 1014هـ/1401م) ، **البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان**، تحقيق:محمد بن أبي شنب، نشر :عبد الرحمن طالب ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.
- ابن منضور المصري (محمد بن كرم بن علي ت 711هـ/1311م) ، **لسان العرب** ، المجلد الثاني ، تقديم الشيخ عبد الله العلايلي ، إعداد :يوسف خياط ،دار لسان العرب ،بيروت، (د. ت)

• أبو العرب (محمد بن أحمد تميم التميمي ت333هـ/944م)، **طبقات علماء إفريقية**، دار الكتاب العربي، بيروت، (د ت).

• أبو مدين (شعيب بن الحسن الأندلسي ت 594هـ /1197م)، **الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان**، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974.

• الإدريسي(أبو عبد الله الشريف ت 548هـ/1154م)، **القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس**، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

• (ـــــــ، ـــــــ) ، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، الطبعة الثانية ، الجزء الثاني، عالم الكتب، بيروت، 1989.

• الأندلسي أبو حامد، **تحفة الألباب و نخبة الإعجاب**، تحقيق: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989.

• البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز ت 487هـ/1094م)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب**، نشردي سولان، باريس، 1965.

• البيدق (أبو بكر بن علي الصنهاجي)، **أخبار المهدي بن تومرت و ابتداء دولة الموحدين**، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974.

• التنبكتي (أبو العباس أحمد بن أحمد بابا ت أواخر ق 6 هـ/ 12 م)، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، طبع على هامش الديباج لابن فرحون، مطبعة الفحامين، مصر، 1351هـ.

• التنسي (محمد بن عبد الجليل ت 899هـ/1493م)، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدرو العقيان في بيان شرف بني زيان**، تحقيق: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

• الحموي ياقوت (أبي عبد الله شهاب الدين626هـ/1228م)، **معجم البلدان**، 5 أجزاء، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1957.

• الحميري (أبي عبد الله محمد بن عبد المنعم ت727هـ/1326م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975.

- (ـــــــ، ـــــــ) ، **صفة جزيرة الأندلس**، مقتبس من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: ليفي برفنسال، ط2، دار الجيل، بيروت، 1988.
- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد ت 748هـ /1348م)، **سير أعلام النبلاء**،الأجزاء 14، 17،16، تحقيق: محب الدين عمر بن عزخة العمري، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1997.
- الزركشي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم كان حيا سنة 894هـ/ 1488م)، **تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية**، تحقيق: محمد ماضور، الطبعة الثانية، المكتبة العتيقة، تونس. (د ت).
- الزركلي خيرالدين، **ترتيب الأعلام على الأعوام**، الجزء الأول، الطبعة 17، دار العلم للملايين، بيروت، 2007.
- الزهري (محمد بن أبي بكر)، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق: محمد الحاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د ت).
- السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت 902هـ/ 1497م)، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، المجلد الرابع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د ت).
- الشوكاني (محمد بن علي ت 1250هـ)، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، الجزء الثامن، مطبعة السعادة، القاهرة، 1348هـ.
- الضبي (أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة ت 599هـ/1202م)، **بغية الملتمس في رجال أهل الأندلس**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، دار الكتاب المصري، 1989.
- العبدري (محمد بن أحمد بن علي بن أحمد البلنسي)، **الرحلة المغربية**، تحقيق: أحمد بن جدو، الطبعة الأولى، مطبعة البعث، قسنطينة، (د ت).
- العذري (أحمد بن عمرو الدلائي) ، نصوص عن الأندلس مقتبس من كتاب، **ترصيع الأخبار وتنويع الآثار و البستان في غرائب البلدان و المسالك إلى جميع الممالك**، تحقيق: عبد العزيز الأموزي، (د ت).
- الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد ت 704هـ/1304م)، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.

- الغزال (أحمد بن محمد ت 1196هـ/1777م)، **نتيجة الاجتهاد في المهادنة و الجهاد**، تحقيق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
- القلصادي (أبو الحسن علي بن محمد بن محمد القرشي البسطي ت 891هـ/ 1486م)، **رحلة القلصادي " تمهيد الطالب و منتهى الراغب في أعلى المنازل و المناقب"**، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978.
- القلقشندي ، (أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد ت 821هـ/1418م)، **صبح الأعشى في صناعة الأنشا**، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915.
- كاربخال (مارمول)، **إفريقيا**، ترجمة: محمد حاجي و آخرون، ثلاثة أجزاء، مكتبة المعارف الجديدة، الرباط، 1984.
- مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الطبعة الثانية ، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، 1989.
- مؤلف مجهول ، **تاريخ الأندلس**، تحقيق: عبد القادر بوباية، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت).
- مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، الطبعة الأولى، دار الرشاد الحديثة، دار البيضاء، 1979.
- مؤلف مجهول، **نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**، ضبط: ألفريد البستاني، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، 2000.
- المالكي (أبو بكر عبد الله محمد ت474هـ/1081م)، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و إفريقية**، الجزء الأول: تحقيق: بشير البكوش، محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984.
- مخلوف (محمد بن محمد)، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1949.
- المراكشي(محي الدين عبد الواحد، ت 647هـ/1250م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، شرح: صلاح الدين الهواري، الطبعة الأولى ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2006.
-

- المسعودي (أبو الحسن بن علي)، **مروج الذهب و معادن الجوهر**، الجزء الأول، تحقيق: محمد محي الدين، المكتبة العصرية، بيروت، 1988.
- المقدسي (أبو عبد الله محمد بن أحمد) ، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، الطبعة الثالثة ، مطبعة مدبولي، القاهرة، 1991.
- المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني ت 1041هـ/ 1631م) ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، 10 أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988.
- (ـــــــ، ــــــــ) ، **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، الجزء الأول ، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، القاهرة، (د ت).
- الناصري السلاوي (أحمد بن خالد ت 1315هـ/ 1897م)، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، الجزء الثاني، تحقيق: جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954.
- النبهاني (أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي كان حيا سنة 793هـ/1390م) ، **تاريخ قضاة الأندلس** ،المعروف ب: "**المرقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا** " ، تحقيق:لجنة إحياء التراث العربي ، الطبعة الخامسة ،دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1983.
- الورداني علي بن سالم، **الرحلة الأندلسية**، تحقيق: عبد الجبار الشريف، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- الوزان (حسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الإفريقي ت 956هـ/1549م)، **وصف إفريقيا**، جزآن، تحقيق: محمد حجي، محمد الأخضر، الطبعة الثالثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
- الوزير السراج (محمد بن محمد الأندلسي ت 1149هـ/1736م) ، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية** ، تحقيق:محمد الحبيب الهيلة ، الجزء الأول ، قسم الرابع ، الدار التونسية للنشر، تونس ،1970 .

- الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحي ت: 914هـ/1511م)، **المعيار المعرب و الجامع المغرب في فتاوى علماء إفريقية و الأندلس و المغرب**، أخرجه: محمد حابي و آخرون، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.
- (ـــــــ، ـــــــ) ، **أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى و لم يهاجروما ترتب عليه من العقوبات والزواجر** ، تحقيق محمد عبد الكريم (حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية) الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، 1981.
- اليعقوبي (أحمد بن واضح)، **البلدان** ، تحقيق: محمد أمين الضناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،2002.

2/المراجع:

- أبو زهرة محمد، **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة و العقائد**، الجزء الأول، دار الفكر العربي، مطبعة السعادة، (د ت).
- أبو ضيف أحمد عمر ، **أثر العرب في تاريخ المغرب خلال عصري الموحدين وبني مرين** 524-876هـ/1130-1474م ، الطبعة الأولى،دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ،المغرب ،1982.
- أحمد موسى عز الدين، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، دار الشروق، بيروت، 1983.
- أرسلان شكيب ، **خلاصة تاريخ الأندلس** ، منشورات دار الحياة، بيروت، 1983.
- أشباخ يوسف أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين**، ترجمة: محمد عبد الله عنان، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996.
- أمين أحمد ، **ضحى الإسلام**، الجزء الثالث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د ت).
- (ـــــــ، ـــــــ) ، **ظهر الإسلام**، الجزء الثالث، مكتبة النهضة المصرية، (د ت).
- برفنسال ليفي ،**حضارة العرب في الأندلس**،ترجمة :ذوقان قرقوط ،دار مكتبة الحياة ،لبنان،
- برنشيفك روبار، **تاريخ إفريقية في العهد الحف صي من القرن 13 إلى 15م**، ترجمة: حمادي الساحلي، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.

- بشتاوي عادل سعيد، **الأندلسيون المواركة**، الطبعة الأولى، القاهرة، 1983.
- بلعربي خالد، **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان**، الطبعة الأولى ، مطبعة تلمسان، 2005.
- بن عميرة محمد ، **دور زناته في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1984.
- بونار رابح، **المغرب العربي تاريخه وثقافته** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ،1968.
- بيل ألفريد، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.
- الثعالبي عبد العزيز، **تاريخ شمال إفريقية من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية**، الطبعة الأولى ،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1987.
- حاجيات عبد الحميد و آخرون، **الجزائر في التاريخ**، العهد الإسلامي، الجزء الثالث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- (ــــــــ، ــــــــ) ، **أبو حمو موسى الثاني حياته و آثاره**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
- الحريري محمد عيسى، **الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط**، الطبعة الثالثة، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987.
- حساني مختار، **موسوعة تاريخ و ثقافة المدن الجزائرية، مدن الشرق**، الجزء الثالث، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر، دار الحكمة، الجزائر، 2007.
- حميدي عبد المنعم محمد حسين، **التاريخ السياسي و الحضاري للأندلس في عصر المرابطين**، دار المعرفة الجامعية، 1997.
- حومد أسعد، **محنة العرب في الأندلس**، الطبقة الثانية، المؤسسة العربية للطباعات و النشر، بيروت، 1988.
- الدنون عبد الحكيم، **آفاق غرناطة**، الطبعة الأولى، دار المعرفة، دمشق، 1988.
- ربير خوليان، **التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية و تأثيراتها المغربية**، تحقيق: الطاهر أحمد مكي، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، 1994.

- رزوق محمد، **دراسات في تاريخ المغرب** ، الطبعة الأولى ، مطبعة إفريقيا الشرق، 1991.
- روجي لي تورنو، **حركة الموحدين في المغرب خلال القرنين الثاني و الثالث عشر**، ترجمة: أمين الطيبي ، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982.
- زغلول سعد عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي**،الجزء الثالث ، منشأة المعارف ، الإسكندرية، (د،ت).
- سامعي عادل، **تاريخ الأندلس الاقتصادي و الاجتماعي**، الطبعة الأولى، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، الجزائر، 2007.
- سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، الجزء الثاني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1980.
- سعدون نصر الله، **تاريخ العرب السياسي في المغرب**، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، 1988.
- السليماني أحمد، **تاريخ المدن الجزائرية**، دار القصبة، الجزائر، 2007.
- السيد أبو مصطفى كمال، **محاضرات في تاريخ الغرب الإسلامي وحضارته**،مركز الإسكندرية للكتاب ،2007.
- السيد سالم عبد العزيز، **تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة**، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.
- (ـــــــ، ـــــــ) ، **المساجد و القصور في الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1986.
- (ـــــــ، ـــــــ) ، **المغرب الكبير** ،الجزء الثاني، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.

(ـــــــ، ـــــــ) ، **تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس** ، الطبعة الأولى ،دار النهضة العربية ، بيروت ، 1969.

- السيد مصطفى سامية، **العلاقات بين المغرب و الأندلس في عصر الخلافة الأموية**، الطبعة الأولى، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، 2000.
- شاكر مصطفى، **موسوعة دول العالم الإسلامي و رجالها**، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، 1993.

- شاوش محمد بن رمضان، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
- شبارو محمد عصام، **الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود (91-897هـ/710- 1492م)**، دار النهضة العربية، بيروت، (د ت).
- شبانة محمد كمال ، **يوسف الأول بن الأحمر سلطان غرناطة** ، الطبعة الأولى ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، 2004.
- الشطشاط حسن علي، **نهاية الوجود العربي في الأندلس**، دار قباء للطباعة و النشر، القاهرة، 2001.
- الصلابي محمد علي، **إعلام أهل العلم و الدين بأحوال دولة الموحدين**، الطبعة الأولى، دار التوزيع و النشر الإسلامية، مصر، 2003.
- الطمار عمرو محمد ، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،1983.
- الطوخي أحمد أمين، **مظاهر الحضارة الأندلسية في عصر بني الأحمر**، تقديم: أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997.
- الطيب محمد سليمان، **موسوعة القبائل العربية** ، المجلد الثالث، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ت).
- عادل عبد العزيز محمد، **الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية** ، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة، (د ت).
- العبادي أحمد مختار، **في التاريخ العباسي و الأندلسي**، دار النهضة العربية، بيروت، 1972.
- (ـــــــ، ـــــــ) ،**في التاريخ الأيوبي والمملوكي** ، مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ، (د،ت).
- العروسي محمد المطوي، **السلطنة الحفصية**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.
- عمر موسى عزّ الدين، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الطبعة الأولى، دار الشروق، بيروت، 1983.

- علي أحمد، **الأندلسيون في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس حتى نهاية القرن التاسع الهجري**، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2008.
- عنان عبد الله، **دولة الإسلام في الأندلس – عصر المرابطين و الموحدين**، القسم الأول، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990.
- (ـــــــ، ـــــــ) ، **الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا و البرتغال**، الطبعة الثانية، مطبعة مدني، القاهرة، 1997.
- (ـــــــ، ـــــــ) ، **الثغر الأعلى الأندلسي في عهد المرابطين**، مكتبة الثقافة الدينية، 1992.
- (ـــــــ، ـــــــ) ، **عصر المرابطين و الموحدين في المغرب و الأندلس**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1964.
- (ـــــــ، ـــــــ) ، **نهاية الأندلس و تاريخ العرب المنتصرين**، الطبعة الثالثة، مطبعة لجنة التأليف و التّرجمة، 1966.
- عنان محمد زكريا، **ديوان الموشحات الأندلسية**، الطبعة الثانية، دار المعارف الجديدة، الإسكندرية، (د ت).
- عويس عبد الحكيم، **دولة بني حماد**، الطبعة الثانية، دار الصحوة للنشر و التوزيع، القاهرة، 1991.
- غارودي روجي، **الإسلام في الغرب**، ترجمة: ذوقان قرقوط، الطبعة الأولى، دار دمشق للطباعة و النشر، 1995.
- فرحات يوسف شكري، **غرناطة في ظل بني الأحمر**، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، 1993.
- فرحات يوسف و آخرون، **معجم الحضارة الأندلسية**، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، بيروت، 2000.
- فروخ عمر، تاريخ الأدب العربي ، الجزء السادس، دار العلم للملايين ، بيرت ،1976.
- فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، الجزء الثاني، دار موفم للنشر و التوزيع، الجزائر، 2002.

- كردياك لؤي، **المسلمون الأندلسيون و المسيحيون**، تعريب: عبد الجليل التميمي، منشورات المجلة التاريخية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
- كولان، ج س، **الأندلس**، لجنة الترجمة، إبراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، حسن عثمان، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، 1980.
- لقبال موسى، **المغرب الإسلامي من بناء المعسكر حتى انتهاء ثورات الخوارج**، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.
- مؤنس حسين، **فجر الأندلس**، الطبعة الثانية، الدار السعودية للنشر و التوزيع، 1985.
- (ـــــــ، ـــــــ) ، **المغرب و الأندلس**، مكتبة الأسرة، مصر، 2003.
- (ـــــــ، ـــــــ) ، **رحلة الأندلس**، الطبعة الثانية، الشركة العربية للطباعة و النشر، القاهرة، 1963.
- مكي الطاهر أحمد ، **دراسات أندلسية** ، الطبعة الثالثة، دار المعارف ، القاهرة ، 1987.
- ميسوم عبد الإله، **تأثير الموشحات في التروبادور**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.
- وات مونتوغمري، **في تاريخ اسبانيا الإسلامية**، ترجمة: محمد رضا المصري، الطبعة الثانية، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، 1998.

3/المجلات و الدوريات

- الدويديري هناء ، **قرطبة مدينة و تراث** ، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الأول، السنة الأولى، وهران، 1993.
- سعدوني ناصر الدين، **التجربة الأندلسية بالجزائر**، ندوة الأندلس، الطبعة الأولى، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، 1996.
- شبشون أحمد، **منزلة العلم و التعليم بالأندلس من خلال رسائل مراتب العلوم لابن حزم**، ندوة الأندلس، ط1، مكتبة الملك عبد العزيز الرياض، 1996.
- الطالبي محمد، **الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين**، مجلة الأصالة العدد 26، وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، الجزائر، 1975.

- عزوزي حسن، **التآليف في القراءات القرآنية و خصائصه بالمغرب و الأندلس في القرن الثامن الهجري**، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الأول، السنة الأولى، وهران، 1993.

- مؤنس حسين، **غرناطة تحفة من تحف الفن و عجيبة من عجائب التاريخ**، مجلة العربي، العدد: 89، الكويت، 1966.

- مجاني بوبة ، **المدارس الحفصية نظامها و مواردها**، مجلة العلوم الإنسانية العدد: 12، قسنطينة، 1999.

- المهملان عثمان، **فضل المسلمين على الطب**، مجلة العربي، العدد 504، الكويت، 2000.

4/الرسائل الجامعية:

- أبو المعاطي محمد عباس يحي، **الملكيات الزراعية و آثارها في المغرب و الأندلس (238-488هـ/852- 1095م)**، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، القاهرة، 2000.
- بلحسن إبراهيم، **العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط و الأدنى من القرن 7 إلى ق 9 هـ/ 13- 15م**، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2005.
- بوتشيش آمنة، **بجاية دراسة تاريخية و حضارية ما بين القرنين 6- 7هـ/ 12- 13م**، ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2007- 2008.
- بوحسون عبد القادر، **العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس خلال العهد الزياني 633- 962هـ/ 1235- 1554م)**، ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2007، 2008.
- بودواية مبخوت، **العلاقات الثقافية و التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي خلال عهد بني زيان**، دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2005.
- بوشامة عاشور، **علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب و الأندلس 626-981هـ/1288- 1573م**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1991.
- بوشقيف محمد، **العلوم الدينية بالمغرب الأوسط خلال القرن 9هـ/ 15- 16م**، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة وهران، 2003- 2004.

- جبار عبد الناصر، **بنو حفص والقوى الصليبية في غرب البحر المتوسط في القرنين الثامن والتاسع الهجري 14-15 ميلادي** ، رسالة ماجستير، القاهرة ، 1990.
- خشاب صادق، **تأثير الفن الزخرفي الأندلسي على نظيره المغاربي-نموذج تلمسان**، رسالة ماجستير في الفنون الشعبية، جامعة تلمسان، 2001.
- عبدلي لخضر، **الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633هـ 962هـ/ 1236- 1554م)**، دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، 2004- 2005.
- عليلي محمد ،**الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة والرستميين خلال القرنين 2-3هـ/8-9م**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ،تلمسان، 2007-2008.

5/المراجع باللغة الأجنبية:

- Arie Rechel, L'Espagne musulmane au temps Nasride (1232- 1492) ed, E, de boucard, Paris, 1973.
- Bourouiba Rachid, les inscriptions commémoratives des mosques d'Algerie, O. P. U, Alger , 1984.
- (———— ،————), l'art religieux musulmane en Algerie, S. N. E. D. Alger, 1981.
- Dhina Atallah, les Etats de l'occident musulman au 13 et 15 siècles, office de publication universitaires, Alger, (Sd).
- Gote marc, paysage et patrimoine, guide d'Algerie, maison de la culture, constantine, 1996.
- Henri leon Fey, histoire d'Oran avant pendant et après la domination Espagnol, édition dar- el gharb, Oran, 2002.

- Philippe Araguar, Briue et architecture dans l'Espagne médiéval (12- 15 siècle), casa de velezquez, Madrid, 2003.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الفصل الثالث: تأثير المهاجرين الأندلسيين في الميادين الحضارية للمغرب الأدنى